

هكذا يمنع النهج الريع  
تفعيل النموذج التنموي!

مساهمة حول  
إصلاح النموذج التنموي المغربي  
 يقدمها للديوان الملكي  
د. عبد الرحيم البدوي  
جامعي باحث في الاقتصاد التنموي

Cabinet Royal  
CARR19011266-23/09/2019



190923125851538021

# تبوب

## مقدمة في مهب الريح... 4/

### I - التفريخ الحزبي / 10

أشكال و اللوان  
زائد ناقص  
رجل هنا و رجل لهيه  
المعارضة الويكандية  
الريع السلطوي

### II - فصول الميركاتو... 22

"الرصيد"، من التاريخي إلى المالي  
بين الاستقالة والإقالة  
تشي كيفارا و المرشدون  
شبيبات شابيات

### III - الريع الترابي/ 28

بائع شاري  
مكافآت الدراسات  
الوالى و الوالو  
كلها و تخطيطها  
الأحزاب التي تستحق؟

### IV - أمة بدون نواب/ 35

صالون الاستقبال  
الأشباح في كل مكان  
شهادة تراكم الشغل  
كن قابلا للتمثيل

### V - أصوات للبيع ! 44

من "ديمقراطية" بالتفقير...  
إلى تفجير الديمقراطية

أصوات الصفيح  
ادهن السير ...

## VI - براريك "كاليفورنيا" / 53

ولاد الـرب  
سود "البيضاء"  
الـحزـب السـري  
الـمـحسـن البـصـرـي  
خـيـوبـيـة نـخـوبـيـة  
الـفـضـل وـرـاسـالـمـال

## VII - بين السماء والأرض / 62

الـرصـيد الإـسـلامـوي  
ما كـانـيش مـعاـ من !  
كيف تـمـوتـ الـديـمـقـراـطـيـات  
"الـله يـسـخـرـ"  
"ـلـوـجـهـ اللهـ"

## VIII - الشوماج و الفرماج / 71

الـحـيـطـ القـصـيرـ  
الـرـصـيدـ العـمـالـيـ  
الـزـعـيمـ قـبـلـ القـانـونـ

## IX - ريزوات تحت التغطية / 77

بيـنـ الاـقوـالـ وـ الاـفـعـالـ  
"ـلـوـطـنـ غـفـورـ رـحـيمـ"  
هـبـطـوهـ لـاـكـابـ  
الـفـراـشـةـ لـكـبارـ

## X - المال الصاعد إلى "الجنة" / 82

"ـأـعـرـقلـ إـذـنـ أـنـاـ مـوـجـودـ"  
"ـصـنـعـ فـيـ الـمـغـرـبـ"  
الـلـانـحةـ الرـمـادـيـةـ  
الـجـهـادـ التـنـموـيـ  
مـهـرـ الـعـروـسـ  
الـطـابـقـ السـفـلـيـ

### XI - لعبة الأدوار / 90

الريع الجموعي  
 تجادبات لوجبيات  
 كوني ناخبة واصمتني !  
 لغاتك يا وطني  
 "الغلبة بأهلها"

### XII - التواصل ماواصلش / 98

مول الشكاره  
 "بوکو كلام"  
 لم تدفعوا الماضي !  
 الغرق المحظوم  
 الرجل الذي مشى على الماء  
 بين الفران أو الفريكو

### XIII - ملكية فاعلة و أحزاب منتهية الصلاحية / 110

"أهمية ثانوية"  
 الداخلية تدخل المؤتمر  
 "قصة خرافية"  
 المغرب لنا، لا لغيرنا"  
 "لا انضم لأي حزب"

### XIV - حاصل الكلام / 119

## مقدمة

### في مهب الرياح...

"نطلع لبلورة رؤية مندمجة لهذا النموذج التنموي  
كفيلة بإعطائه نفساً جديداً،  
وتجاوز العرقلتين التي تعيق تطور و معالجة نقط الضعف  
والاختلالات التي أبانت عنها التجربة.  
(خطاب افتتاح البرلمان)

"بعض الفاعلين أفسدوا السياسة و انحرفوا بها  
عن جوهرها النبيل.  
وإذا أصبح ملوك المغرب  
غير مقتنع بالطريقة التي تمارس بها السياسة  
ولا يثق في عدد من السياسيين  
فما زالت الشعوب"  
(خطاب العرش)

لنا أحزاب منتهية الصلاحية، تفهمت و تفاهمت مع المفهوم القديم للسلطات الإدارية، تحت غطاءات إعلامية لتبرير مساوئهم أو لتمييع تواضع حضورهم. من أجل استفادة متبادلة مع كائنات جماعوية تساعد على ضمان ما تيسر من زبان تصويبية، مع أذرع وعظية إرشادية أو حقوقية أو نقابية. بعيداً عن تأسيس نموذج تنموي مجتمعي، قريباً من تبادل مصلحي ريعي، تتدخل فيه "أرباح" التموضع السياسي - الاقتصادي مع خسائر الوضع الاجتماعي ! و من أغرب مفارقات المغرب أنه كلما تزايد العزوف الانتخابي و تراجعت الثقة - حتى الملكية - في الفاعلين السياسيين، كلما تزايدت الأشكال والألوان، بين أحزاب انجابت أخرى، وأحزاب أعطت نقابات تحولت بدورها إلى أحزاب، أو تيارات داخل أحزاب صارت أنسجة جماعية، انتهت بدورها إلى تفريح حزبي، في انتظار فروعها النقابية... و إذ تخزنت الأحزاب بعد "مخزن" تجاوزته ملكية دستورية رئيسية، لم يستطع المغرب - رغم منع الحزب الواحد- تفادي أحزاب ونقابات الرأي الوحيد للباطرون الواحد. فظل "الزعماء" على عروشهم الحزبية والنقابية، بين حاشياتهم، متلاعبين بقوانين اللعبة الانتخابية بدل الإسهام في احترام

قواعدها، من أجل تمثيلية حقيقة لذنب فعليه.

\*\*\*

بعد 6 دساتير، 32 حكومة و 10 ولايات تشريعية، لا زلنا نعاني من لوبى المحروقات، من مafia العقار، من شبكات تهريب السلع والبشر والأموال، من بارونات مواد البناء، من احتلال دائم للملك العمومي، من مكاسب مكاتب الدراسات...

بين أقدم *الهمزات*، نجد ريع "الرصيد التاريخي" لحساب من جاؤوا إلى الاقتصاد من السياسة، قبل أن يلتحق بهم أو يخرج من صفوفهم من جاؤوا إلى السياسة من الاقتصاد و المال. فاتسعت أسواق باياعة شازية، بين مرشحين مدعين جابوا علينا الإسلام، بعد اللي جابوا الاستقلال، بينهم أعيان جابوهم فلوسهم عند أفق الناخبيين كرامة، الأقل تكريما من طرف منتخبين منعدمي الكفاءة والنزاهة !.

بدعوى الدفاع عن المؤسسة الملكية، بعد فشل الانقلاب عليها، ضاعت سنون طويلة في البحث عن المنابع الضامنة المنافع. نقف، بين أكثرها غزاره، عند :

- ريع فئة من "نواب الأمة"، يخلطون بين الحصانة والإفلات من العقاب والمحاسبة، في حضانة ريزرواث تضعهم تحت التغطية.
- ريع دخول الغرف البرلمانية، عبر أبواب اللوائح الوطنية و الشبابية، في خلط سافر بين وراثة ملكية ذات الشرعية الولائية الدينية والمشروعية الدستورية الدنيوية، و قرابات عائلية تمنع التناوب بين الأجيال وتدفع النخب الصاعدة الراudedة نحو "أرض الله الواسعة".
- ريع يصيب من يلجون الجماعات الترابية ليستفيدوا فيها ومن خلالها، بدل أن يفيدوا ساكنيها و عابريها من قرب و جودة خدماتها.
- ريع المحصنين من تقلبات العولمة التنافسية تحت حماية الإعفاء الضريبي الانتقائي، واستغلال أيادي وعقول عاملة مغلوبة على أمر مستوى أجورها وظروف عملها. ريع ضريبي يمكن مهنيين محظوظين من أداء قسط هزيل من الدخل، بينما يؤدي الأجراء و الموظفون كل الباقي باقتطاعات تلاحقهم في عقر معاشهم.
- ريع نقابي مكن تحويل لأنترتيبيين إلى زعماء نقابيين، منهم من يصعب عليه الوقوف في وجه *الباطرون* و قد أصبح هو بدوره باطرون يروج ما تيسر له ربحه باسم "الطبقة العاملة".
- ريع المجال الديني الإسلامي، يفضل على حسنات الآخرة و سخ ننيا التبلاص التوظيفي، الانتخابي أو الاستوزاري .
- ريع جمعيات ذات المنفعة الخاصة، تحول الاستثمار في حسن نيات المجتمع المدني إلى استمرار الاستفادة من أموال المنح الداخلية و الخارجية السخية. منفعة قد تتغذى من بزنس حقوق أو تغذي ريزرو

## التصوّيت الانتقائي...

- ربع محطات الأداء ، بين الواقفين على أبواب الترخيصات والمراقبات والمحاسبات، و كل المحسنين بصمت الرضى على علاقات رابح- رابع، مرشية و راشية.
- ربع رصيد إداري، بدأ متمسكاً بهاجس أمني فرضته حماية النظام الملكي في وجه انقلابيين حزبيين أو عسكريين. تحول إلى هاجس سلطي أدى ببعض المتمسكون بالمفهوم القديم للسلطة إلى الخلط بين واجبات المصلحة العامة و وجبات مصالح انتهازية مع أسوء المنتخبين و أشباه المستثمرين !

\*\*\*

بعد توالي الحكومات و البرلمانات، تبقى مداخليل ملايين المغاربة تحت رحمة التقلبات الفلاحية المناخية. و لا زال الهدر المدرسي يبعد نصف مليون تلميذ كل سنة عن منظومة تعليمية لا هي تربية و لا هي وطنية. و لا تزال نسبة وفيات الأطفال عند الولادة قريبة من مستوى اليمن والصومال... ليتّقي المغرب في الصنوف الخلفية لمؤشر التنمية البشرية.

رغم وعود الخلط الخطابي بين الشعبي، الإسلامي، الليبرالي، الاشتراكي، التعادلي... يدفع الهروب الحتمي بآلاف الشباب نحو بحر قاتل أمامهم لترك الفقر العدو وراءهم. بينما يتزايد عزوف الباقي من انتخابات لا تقدم نخبًا تقنّعهم و ترضي انتظاراً لهم. ذهب بعضهم إلى الخلط بين "ثورات" مدغدغة العواطف و فتن حولت "ربّعاً عربياً" إلى خريف هبت عواصفه بفراغات مؤسساتية، يملؤها اليوم في بلدان عربية من هم، خلافاً للطبيعة، لا يكرهون الفراغ !

بالمقابل، من يريدون الإبقاء على أمرهم الواقع الرابع، يواجهون الانتقادات المشروعة بادعاءات مغلوطة. منهم من يهربون إلى الأمام مع بو��و كلام، يدعون أن "المؤسسة الملكية بشكلها الحالي معيبة للتقدم". و منهم الذين يعتبرون أن "ضعف الأحزاب يضعف العمل السياسي الديمقراطي" و يمس بكيان القواعد التكاملية بين الشعب والمؤسسات التنفيذية و التمثيلية. ستريهم فصول هذه المذكرة كيف تحولت وعود "عملهم" إلى انتهازية ريعية سياسوية، بدل بلورة إرادية لنموذج تنموي مجتمعي اندماجي !

دون السقوط في تعميم الأحكام، لا يمكن اعتبار فضح الأعطاب مجرد إطلاق العنان لليلأس والإحباط و العدمية. نبذ السوداوية يغدو هروباً إلى الأمام، إذا كان الهدف منه عدم الاعتراف بوجود أزمة حقيقة للتمثيلية الحزبية، النقابية والمهنية ، وأزمة عميقة للحكومة الاقتصادية و أزمة ثقافية إبداعية صارت عقيمة، و أزمة بنيات ذهنية، أخلاقية و مواطنية ... سنرى كيف مكنت المشاركة في الزيارات المتاحة من دخول حكومات طبقت أحزاب بداخلها عكس ما كانت تطالب به خارجها. فالتعادليون

الاستقلاليون عربوا التعليم ليرسلوا أبناءهم إلى الخارج، الاشتراكيون تحملوا وزارة المالية والخوخصة لتحرير أثمنة مواد تستهلكها "القوات الشعبية". الإسلاميون اعتبروا الخمر من الكبائر قبل جعله بين أكبر مداخل الميزانية العمومية. أما أشباء الليبراليين فاعتبروها أساسا بحمايتهم للوبيات، في خدمة الأعيان بكل الألوان، من أي مكان...

\*\*\*

أشار الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى العشرين لعيد العرش إلى أن "جديد النموذج التنموي في صيغته الجديدة ليس غاية في حد ذاته ، وإنما هو مدخل لمرحلة جديدة". فستان بين بلورته النظرية و معاناته آثاره العملية. إلا إذا، منذ البداية، عملت كل مقاربة على اعتبارات أساسية: لا يمكن اختزال أي نموذج تنموي مجتمعي شمولي في إشكاليات النهج الإنمائي الاقتصادي الفنوي المادي.

- لا بد لكل نموذج تنموي ذي هاجس داخلي أولى أن يأخذ بعين الاعتبار المناخ الخارجي المتأثر حتما بكل الفضاء الخارجي، التعاوني، الجهوي، العالمي.

- للنموذج التنموي بعد منظومي اقتصادي، اجتماعي، ثقافي و ... سياسي. فيه السياسي لا ينحصر معه البناء الديمقراطي في تفريخ حزبي-نقابي، يكون خلاله توزيع أدوار المشاركة التأطيرية والواسطية في مسلسل انتخابي تمثيلي منعدما إلا من وزيرة توزيرية أو برلمانية أو رئيسية جماعية أو جهوية.

- أي نموذج تنموي، مهما كانت تصوراته ثاقبة و اقتراحاته مجده، سيبيقي خطابيا شفوفيا، إذا لم يجد في طريقه و طرق تنفيذه رد فعل مواطنين إيجابي و تفعيل إعلامي تتوirي، و عمل جمعوي تشاركي، و تنافس مقاولاتي دينامي و تفاعل إداري تحفيزي.

من أجل ذلك، اعتمدت المنهجية المتبعة في هذه الدراسة على مقاربة منظومية بنظرة تقاطعية *transversale* approche systémique، لإظهار مدى حضور أو تغييب تكامل سترجي بين كل الفاعلين المتتدخلين في بلورة و تفعيل نموذج تنموي لا يكتفي وبعد إنمائي لفنات دون أخرى و فضاءات دون أخرى، لأنه مطالب بالربط المنظومي بين السياسي و الاقتصادي الاجتماعي و الثقافي.

و لأن السياسيين و من معهم يكرهون مواجهة الواقع و يتضايقون من مناقشتهم بسرد الأحداث حالة حالة و يوما بيوم، تتطلق هذه المقاربة من تجارب ذاتية و وقائع تاريخية، معتمدة على دراسات و آراء متخصصة. الرجوع إلى شهادات من أهلها، قوله أو فعله أو في الحالتين ، يعني أن كل تشابه لأفعال و أحداث واردة في هذه الدراسة مع أشخاص ذاتيين، حزبيين، نقابيين، فاعلين اقتصاديين، جمعويين، إداريين، منتخبين... ليس من باب

## الصفحة !

على أن المقاربة المنظومية لا تعني تغيير كل البنية القائمة. ككل معادلة مطروحة، لابد لأي نموذج تنموي الأخذ بعين الاعتبار الفرضيات الثابتة خاصة تلك التي يضمنها الدستور، ضمن أولى أحكامه العامة: حق الملكية، حرية المبادرة و المقاولة و التنافس الحر... في إطار نظام ملكية دستورية، ديمقراطية برلمانية و اجتماعية، تقوم على مبادئ الحكومة الجيدة، و ربط المسؤولية بالمحاسبة و بتنظيم لامركزي يعتمد الجهوية المتقدمة.

كما أن الاهتمام بالقطار الذي يصل متاخرا لا يعني التنكر الكلي للدور الريادي التنظيمي والتاطيري والتوجيهي و التویري لكل "مجاهد" في إنقاذ كيان حزبي، نقابي، إعلامي، جمعوي أو مقاولاتي... من أجل مقاولة مواطنة، فنات ناخية و منتخبة في كامل قوى وعيها و كرامتها، أعمال جماعية وتنظيمات مهنية ناجعة، صحافة حرة و مستقلة، مسالك إدارية شفافة...

كيف ننتظر أن تقدم أحزاب و نقابات و هيئات مهنية، و من يطوف حولها، تصورها و بالأحرى تفعيلها لنموذج تنموي هي في تغييره طرف أساسي؟ يمكن اعتبار اللجوء إلى تكوين لجنة التموذج التنموي أكبر دليل على انتهاء صلاحية أحزاب لم تقدر على استعمال حق دستوري يطالب الجهاز التنفيذي بوضع و تنفيذ برنامج حكومي. كما هو من المفروض أن يتداول مجلس الحكومة في القضايا و النصوص المتعلقة بالسياسات العمومية و السياسات القطاعية.

عشرون سنة مرّت على تشخيص تقرير الخمسينية، ولا زال التهميش الفنوي و الترابي، المعيشي، السكني، التعليمي، الاستشفائي و التشغيلي يصيب شرائح واسعة من المغاربة. هل سنسرد مجددا حفائق لا تقل مأساوية و تبقى الأحوال الآتية بلا تحولات جذرية؟

لابد من المرور من التشخيص إلى التنفيذ، حتى لا يكون لنا الطبع أكثر من التطبيل! من أجل ذلك، أكثر من وضع نموذج تنموي، لا يكتفي بمحتواه الإنمائي السطحي، ينقصنا حسن توضع الفاعل البشري. فهناك عندنا نوعان من العمل السياسي: الذين يقومون به و الذين يستفيدون منه. همسنا الأولين و عانينا من الآخرين. ألم يحن الوقت لتعاويد التعازيلية؟

أمام البرلمان، متوجها من خلاله لكل المؤسسات و الفعاليات، دعا جلاله الملك إلى "التحلي بالموضوعية و تسمية الأمور بسمياتها دون المجاملة او تتميّق واعتماد حلول مبتكرة وشجاعة حتى وإن اقتضى الأمر الخروج عن الطريق المعتمدة..." عملا بنصيحة ابن بطوطة : "أبداً بقدر الإمكان لا تسلك أي طريق مرتين" !

# I

## التاريخ الحزبي

يشبه الفكاهي الفرنسي ريمون دوفوس Raymond Devos "السياسة كآلية الأكورديون". عندما نضغط يميناً، يصفر اليسار. عند ما نضغط يساراً، يصفر اليمين. بالداخل، فراغ في فراغ...". يمين ويسار لم يعودا متواجهين إلا ضمن الخطاب الدغمانية العقيدة. بعدها مرت قرون على جلوس نواب الثورة الفرنسية تحت قبة الجمعية الوطنية، في تموضع لا علاقة له بأوضاعنا الحزبية، المدعية فارقا خياليا بين أشباء يمين انتهزوا ما جادت به التطورات الداخلية، وأشباء يسار استوردوا كل ما أملته إيديولوجيات خارجية متلاشية.

### 1 - أشكال و الوان

- اسألاوا أهل الحزبية السياسية: "هل أنتم من اليسار أو من اليمين؟". ستحصلون على أجوبة بتيريرية لكل لون، بدون طعم:
- لو أراد مخاطبكم التخلص من عقدة حشره في خانة "اليمين الإداري"، سيختفي مازكته الحزبية تحت علامة لبيراليه مبرهنة، أو بذرعة مواجهة تهميش "العروبية" أو المناطق الأمازيغية.
  - إذا كان مخاطبكم محسوبا سابقا على معارضه "تقدمية ديمقراطية وطنية"، سيختفي معاناته الطويلة من إبعاده عن السلطة، قبل دخوله الحكومة من نافذة "التناوب التوافقي". سواء كان من حماة "زهرة الاشتراكية" المفتحة لـ"حكومة التغيير" دون نزع أشواكها المعيشية عن "القوات الشعبية" ظلت منسية. أو بمعية حزب "تقدمة و اشتراكية" قادم من شيوعية صارت كالفجل الأحمر بظاهره والأبيض بداخله. أو من كان مشاركا في معارضه "تعاردية" استقلالية سرعان ما تناسها من حولها كل همهم إلى اهتمام بإشراكم في ما حضر من الفرق الاستوزارية.
  - قد يحلو لمخاطبكم اختيار يسار اليسار. ليظل متسببا بتغيرات أيام زمان الشيوعية السوفياتية، الماركسية اللينينية، التروتسكية أو الماوية ... إيديولوجيات دخلة على مغرب ستينيات القرن الماضي، لا زالت بقائها بقائاما موزعة بين جبهة اليسار الديمقراطي والحزب الاشتراكي الموحد. خلال التشريعيات السابقة، في دائرة انتخابية يصل عدد سكانها 211000 نسمة، حصل التكتل اليساري على 211 صوتا.

### 3 - رجل هنا و رجل لهيه

حسب استقراء الرأي قامت به المندوبية السامية للتحطيط، 68% من المستجوبين يرون أن ثقتهم في الأحزاب منخفضة أو منعدمة. كما كشف تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي تفاقم الإحباط و الشعور بالفوارق و فقدان الثقة في المؤسسات التمثيلية. بينما أخبرت مؤسسة "افروبارومتر"، أن أقل من ربع المستجوبين راضون عن "طريقة اشتغال الديمocratie بال المغرب".

إنزال التمثيلية الحزبية إلى درجة الصفر أفقدتها الدور المنوط بها ك وسيط أساسي بين الدولة و المجتمع. لم ينفع معها كل ما جاء به دستور 2011 لوضع حد لاختلالات نسق سياسي لا زال يفضل استمرار النهج الريعي على تعديل النموذج التنموي الاقتصادي و الاجتماعي والمجالي. لأن هذا الدستور، كما جاء في خطاب ملكي، "ليس غاية في حد ذاتها و إنما هي وسيلة لقيام مؤسسات ديمocratie، تتطلب إصلاحات و تأهيل سياسي ينهض بهما كل الفاعلين".

بين الفينة و الأخرى، عملت الأحزاب على تجميع تكتيكي لأطراف أطيافها، كان الغرض منه خلق جبهات أكثر ثقلًا في موازين القوى حول اقتسام الحكم مع القصر. فتراكمت تجارب "الوحدة" و "التكلل"، بين أقلها استمرارا و أطولها عمرا :

• في المجموعة الأولى، هناك كتلة العمل الوطني (فبراير 1934)، ميثاق كتلة الشمال (جنبر 1942)، الجبهة الوطنية المغربية (أبريل 1951)، جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية المعروفة بـ "الفديك" (مارس 1963)، الكتلة الوطنية (يوليو 1970) بين حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية. ثم الجبهة марكسية - اللينينية التي جمعت بين "إلى الأمام" و "23 مارس" للمطالبة بـ "ثورة البروليتاري لإنشاء دولة العمال"... يحفة من عمال بلد فلاحي لا علاقة له بالثورة الصناعية.

• ضمن المجموعة الثانية نجد الكتلة الديمocratie المؤسسة يوم 17 مايو 1992 لاحتواء شتات "الحركة الوطنية" (حزب الاستقلال، الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية، منظمة العمل الديمocrati الشعبي، الطليعة الديمocratie الاشتراكية، حزب التقدم والاشتراكية، الاتحاد الوطني للقوى الشعبية). عرفت أولى تصدعاتها بانسحاب عبد الله إبراهيم من ما تبقى من الاتحاد الوطني للقوى الشعبية. يليه موقف التقدم والاشتراكية بعدما قرر

وحيه قبول دستور 4 سبتمبر 1992. قبل أن يقدم حزبا الاتحاد الاشتراكي والاستقلال مرشحا مشتركا لتشريعيات 25 يونيو 1993، بمعزل عن باقي الإخوة والرفاق.

تأكدت نهاية الكتلة الديمocrاطية بقبول برلمانيو الاتحاد الاشتراكي التصويت لرئاسة تجمعية لمجلس النواب. ثم كانت النهاية النهائية مع تشريعيات 2016، حين تمكّن الاتحاد الاشتراكي، رغم انهزامه انتخابيا، من رئاسة مجلس النواب، بفضل أصوات التقدم والاشتراكيه و بدون حزب الاستقلال الذي تم تعويض أصواته بالجمعين الدستوريين والحركيين والأصلة والمعاصرة.

• في باب محاولات التكتلات الظرفية، حضر "الوفاق" (بين الاتحاد الدستوري، الحركة الشعبية والحزب الوطني الديمقراطي) كتربيع انقالى لتكوين حكومة سد فراغ في انتظار نجاح مفاوضات ثانية لإشراك المعارضة البرلمانية في تجربة "تناوبية" لا تخرج من صناديق افتراضية.

بعد خروجه من الحكومة، دخل "الوفاق" معارضة مرقبة ومحشمة، بأحزاب يتزعمها من لا يعرفون إلا السباحة مع التيار. في محاولة يائسة للعودة إلى الحكومة في أفق استحقاقات ما بعد دستور 2011، كونوا مجموعة نعتها الصحافة بـ G8. أرادت التصدي الانتخابي للموجة الإسلامية الصاعدة. فأضحت محاولة ارتجالية نظمها هاونون تبعهم غاونون بدون مصداقية. في تحالف من الخيمة خرج مายل، جمع بين "عماليين" بين عتيقين و ليبراليين دستوريين وبعض المنشقين عن العدالة والتنمية و ما تبقى من بقايا الحزب الوطني الديمقراطي و حركيين متحركين مع كل من يعمل بالشعار الأولمبي: "المهم هو المشاركة" !

بعد تشريعيات 2011، لم يبق من "وفاق" تنافي إلأ ثانية عزيز أخنوش (العائد، بعد خمس سنوات لرئاسة حزب "أغراس-أغراس") و محمد ساجد (المحمول بمؤتمر المصتفين لرئاسة الاتحاد الدستوري). دخلا حكومة ادعوا أنها "قوية" برئاسة ثانية للعدالة والتنمية، يشاركان بحزبين عرفا النتائج التشريعية الأكثر ضعفا في حياتهما الانتخابية.

بعد ثلاث سنوات، اعترف حسن عبيابة، الناطق الرسمي باسم الاتحاد الدستوري أن "الأحرار" كان يفاوض عن "الدستوري" بالوكالة في ظروف غامضة، معتبرا أن "المسار الثقة كان يجب أن يكون بين الحزبين وبين الفريقين قبل أن يكون بين المواطنين والمواطنين اليوم يعرف جيدا الأحزاب القوية لذاتها و الأحزاب القوية بغيرها". عن أية قوة يتحدث، بعد ما بقي لحزب بدأت ولادته كأول فريق برلماني لينتهي مضطرا لقبول التحالف مع اللئي بغا يكملي بيها؟.

#### 4- المعارضية الويكандية

في باب تفضيل البوئية على الديمقراطية الداخلية ، كانت صفة على خد بشناس مناسبة لتأكيد المحل الصحفي منير أبو المعالي بأن هذا العنف ليس دون سوابق. فهو "وسيلة التغيير الرئيسية للقيادة في بعض الأحزاب. كما كان أيضاً الامتداد الطبيعي للاختناق السائد في الديمقراطية الداخلية". حصل ذلك يوم طلب عبد الرحيم بو عبيد، وهو الرجل الذي يقسّم الاتحاديون كثيراً، سيارات الشرطة لتوقيف رفاقه الذين كان لديهم رأي مختلف حول ما يجب أن يكون عليه مستقبل الاتحاد الاشتراكي. توبيخ الأممي كان واحداً من اليساريين الذين لديهم عقدة مميزة بشأن الطبيعة المثالية التي ينبغي بها فرض القرارات باستعمال العنف .. لقد كان لمعبد الأممي حراس لا يجدون حرجاً في طرح المعارضين أرضاً ثم جر جرائمهم إلى الخارج. بيد أن العنف ليس خاصية لدى اليسار وحده فاليمين أيضاً يظهر براعته في ذلك. حميد شباط كان نموذجاً لا ينبغي الاحتذاء به. في مؤتمر الاتحاد العام للشغالين بالمغرب، حيث أطيح بالزعيم عبد الرزاق أفيال، كانت ملحمة "الكلاب المدربة" هي الفيصل بين ماضٍ كنديب ومستقبل مظلم .. الكلمة التي سددتها شباط لوجه عزيز اللبار في البرلمان لم تكن سوى إعلان للثبات على مبادئ قديمة ... لم يطُو العنف من حزب الاستقلال على كل حال، وكان للكراسي المتطايرة في مؤتمره الأخير المفعول الجوهري في بناء هيكل الحزب، أي منح حمدي ولد الرشيد السلطة المطلقة ..."

أما شباب الجيل الجديد الذين كنا نتمنى براكتهم في نهج التحاور الإيجابي، فقد دخلوا الديمقراطية الداخلية بضدّاً عهم. أبريل 2019، أصدر وزير التربية الوطنية و التعليم العالي قراراً يقضي بمنع الأنشطة الطلابية داخل الحرم الجامعي بسبب ما تشهده بعض المؤسسات الجامعية من اصطدامات و مواجهات عنفية خلال النظاهرات. بعدها تحولت ملستانات بين أعضاء المكتب التنفيذي لشبيبة "الميزان"، وبين أنصار بركة و الموالين لولد الرشيد، إلى إصابات تطلب إحضار سيارات الإسعاف !

يشترط الدستور "أن يكون تنظيم الأحزاب السياسية و تسخيرها مطابقاً للمبادئ الديمقراطية". رغم ذلك، عرف "المسلسل الديمقراطي" عدة حلقات انعدمت فيها الديمقراطية الداخلية، تخللتها مشاهد انتشار البعض في أرض الله الواسعة ودخول آخرين لغرف ولادة حزبية - نقابية منعدمة القيمة التأطيرية المضافة، أسفرت على :

- أحزاب أنجبت أحزاباً أخرى، على غرار الاستقلال الذي خرج منه الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم من الاتحاد الوطني نحو الاتحاد الاشتراكي، فالاتحاد الاشتراكي نحو الطبيعة الديمقراطية الاجتماعية، ثم من منظمة العمل الديمقراطي الشعبي إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي، و من

حزب المؤتمر الوطني الاتحدادي إلى الحزب الاشتراكي، ومن التقدم والاشتراكي إلى حزب الجبهة الديمقراطية، ومن الحركة الشعبية إلى الحركة الوطنية الشعبية، فالاتحاد الديمقرطي إلى حزب العهد. و من التجمع الوطني للأحرار خرج الحزب الوطني الديمقرطي، ثم حزب الإصلاح الديمقرطي. و لا زال العاطي يعطي... .

• أحزاب أنجبت مركزيات نقابية، فحضرت ثانيات الاتحاد الاشتراكي- الكونفدرالية الديمقراطية للشغل، و حزب الاستقلال - الاتحاد العام للشغالين، و العدالة والتنمية- الاتحاد الوطني للعمال المغاربة، و الأصالة والمعاصرة- المنظمة الديمقراطية للشغل.

• حزبين خرجا من رحم نقابي: المؤتمر الوطني الديمقرطي من «سي دي تي»، و (لو بدون سبق إصرار و ترصد) حزب القوى الديمقراطية من المركزية الباطرونية.

• 3 نقابات خرجن من رحم حزبي ، تفرعت عن الاتحاد الاشتراكي: الكونفدرالية الديمقراطية للشغل CDT، الفدرالية الديمقراطية للشغل FDT، المنظمة الديمقراطية للشغل ODT.

• أحزاب خرجت من تيارات جموعية، على غرار جمعية مغرب 2020 المتحولة إلى حزب رابطة الحريات، الجمعية المغربية للتنمية المحلية المتحولة إلى حزب العهد. كما أسس فصيل الوفاء للديمقراطية الحزب الاشتراكي الموحد خارج الاتحاد الاشتراكي. و تحركت حركة الإصلاح الديمقرطي من داخل منظمة العمل الديمقراطي الشعبي. كما مهدت الحركة من أجل كل الديمقرطيين لترعرع حزب الأصالة و المعاصرة.

فصار لا فرق بين الحزب النقابي و النقابة الحزبية، و بين حزب الجمعية و جمعية الحزب !حتى أصبت كل المعارضات و كل الأغلبيات بشتى حالات انقسام الشخصية: بعد معارضته من أجل المعارضة، حضرت معارضه بمساندة نقدية حفاظا على رجل هنا و رجل لهيـه. و معارضه تصوت لمرشح الأغلبية، عملا بشعار كلاشي نيلانا. بل هناك معارضة داخل الحزب المعارض، إذ ترى رئيسة المجلس الوطني الأصالة و المعاصرة أن حزبها "السقوط في مستنقع الانتهاية و خدمة المصالح الشخصية". قبل أن يرد بنشر غسيل ملياريiras حزبه، وصفهم بالأخطبوط الذي يريد الاغتناء بالصفقات و بيع تزكيات الانتخابات! بل هناك معارضه داخل الحزب الأغلبي بين صقور بيجبية و الجبهة الاستوزارية...

و هناك معارضه للحكومة من داخل الحكومة، حين اتهم وزير تجمعي حكومة يقودها حزب يراه "يحمل مشروعـا تخـيلا يسعـى إلى تخـيرـ البلاد". دون نسيان من يغادرون مكاتبـهم الوزـارـية المـكـيفـة و يـزـيلـون "الـكـرافـاطـة"ـ الحرـيرـية، لوضعـ رـجـلـ ثـانـيـةـ فيـ المـعـارـضـةـ الـويـكـانـيـةـ، يـطـرحـونـ إـشـكـالـاتـ اـجـتمـاعـيـةـ وـ اـقـتصـادـيـةـ وـ ثـقـافـيـةـ لاـ يـتـذـكـرـونـهاـ خـلـالـ أـيـامـ الـأـسـبـوـعـ الـمـتـبـقـيـةـ.

و هناك اللي معارض راسو في مواقف سكيزوفرينية، على غرار مصطفى ضد الرميد في "ما قلته على القضاء كان بصفتي الحزبية، وأنا كوزير أقول بأن القضاء مستقل". أو حين اعتبر أن "حقوق الإنسان في المغرب كالقهوة نص نص" ! و عندما خاطب مصطفى الخلفي العمال البيجبيين بمناسبة فاتح ماي بمدينة القنيطرة قائلا: "إلى عندي حكومة مكتسمعش للعمال ومعندهاش القدرة على إنصافهم ميمكنش تتقادمو للقدام".

و هناك من يغير رأيه حسب زمان و مكان كيان كل النعم ! فقد وصف محمد الأشعري (الوزير الاتحادي السابق) دخول حكومة سعد الدين العثماني بالخطيئة لأن "ما يفرق بين الاتحاد والحزب الإسلامي فكريًا وبيولوجيًا أكثر مما يجمع بينهما". ونسى "خطيئة" قبول نفس الاتحاديين المشاركة في حكومة يقودها إدريس جطو بدلاً من أن تؤول قيادتها للاتحاد الذي كان قد احتل الصف الأول خلال تشرعیات 2002 . نفس "المنهجية الديمقراطية" طالب بها محمد اليازغى، قبل قبول دخول الحكومة بدونها. بعد خروجه، عاد ليقول إن "النرجسات التي يعرفها المغرب هي التي تؤدي إلى اضعاف الأحزاب السياسية". أليسعكس هو الأصح؟

قبلهم، كشاهد من أهلها، اقترح محمد حفيظ، (الرئيس السابق للشبيبة الاشتراكية)" إعادة النظر في التقسيم الشائع بين الأحزاب الإدارية وأحزاب الحركة الوطنية" ، مشيرا إلى " ظواهر التواطؤ عند الفريقيين". بل اقترح محمد الساسي (مؤسس الحزب الاشتراكي الموحد) " المرور من مرحلة اليمين الإداري إلى مرحلة اليسار الإداري". كما حذر الاتحادي المرحوم محمد باهي من "إغراءات الحصول في نفس الوقت على منافع قبول السلطة مع الحفاظ على شرف المعارضة" !

كل هذا يؤكّد ما كتبه الباحث John WATERBURY: "يتجنب المغربي بشكل غريزي المواقف الجازمة. فإذا اضطر إلى الاختيار بين جماعتين، يعمل كل ما في وسعه للبقاء على اتصال بالجماعة التي أرغم على الابتعاد عنها علينا. لأن الأنساق السياسية الانقسامية لا تعرف هزائم نهائية. و ما الانتصارات إلا شيء مؤقت، يفرض التوازن عودة المهزومين مهما طال الوقت" !

## 5 - الريع السلطوي

البلقنة الحزبية ليست نتيجة تباعد الحساسيات الفكرية، و لا هي غياب التوافقات الديمقراطية الداخلية، بل هي تعبر عن الحزازات الأنانية بين الباطرونات والبارونات لتقريب الاستفادات من محيط الزعامات. مع حضور ييكوري لما يسمونه "منظمات" موازية للأطر، المرأة أو الشباب، عادة ما يتم تسخيرها لتأثيث قاعات مؤتمرات في حالة "انضالية" مزرية.

بل هناك تداخلية قد نجدها داخل نفس الحزب بسبع حضاري الإصلاحيين والمحافظين واللبراليين والإسلامويين والشعبيين والتقديميين والاشتراكيين... ألم يستطع ادريس جטו الجمع، داخل نفس البيت الحكومي، بين القادمين من الشيوعية، ومن جاؤوا من الاشتراكية، و من ينادون باللبرالية، و من قدموا من كبريات الوحدات المقاولاتية أو العمومية ، ومن يحسبون على "أعيان" الدوائر الفروية أو من تخرجوا من مدارس القنطر و الطرق الفرنسية؟...

خلال ترأسه لحزب الاتحاد الدستوري، اعترف عبد اللطيف السملالي كف "الصقت بنا الانتخابات نماذج بشرية لا علاقة لها بفكرنا وسلوكنا، لكنها استطاعت أن تكون قوة ضغط على باقي المكونات الحزبية". بدوره، أشار القيادي الدستوري محمد العلوى المحمدى إلى "لِيقاف جهوننا التاطيرية، لأن ادريس البصري استطاع عند كل استحقاق انتخابي أن يدس بين المتنخبين بعض رجاله المقربين، حتى صار تهميش الأطر المؤسسة واضحا أمام هيمنة تلك الفئات على تكوين المكاتب السياسية". لو كان فعلا الأمر كذلك لانتهى بنهاية ادريس البصري. لكن البيت الدستوري لا زالت تحكم في مفاتيحه نماذج بشرية أكثر بصرية من البصري!.

يوزع عبد الله العروي المغرب الحزبي إلى خمس اتجاهات: اليسار الحداثي، اليسار الوسطي، الوسط اللبرالي، الوسط الجوهري (*régionaliste*)، اليمين الشعبي. تقسيم أراه أكثر "تبرهيشا"، منحصرًا في مجموعتين: من هم في الحكومة، ومن ينتظرون "النوبية". تقسيم بعيد عن مقاييس عبد العزيز أفتاتي (القيادي في حزب العدالة والتنمية)، عندما يرى أن "هناك أحزاب أنشئت لحماية مصالح نافذين، كما أن هناك أحزاب أنشئت أساسا لأجل العدالة الاجتماعية و مناهضة الاستبداد و هذا شأن فصائل يسارية و إسلامية". ننتظر من شكار لعروسة أن يدلنا على دار العرس ! الواقع اليومي يعطي الدليل أن اللعنة الريعية الحزبية-النقابية اختزلت كل "التجربة الديمocratique" في الحصيلة الاستوزارية. فلم تتطلب مفاوضات تكوين الفرق الحكومية أدنى نقاش برنامجي، بل اكتفى عندهم كل ما ينتظره النموذج التموي بالحد الأدنى من توافقات مفاوضات ما بعد الانتخابات. نموذجهم: نيرونا وزراء و من بعد نشوفو ما نليرو !

البعض يرى أن مجرد إصلاح المنظومة القانونية الانتخابية يكفي لمواجهة البلقنة نحو قطبية حزبية. بل هناك من يرى في نمط الاقتراع و العتبة و تقطيع الدوائر "أسلحة" تدخل السلطات لإعادة إنتاج الهيمنة الإدارية الوصيحة غالبا ما زكى هذا الرأي استغلال المفهوم القديم للسلطات الترابية خلال "تنظيم" الاستحقاقات الانتخابية، خصوصا أيام غياب كل ثقة بين القصر و الأحزاب السياسية. اعتبرت بعض السلطات أن ما تقوم به هو لمواجهة المد الاشتراكي- الشيوعي و النطرف اليساري، بدعوى الدفاع عن المؤسسة

الملكية. لكن تلك السلطات زارت فيه وتجاوزت "تسهيلات" نمط الاقتراع بإضافة التدخلات المباشرة في كاستين الترشيحات و الرئاسات، إلى حد الحديث عن أحزاب إدارية.

كان التعامل الحكومي متسرعاً و منعدم التواصل بخصوص زيادات معيشية فرضها "مخطط إعادة الهيكلة البنوية" Plan d'ajustement structurel. فركبت أحزاب و نقابات "الرصيد التاريخي" موجة الغضب الشعبي، لتحويل مطلب معيشي إلى موقف سياسوي يتلوى تحريك موازين القوى تجاه المؤسسة الملكية. فأدت إضرابات بداية الثمانينات و ما تبعها من محاكمات قيادات نقابية و حزبية و سجن العديد من المشاركين في أعمال تخريبية. لتهندي الدولة إلى مقاربة أمنية "بصرية"، عملت على تقسيم الدار البيضاء إلى عمالات تضم كل منها عدة جماعات.

اقتربت أنداك على رجل سلطة في منطقة كاليفورنيا البيضاوية ذات الفيلات الشاسعة المحاطة بالدواوير الصفيحية (اقتربت) المساهمة في مقاومة اقتصادية اجتماعية محلية تجمع بين حاجيات المنطقة و مبادرات القوى الحية المحلية. فكان إنشاء "مجلس العمل الاجتماعي" لدائرة كاليفورنيا.

خلال جماعيات بداية الثمانينات، ترشحت لأعيش أول خيبة أمل في تجربتي الحزبية. عند اختيار رئيس المجلس، تمت دعوة الناجحين بلون التجمع الوطني للأحرار إلى حضور جلسة تنسيقية مع أحمد العسكري، المنسق الجهوي الذي سيطلب منا التصويت من أجل رئاسة الجماعة لفائدة الاستقلالي الوحيد بين أعضاء المجلس. و هكذا تميز أول لقاء لي كواحد جديد مع مؤطر حزبي يأمرني بالتصويت لحزب ثانٍ. كانت هذه الصفة الأولى!.

غادرت "الأحرار" الذين سلبوني حرية انتهائي قبل الإدلاء بصوتي. خلال الجماعيات الموالية، تمنت من الرجوع إلى المجلس الجماعي بحظوظ ظننتها سانحة لترشحه للرئاسة، بعد تحويل انتهائي الحزبي نحو الاتحاد الدستوري. لكن الرياح السلطوية جرأت على لتأتي بما يشهده مرشح "الأعيان" بفلوس و خا يكون عيان! سرعان ما تمت تزكيته من حزب أخذ مني كتابتي لخطاب الرئيس في افتتاح مؤتمره الثاني، لكنه ما عقاش على حين كنت أولى برئاسة مجلس جماعي! و هي الصفة الثانية التي ستردني إلى صواب ابتعادي النهائي على كل انتماء حزبي!

نعم، على أبواب مرحلة جديدة قوامها "المسؤولية" و "الإلاع الشامل"، ربط خطاب العرش حلول "جيل جديد من المشاريع" بحضور "نخبة جديدة من الكفاءات في مختلف المناصب و المسؤولية، و ضخ دماء جديدة، على مستوى المؤسسات و الهيئات السياسية و الاقتصادية و الإدارية! ...". لكن المشكّل ليس في تواجد الكفاءات بل في إغفال أبواب دخولها من طرف الدافعين نحو أرض الله الواسعة، لترك المجال لانتهازية "استثمارية" انتخابوية، مؤدية إلى "تمثيلية" عائلية أو حزبية أو نقابية ريعية.

لتتأكد ذلك، اسمحوا لي، بدون أدنى تباكي و إنما لأخذ العبرة من مصابي، أن أذكر بأن هناك في بلدي عداوة ممنهجة ضد كل كفاءة مشاكسة قد تضع العصا فالرويدة المحركة لكل "مفاوضات" الوجبيات الاستفزازية باسم بناء الديموقراطية. عندما تنكر لي "حزبي" و هجرني لحظة ترشি�حي لرئاسة مجلس جماعي، وقف ضدي عامل مدلل مقرب من أب "أم الوزارات"، متحكما في "تعيين" عمدة عليه العمدة إلا في الكفاءة، ففتح اجتماع "أغلبته" بمطالبتها التفكير في "تاك تاك" (و لم يقل تاك تاك) لمواجهة المعارضة! و لم يغفر لي اجتهاد تعليم ثانوي جعلني خلال إحدى الدورات التلميذ المحصل على أعلى معدل بين كل اقسام ثانوية محمد الخامس. و لم تغفر لي دراستي بجامعة إكس-مارسيليا التي استقبلت بعدى الطوزي و البركة. و لم تغفر لي رئاستي السابقة لمصلحة الدراسات بالقرض العقاري و السياحي قبل تفضيلي التدريس الجامعي. و لم تغفر لي، بالموازاة مع تدريسي الجامعي، رئاستي تحرير يومية بالعربية و مديرية تحرير أسبوعية بالفرنسية. و لم تغفر لي ازدواجيتي اللغوية، جعلتني بين الأساتذة الفلائل الذين درسوا بالعربية و الفرنسية... تأكيدت منذ ذلك الزمان أن الريزواد - و بعض التنازلات و الانحاءات و "الخدمات" الأخرى- أكثر بكثير من الكفاءات! رأيت رئاسة جماعة ذات قيمة عمرانية بيضاوية استراتيجية تؤول إلى مستورد للخشب، ثم بائع مواد البناء، فمستخدم بتوزيع الماء و الكهرباء... قبل حلول الفتح الإسلامي الذي يكفيانا فيهم يكفوني الشعبي. فتذكرت قصة زمان بعيد تحكي عن معاون يخدم رجل سلطة. اقترب من سعادته و اخترق هيبيته ليسأله متى يأتي دوره في المال و الجاه. أجابه سيده: "أدع مع الزمان يرجع اللور باش انت تزيد لقادم".

حتى بعد إنتهاء الحرب بين "الحزب السوري" و "الحزب الانقلابي"، لم يخف كليا التدخل السلطوي. فقد حول بعض رجال السلطة "الدفاع عن المؤسسات الدستورية" إلى تقرب انتهازي من الدين دخلوا الساحة الانتخابية من أجل فتوحاتها الانتفاعية. عقليات لا زالت قائمة رغم ارتفاع جدية مواجهتها في السنين الأخيرة. يؤكدنا فتح تحقيق مع ولاة و عمال سابقين لمعرفة مصدر الثروة التي راكموها و التي يتم تبرادها عدة سنوات بعد تحصيلها، عند تبييضها في مشاريع باسم ذويهم، تتجز على بقع أرضية في موقع إستراتيجية تم اقتناها في تجزئات حصلت على رخص استثنائية، سواء داخل المدار الحضري أو عند التأشير على تحويل أراضي فلاحية أو سلالية إلى تجزئات سكنية. كما كشفت تحقيقات أن بعض العمال تحولوا إلى حماة لمنتخبين يملكون مقالع رملية و حجرية خارج الضوابط القانونية. مرت سنون عديدة على مطالبة ملكية بمفهوم جديد للسلطة قبل أن تعلن وزارة الداخلية تنحية العديد من من رجال السلطة بسبب أخطاء مهنية، من أبرزها تجاوزات شابت تدبير مخططات انطلقت بتوجيهات ملكية.

## II فصول الميركاتو...

حسب المتنبيات الدستورية "تعمل الأحزاب السياسية على تأطير المواطنين و تكوينهم السياسي و تعزيز انخراطهم في الحياة الوطنية وتساهم في التعبير عن اراده الناخبين و المشاركة في ممارسة السلطة على أساس التعديلية و التناوب بالوسائل الديمقراطية". متنبيات لا زالت بعيدة المنال، حسب تقرير مؤسسة "افروبارومتر"، يأتي المغرب في المركز ما قبل الأخير ضمن أسوأ الدول التي لا ترق شعوبها في الانتخابات. بل فيينا من يعمل على تشويهها بعد انتشار المصوتيين بأوراق انتخابية بالوان نقدية!

### 6 - "الرصيد" ، بين التاريخي و المالي

خلال المؤتمر الجهوي السادس المنعقد بالرباط، طالب محمد كسوس عضو المكتب السياسي الاتحادي بـ" إعادة توزيع السلطة بين مختلف مؤسسات الدولة" ، من خلال "الميثاق جديد يحدد بوضوح مسؤولية عاهل المملكة، الوزير الأول وأعضاء الحكومة"

ليست هذه المرة الأولى التي يطالب فيها حزب بنبركة و بوغبيه بميثاق مع المؤسسة الملكية، عوض الاحتكام إلى دستور يوزع السلطة ويحددها بين كل التنظيمات الحزبية، النقابية و المهنية حسب النتائج الانتخابية. إلا إذا كان "التوافق التاريخي" يعني في نظرهم تحصيل فوائد "الرصيد التاريخي" ، يعتبرون أنهم كيخلصوا على ماضي سياسي هم غير مسؤولين على حاضره الاقتصادي و الاجتماعي.

كل حسب تراجع ثقله في موازين القوى الربيعية، لم يبقوا وحدهم في سوق المزايدة بـ"الإصلاحات الدستورية من أجل ملكية برلمانية". فقد طالب المصطفى الرميد (منذ 2004 في حوار إلى جانب عبد الحميد أمين) بملكية تسود و لا تحكم. بل في عز رئاسة بيجيبيه حكومية، نشر الموضع الرسمي لحزب العدالة والتنمية ( يوليو 2018 ) تسجيلا للمداخلة التي ألقاها البرلماني والقيادي عبد العالي حامي الدين خلال أشغال ندوة الحوار الداخلي. قال خلالها إن "المؤسسة الملكية في شكلها الحالي معيبة للتقدم والتطور والتنمية وإذا لم تتغير لن يكون مفيدة لها وللبلاد". وأضاف : "أومن أنه إذا كان لم يحصل تغيير في شأن النظام الملكي فإنه لن يكون مفيدة لا للملكية نفسها ولا للبلاد. لذلك يجب أن نساهم في تغييره على ضوء مرجعية مكتوبة" ... و عند

كلامه عن "إصلاح النظام السياسي" يرى "في جوهره إصلاح النظام الملكي بالطرق السلمية عن طريق المفاوضات". مؤكداً أن "حزب العدالة والتنمية يملك تفویض شعبي يسمح له بالدخول مباشرة في مفاوضات مع الملكية حول طاولة مستديرة على غرار ما وقع في إسبانيا من أجل تحقيق الانتقال الديمقراطي" ... متى و كيف كان للحزب كل هذا التفویض؟

بدوره، اعتبر عبد الإله بن كيران أن العدالة والتنمية واجهت لوحدها عواصف الخريف العربي. كان ذاكرة اللامبة انطفأت عن ذكر ما قامت به المؤسسة الملكية عند استثمار رصيدها الديني و التاريخي و الإصلاحي الدستوري لجعل البلد في مأمن من الدخول للمجهول.

عدة "ثورات" عربية انتهت في حضن العسكر. على ذكر ما سمي تجازا بالربيع العربي، هناك فرق شاسع بين الثورة وفتنة، بين إرساء الديموقراطية او فتح المجال، باسم أوكلوغرافية *L'oclocratie* (حكم الجماهير أو الحشود)، للانهازية العسكرية أو الشعبوية أو الغوغائية الجهادية الظلامية. أي ربيع في ليبيا المنقسمة لمساندة جنرال متقادع يريد الرجوع إلى نقطة انطلاق العسكرية القدافية؟ و أي ربيع في "أم الدنيا" المضطرة للذهاب إلى صناديق الاقتراع لإرجاع الرئاسة العسكرية؟ و أي ربيع سوري يقتل أطفالا و يشرد شعبا تحت نيران فصائل تحارب لحساب مصالح خارجية؟ شعوب تؤكد ما كتبه فيكتور هيکو عن "شقاء يدفع بالشعب إلى الثورة، لكن الثورة قد ترجع بالشعب إلى شقائه". مضيفا أنه "غالبا، الشعوب تخونها الحشود" ! *Souvent la foule trahit le peuple*

## 7- "أرض الله الواسعة"

قليلاً ما نسمع عن الاستقالة في الأحزاب و المراكزيات النقابية، لكن غالبا ما اعتادت على الترحال بينها أو الرحيل منها نحو "أرض الله الواسعة". مع استثناءات تؤكد القاعدة، أشهرها مغادرة محمد عابد الجابري للمكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي، بعدما عاين تناقض سوء التدبير المالي للجريدة الاتحادية مع ما كانت تكتبه حول "الفساد المالي و الإداري". كما انسحب مصطفى القرشاوي للاحتجاج على تدبير الانتخابات التشريعية 1977 من طرف قيادة الاتحاد الاشتراكي .

في حالات أخرى، أدت المغادرة الطوعية للمركزية الحزبية أو النقابية إلى فتح وكالة فرعية. ليس من أجل قناعات برنامجية، بل لدخول الحلبة الانتخابية من موقع المحسوبين على "زعماء" أحزاب العديد منها يشبهه الجيوش المكسيكية، جنرااتها أكثر من جنودها!

في الديمقراطيات الغربية، رأينا وزراء يقدمون استقالتهم لمجرد شراء أشياء تافهة على حساب المال العام، أو بمجرد فتح أعمدة الجرائد لأفعال

مسينة لصورة أحوالهم الشخصية. عندها، تحت إشراف مؤسسة "أنابيك" anapec الرسمية، دفع ثلثون ألف مرشح للعمل بعرض البحر 900 درهم للراس لشركة إماراتية تخلت عنهم بدون إرجاع الملايين المحصل عليها وبدون محاسبة - ولو سياسية - لوزير الشغل والتضامن الذي قبل ترقيته بعد بضع شهور لدرجة وزير أول!.

وعلى وقع فضائح الشكولاتة والكراتة وخلط العمل العمومي بالزواج الحكومي، اكتفى الوزراء الثلاث بقبول إعفاءهم دون تقديم استقالتهم، حتى يضمنوا معاشهم دون الابتعاد عن الاستفادة من مناصب مغوضة بتمثيلية برلمانية أو رئاسة جماعية ترابية. فسياسيونا، مهما استقالوا أو أقيلوا أو "زلزوا" ، لا يذهبون بعيداً عن منابع المنافع! ربط المسؤولية بالمحاسبة لا يمكنه أن ينحصر في مسائلة بدون متابعة.

بل لا يخرجون عن حوار مسرحية بحاطية، على غرار عبد الإله بن كيران الذي قال أكثر من مرة إنه فكر في استقالة أبداً لم يقدمها، أو ادعاء إلياس العماري أنه سيفضح من "نبيحوا/الدستور" ثم جمع وطوى، أو حميد شباط الذي هدد بمقاطعة الانتخابات ثم دخلها و معه كل الفاميلا، أو إدريس لشكر حين عبر عن غضبه من نتائج الانتخابات الجهوية بسبب من "مهندس ويفصل في المشهد السياسي" ثم سكت عن الكلام المتاح.

## 8- تشي كيفارا و المرشدون

كما لكرة القدم ميركاتو آخر الصيف و آخر السنة، هناك رحل داخل نفس الغرفة ورحل بين غرفتي البرلمان، و رحل نحو الجهة الغالبة المساندة للرئاسة الجماعية. كما يعاد فتح الحزب الغفور الرحيم للراجعين للحبيب الأول، بعد تجولهم بين الأحزاب، بشعار "تبادل المنازل راحة". ليبقى الرقم القياسي بحوزة رئيس فريق سابق للحركة الشعبية بمجلس النواب، تمكن ست مرات من قلب الفيستة.

خلال 30 سنة نيابية، مر ميلود الشعبي من حزب البيئة و التنمية المستدامة إلى حزب الاستقلال ثم إلى العدالة والتنمية، قبل حمل قميص حزب التقدم والاشتراكية. لتمر كل الرحلات بدون حرج، مadam قد اعترف أنه "غير محتاج للحزب، لأن الأحزاب السياسية هي اللي تحتاجة لي!"

لا عجب إذن أن يبرر ولد العروسي المراكشي ترشيحه بلون الاتحاد الاشتراكي بكونه "اللون الوحيد الذي وجنته بعد نفاد لوگووات (logos) الأحزاب الأخرى". و قبله برر بوعزة يڭڻ تزكيات الإتحاد الديمقراطي لترشيحات غير مقنعة بكون "الناخبين يختارون الأشخاص وليس البرامج أو الأحزاب، لأن البرامج تتشابه كلها في آخر المطاف".

تقىل الأحزاب ترشيح كل واحد جديد على دائرة انتخابية مربوحة، مadam

الهدف هو الحصول على فريق برلماني أو رئاسة جماعية أو جهوية، تضمن دخول الحلبة السياسية، و لو بنماذج بشرية لا يهمها البحث عن أنجع النماذج التنموية. مادامت اللعبة الانتخابية مفتوحة لمن ليس لهم حتى الشهادة الابتدائية، من أجل سلطات موسعة بتمثيلية تزداد نسبية و تقل شعبية.

أحياناً، تدعى أشباه "النخب" السياسية الحزبية، النقابية، الحقوقية أو الجماعية أنها لاصقة في مناصبها لحماية المؤسسات، بما فيها الملكية. يوهمون و يتوهمون أنهم لو غادروا "الز عامة"، سيتركون الفراغ لمؤسسات غير قادرة على ملأه. إنها تبريرات لإقبال التداول والتناوب وفتح الفرص للكتاءات الصاعدة. لأن "الرهانات التي يواجهها المغرب كبيرة و المرحلة تتطلب أن يجعل المغرب بلداً للفرص وليس للانتهازيين"، كما حذر الملك في خطاب الافتتاح لدورة تشريعية.

كيف يمكن إرجاع النقمة في "مسلسل" انتخابي "ممثلوه" هم أول المشككين في نوايا السيناريو و لقطات الإخراج؟ عندما صرخ رئيس الحكومة أمام دويه بيجددين: "لا أشك في أن هناك من سيجمح الناس بالمال و الإغراءات وسيكتئ على الإداراة لكي ينجح". أو حين يربط نبيل بن عبد الله، "استقرار المغرب باستقلالية الأحزاب السياسية"، معتبراً أن "الخير الوحيد الذي يجب اتخاذنه في المغرب هو ترك المؤسسات والأحزاب تشتغل بشكل حر ومستقل وفتح المجال لتنافس حقيقي دون تدخل من الدولة".

هذا ممكن لو أن أشباه النخب لم تستغل الخلط بين أوراق انتخابية و أوراق مالية. مع عزوف الأغلبية الصامتة المؤدي إلى المزيد من إضعاف التمثيلية. بعدها أدى تخفيض عتبة النمط الاقتراعي إلى احتساب أقل الناخبيين وعيا وحسناً وطنياً وأكثرهم احتياجاً، ضمن أصغر قاسم مشترك يقدم أقل المنتخبين نزاهة و كفاءة ! استطاع "مستثمر" الانتخابات تغيير "فلسفة" الاقتراع باللائحة، بعد تحويله لاقتراع أحادي، باستخدام من يقبلون تسخيرهم كأرانب سباقات العاب القوى، يجررون متزعم الكوكبة ثم ينسحبون.

مهما تغير النمط الاقتراعي، لن يضمن حتماً علاقة جدلية بين المحتوى الانتخابي و المستوى التمثيلي. لأن العملية الانتخابية ليست حسابية فقط، بل تعود إلى جودة التأطير واستقطاب نخب واحدة وعقليات متعددة وكفاءات قادرة على حرکية تنموية محلية.

مع احتمال تحويل الديمقراطية العددية إلى عدو للديمقراطية التمثيلية، لو استمر اخترالها في عملية انتخابية حسابية مكنته "النازية الهتلرية" من الخروج من صناديق اقتراعية. أو على غرار ما حدث في الجزائر سنة 1991، عندما اكتسحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ الدوائر الانتخابية الجماعية بأقل نسبة من الأصوات المحصل عليها من مجموع الأحزاب المنافسة. لأن أكثر من نصف الناخبيين الجزائريين قاطعوا مكاتب التصويت.

أما خصوصية اللامبة فلا تعني " الشعب اللي كيصوت علينا" كما يدعى

البيجيدي. بل "شعبه" المهيكل عبر العمل الجماعي، الإحساني و الدعوي، المعزز بالعزوف عن التصويت و بمن لم يصوتو لصالحه بقدر ما صوتو ضد الآخرين.

## 9- شبيبات شابيات

أصدرت المنظمة الطلابية في بداية السبعينيات بلاغا يطالب بتطبيق "الماركسية اللينينية الحقيقة" التي ستصود ثورة شاملة واضعة حد للهيمنة الرجعية وتردد الأحزاب السياسية". بل عرفت هذه الحقبة ظهور "الشبيبة الثورية" التي ستغادر النهج الكيفاري(guevariste) والشروع في حركة تنظيمية جديدة على الطريقة الصينية. ليعتبر مؤتمر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب المنعقد سنة 1963 أن "من بين المهام المستعجلة للحركة الطلابية إسقاط النظام ووضعه بين يدي القوى الحية للبلاد". لا أحد فسر أندادك ماذا يعنيون بالقوى الحية. هل تلك الشبيهة في ذلك الزمان الانقلابي العربي بـ"ثوار" الثكنات العسكرية الانقلابية التي أنت بعد الناصر المصري و النميري السوداني و القذافي الليبي و الأسد السوري !

على منوال التفريخ الحزبي، تفرقت الجموع الطلابية، انتلاقا من الاتحاد الوطني لطلبة المغرب الموالي عند شأنه للنزعنة الماركسية-لينينية. ثم توالت الانقسامات التي أفرزت فصائل الطلبة الديمقراطيين، الاتحاديين، التقدميين، الاشتراكيين، القاعديين، الطلقاعيين. مع تغييب مستمر للإتحاد العام لطلبة المغرب، بعد توافق سوء استقبال الحرث الجامعي للمولود الاستقلالي.

استمر تهاطل الفصائل، كمنظمة التجديد الطلابي التابعة للعدالة والتنمية أو القاعديين أو البرنامج المرحلي أو القاعديين التقدميين... بل هناك من لازال إلى اليوم يحن إلى "بروتوكولي" المنسي حتى في بلده أو إلى لينين الذي أنزل تمثاله حتى في معلمه. كما لازالت علامة الشيوعية واضحة في أقوال و أفعال طلبة النهج الديمقراطي القاعدي. دون نسيان التيار الأمازيغي و التيار الصحراوي المنقسم بدوره بين مساند للوحدة الترابية و انفصالي "بوليزاريو الداخل" (?).

لم يخرج شيء كيفارا وكارل ماركس ولينين من الحرث الجامعي، دخل معهم المرشدون والشيوخ، في تناقض و تشرذم بل تقافل لم يخدم المجال الإصلاحي للعمل التربوي والتكتوني والتأطيري و العلمي الجامعي. فتوالت أجندات تحاك خارج الكليات، بين طلبة تائهين في البحث عن أحسن سبل التشغيل الصعب المئال، ورجال تعليم غادروا الكلية عند أول فرصة طوعية. بالموازاة مع التفريخ الحزبي و النقابي، أستablish جل الأحزاب وبعض المركبات منظمات موازية لشبيبات "دستورية" أو "استقلالية" أو "شعبية" أو "بيجيدية" أو "عملية" أو "تقدمية"... بين الفينة والأخرى، حسب موازين

القوى السياسية، تبدو بعض الشبيبات أكثر هجومية من زعماء الأحزاب التي أجبتها. فقد عبرت الشبيبة الاستقلالية عن عدم رضاها بظروف تناوب توافقى قدم الوزارة الأولى للاتحاد الاشتراكي، من خلال بلاغ عبر عن "خيبة أملهم أمام تجربة حكومية لم تكن سليمة". ثم بحلول صيف 2019 حذر المكتب التنفيذي لـ"الرابطة الاقتصادية للاستقلاليين" من تداعيات تفويت حصة إضافية من رأس مال اتصالات المغرب، لكنهم لم يحركوا سطرا ولا لسانا عند مشاركة حزبهم في حكومة جداً "تواافقية" قامت بأكبر الخوخصصات منذ الاستقلال إذ هبّت الشبيبة الاستقلالية، حين إبداء رأيها في مسودة دستور 2011، إلى المطالبة بالتخلي عن اجتماع مجلس الوزراء والاكفاء بالمجالس الحكومية. كأنهم يجهلون أن رئاسة الاجتماع الوزاري تؤول دستوريا إلى الملك - رئيس الدولة !

سنة 2015 ، بعد إنتهاء تجربة التناوب التوافقى و ترك عبد الرحمن اليوسفي مكانه لإدريس جطو، حاولت قيادة الشبيبة الاتحادية إرسال بلاغ لمن يهمهم الأمر، نشرته اليومية الحزبية، حول ضرورة إشراك "الفنان الشعبي" في مسلسل إيهام ملف الصحراء". بشهادة من أهل المكتب الوطني للشبيبة الاتحادية، ترى شريفة لموير أن "المغرب مدعو إلى تحول بعيد المصداقية لل فعل السياسي، لأن ما يحصل الآن في المشهد السياسي المغربي يمكن نعته بـ"إشكوانية" السياسية أي البحث عن البوز الإعلامي بدون أساس فكري ولا سياسي" .

كما دعت الجامعة الصيفية 2018 لشباب الأحرار إلى التصويت في الانتخابات المقبلة ضد " تيارات الشعبوية العدمية القاتلة ". متناسين أن وزراء حزبهم يتواجدون ضمن نفس حكومة " العدمية القاتلة " ! إلا إذا كان الأمر مجرد زيادة ضامنة لتموضع تكتيكي، بتحويل النضال الشبابي والطلابي إلى سلاح خطابي، من أجل التفاوض حول ركوب قطار "الانتقال الديمقراطي" .

مباشرة بعد تكوين الفريق الوزاري برئاسة سعد الدين العثماني، تحدث بعض رواد شبيبة العدالة و التنمية عن "حكومة الإهانة" لمجرد عدم الاستفادة من أكثر الحقائب الإستراتيجية. أين هي "الإهانة"؟ أهي في الحصول على رئاسة حكومية يضمن لها الدستور أن تتداول في السياسة العامة للدولة، في السياسات العمومية، في السياسات القطاعية، في القضايا المرتبطة بحقوق الإنسان وبالنظام العام، في مشاريع القوانين على رأسها مشروع قانون المالية، في مراسيم القوانين و في مشاريع المراسيم التنظيمية، في تعيين الكتاب العاملين ومديري الإدارات المركزية والإدارات العمومية ورؤساء الجامعات و العمداء، ومديري المدارس والمؤسسات العليا... مكن وزراء العدالة و التنمية من تثبيت 200 إطار في الإدارات العمومية !؟ كم من كفاءة وطنية تعيش البطالة و التهميش تتمنى أن يصيبها ما أصحابهم من "إهانة" !

### III الريع الترابي

آلاف المنتخبين، أغلبهم بألوان حربائية، يملؤون المجالس الجماعية، تنوع اختصاصاتهم بين الحالة المدنية، تصحيف الإمضاءات، النظافة، الإنارة العمومية، التهيئة العمرانية، التجهيزات السوسية اجتماعية و الثقافية و الخدماتية ... حولوا معادلة الكيميائي الشهير Lavoisier إلى "الكثير يضيع، القليل يتحقق، كل وعود التغيير تحول إلى تباين". بعضهم دخلوا المجالس الترابية برصيد بنكي يفوق بكثير رصيدهم المعرفي. في تناقضهم لأي نموذج تنموي ترابي، يفهمهم أولا من أين "وكل الكتف"، أين توجد الخرفان و كيف يكون التعامل مع الشفاعة !

#### 10 - بايع شاري

قدما، نظمت وزارة الداخلية "البصرية" عدة مناظرات للجماعات المحلية حول "التعايش"، "التمازج"، "الشراكة"، "المسؤولية"، "الإعلام وتكون الأطر المحلية"، "اللامركزية واللامركز". اتجهت كلها إلى كرم ضيافة رؤساء و وزراء مدن و بلدان خارجية، خطابات متواالية و توصيات منسية، بدل تكريم تكوين منتخبات الجماعات الترابية المغربية. ليظل العديد من الرؤساء يفضلون تعين مسؤولين إداريين لا يهم أن يكونوا قلبي الكفاءات، إن كانوا كثيري الانحناءات. ليهيمن سلط الجهل والانفراد بالقرارات العشوائية، بفرض ديكتاتورية أكثر خطورة، حين تمارس طغيانها باسم "اللامركزية الديمقراطية".

سيرا على هذا النهج، لا زال رؤساء مجالس الجماعات و العمالات والجهات لا يعيرون أي اهتمام للشراكة التكوينية مع تخصصات جامعية. قبل سنوات، راسل قيدوم كلية العلوم الاقتصادية و القانونية و الاجتماعية بجامعة الحسن الثاني مصالح الداخلية المركزية والولاية و الجماعة البيضاوية، يقترح شراكة مع ماستر "التنمية الترابية". ظل الاقتراح بدون جواب من الولاية و الجماعة. أما المصالح المعنية لوزارة الداخلية فقد وعدت بتحمل مصاريف جزء من الموظفين المستفيدين من التكوين المستمر، ثم تراجعت قبل انطلاق التسجيل، بدون تفسير و لا حوار ولا اعتذار. بالمقابل، منذ 2015، صدت العاصمة الاقتصادية عدة ملايير من أجل "مدينة ذكية"، إلى اليوم، لا أثر لذكائها على الحياة التي منه لدافع، الضد انت البضاعة

حسب استطلاع للرأي، بمبادرة من مؤسسة عبد الرحيم بو عبيد، 90 بالمائة من المستجوبين لا يعبرون أدنى اهتمام للشأن السياسي. لاحظ على تغيير رأيهم، ادعى نور الدين عيوش قدرته الإشهارية على تحقيق "2007 زابا". لكن، بعد رسوبه الساطع، صار الممتنعون عن التصويت يشكلون الحزب الأول في مغرب زابا! لا يمكن تسويق المشاركة الديمocratique كما يتم تسويق وجهة سياحية!

حتى عندما انطلق تمويل الحملات الانتخابية من أموال عمومية، لم يتراجع المال السائب عن البيعة والشربة plutocratie التي تمكّن سلطة المال من "الاستثمار" في السلطة "المتمثّلة". بشهادة من أهله، غير أحد قياديي "البام" عن رفضه "أن يكون الحزب تابعاً للوبيات رجال الأعمال".

ربط الملك الزيادة في التمويل العمومي للأحزاب بوجوب جلبها لأطر قادرة على التحليل و التفكير، لتحسين تأثيرها و عطائها البرنامجي الإصلاحي. من المؤكد أن أحزاب هنا و الآن لن تأخذ بالنصيحة الملكية معأخذ كل المساعدات المالية العمومية، بدون تغيير وصفات شهية هم فيها منغمسون و يغمّسون.

صيف 2019، فجر محمد شوقي المدير الأسبق لصحيفة الاتحاد الاشتراكي فضيحة اختفاء 50 مليون، بعد أن حولها قيادي سابق في الحزب إلى حسابه الشخصي. أمام الحضور الحزبي، اكتفى ادريس لشكر في رده بدعوة الاتحاديين و الاتحاديات إلى تحويل الممتلكات باسم الحزب حتى لا تبقى في إسم أشخاص. من جانبه، رفع "البام" شعار "التغيير" خلال التشريعيات الأخيرة. لكنه ظل يخلط بين الحزب و الجيب خلال سوء تدبير جمع المساهمات من طرف رئيس الفريق بدل إيداعها في حساب حزب يدعى القدرة على تدبير شؤون البلاد و لا يستطيع حتى ضبط مداخلاته؟

## 10- مكاتب الدراسات

استحوذت مجموعة من مكاتب مكاتب الدراسات على صفقات و طلبات عروض لمؤسسات و مقاولات عمومية، بل على طلبات دراسية لا تدخل في اختصاصها. منها صفقات "الدراسة و الاستشارة" حولت منهجية البحث العلمية إلى أكاذيب منهجية توهم بقدرات كاذبة في إحداث مناصب تشغيل افتراضية. الوزير "الاشتراكي التقديمي" عبد السلام الصديقي لم يكن صادقاً حين وعد بطالي فكل دار، بخلق مليون و 200 ألف منصب عمل في أفق 2021 من خلال ما سنته الحكومة العثمانية "استراتيجية وطنية للتشغيل"، أسننت مهمتها لوزير الشغل.

أظهرت التحقيقات أن عدة دراسات كانت تائهة في رفوف الشركة المغربية

للهندسة السياحية، بعد برمجة صفقات وهمية. كما ازدهر في بعض مراكز الاستثمار ربع "تفصيل" صفقات استشارات على مقاس مكاتب معينة. ورصدت تقارير المفتشية العامة لوزارة الداخلية بمحالس الجهات تسبيباً كثيراً في إنجاز دراسات بسيطة بمبالغ باهظة، دون التحقق من آثارها العملية، سوى ارتباط ريعها ببعض المنتخبين المحليين والبرلمانيين وزراء سابقين. كم أسأل تمويل صندوق التجهيز الجماعي لما يسمى "برنامج التأهيل الحضري" لعاب رؤساء المجالس الترابية ومهندسين و"مكاسب" الدراسات وأصحاب مقاولات تحت الطلب، مقربين من رضى وإرضاء سلطات ترابية مركزية وصبية !

كثيراً ما تقدم الأموال لمكاتب دراسات من أجل تكسير أقفال أبواب مفتوحة، لعدم استغلال معطيات مجانية، لو أزيل عليها غبار رفوف الخزانات الجامعية. تتم مناقشة أزيد من الفي أطروحة دكتوراه سنوياً، أغلبها يتم قبولها بميزة حسن جداً وبوصية ملحة لنشرها قبل أن يطويها النسيان. الإشكال ليس فقط في إحالة اللوائح إلى المعلومة المحجوبة، بل كذلك في الاستهانة باللوائح إلى المعلومة المتاحة. لغاية في نفوس من يفضلون المعلومة المرجحة.

عدة مجالس وطنية أو للحكامة تم فتحها لفاعلين سياسيين أو نقابيين أو ممثلي المجتمع المدني: المجلس الأعلى للتربية والتكوين، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، مجلس الجالية المغربية بالخارج، مجلس المناصفة ومكافحة كل أشكال التمييز ضد المرأة، المجلس الملكي للثقافة الأمازيغية، المجلس الأعلى للسمعى البصري، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري، الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها، المجلس الاستشاري للأسرة والطفولة، المجلس الاستشاري للشباب والعمل الجمعوي. بدل أن تشكل كل هاته المجالس والهيئات شبكة أفقية تكاملية، ظلت حبيسة نظرة عمودية ضعيفة البلوغ إلى الرأي العام، إلى دواوين الوزارات، إلى مستشاري البرلمانيين، إلى إغفاء الخزانات. ما دام يعتبرها بعض من دخلوها ملذاً آمناً، مادياً أو معنوياً، خاصة بين الذين لم يسعفهم الحظ في تولي حقائب وزارية أو رئاسة مؤسسات عمومية أو بين المعزولين عن مناصب وزراء وسفراء سابقة. بل هناك من يعتبر أن تعينه غاية في حد ذاتها، جزاءاً لهم على ما قدّمت أحرازاتهم في الماضي، يعفيهم بالتالي من أي اجتهاد دراسي واقتراحي يفيد بلورة نظرية و ميدانية لنمذج تنموي مستقبلي.

## 11- الوالي والوالو

تؤكد كل استطلاعات رأي المواطن الغربي أنه يكن أكثر تقديرًا للعمدة [١]

maire، مقارنة مع كل ممثلي المؤسسات المنتخبة. أما عننا فعلى مسؤولي الجماعات تحوم أكثر الشبهات، صارت إقالات بل متابعات جنائية، بعد تحريك مراقبات وزارة الداخلية و المجلس الأعلى للحسابات بفروعه الجهوية. على سبيل أمثلة بدون حصر، هناك تمرير الصفقات بخاطئة بعض الشروط على مقاس المشاركيين في طلبات العروض، أو فتح أظرفة مرشحها عدة شهور بعد تقديم المواد والخدمات. عدة عمليات تحاكي في تحايل على مساطر قانونية قابلة لكل الاستثناءات الراسية والمرتشية، عندما نعلم أن مجموع مشتريات الدولة تبلغ مائة مليار درهم وأن الإدارات العمومية تقوم سنويا بمنافس طلبات عروض. تخيلوا حجم الحلاوة ولذة التغميسة !.

من أجل جهوية فعلاً متقدمة، يحتاج مفهوم التنمية الترابية المتوازنة إلى أطر، منتخبة أو معينة، بدورها متقدمة في تكوينها. فقد أكدت رسالة ملكية لافتتاح أشغال الملتقى البرلماني للجهات أن "المغاربة لا يريدون مؤسسات جهوية حبراً على ورق و إنما يتطلعون إلى جهات فاعلة تتجاوب مع انشغالاتهم الملحة (...)" النهوض الأمثل بهذا الورش الحاسم لا يتوقف فقط على حجم الصلاحيات المخولة بل يرتبط أساساً بكيفية ممارستها".

ليس غريب اذن أن يترك الدستور الباب مفتوحاً لوصاية إدارية واسعة، إذ يمثل ولاة الجهات وعمال الأقاليم و العماليات السلطة المركزية في الجماعات الترابية". كما " يقوم الولاة و العمال، تحت سلطة الوزراء المعينين، بتنسيق أنشطة المصالح الامركزة للادارة المركزية، و يسهرون على، حسن تسييرها ".

ذلك ما جعل الولاية، عملياً، على رأس الهرم التسلسلي الترابي، معززين معنويّاً بتعيين ملكيٍّ. ولا زالت الوصاية الترابية مضطرةً، عبر دورية إلى العمال والولاية، تدعوهم (2019) إلى تشديد المراقبة على الميزانيات السنوية لمجلس الجماعات، العمالات والأقاليم والجهات. فضعف مستوى العمل التنموي للطاقم الجماعي - الذي لا يعلم أحياناً حتى بإمكانية بلورة مخطط تنموي ترابيٍّ - يوحى بتشبيهه "الولي المحاط بولو".

كيف التخلص من وصاية إدارية مركبة و ترابية مفرطة و أحياناً مهيمنة؟ حين لا تزال الدهنيات المشاعة تفهم أو تبرر بل تطالب باستمرار الحال، إلى أن تتغير أحوال رهينة مستوى المنتخبين و بمستوى أحزاب تقدم مرشحين فقط قادرین على تحضیر التخليفة بين خطفة منتخبین و لفحة ناخبین و لو سماهم البعض "كارا" !

لا زالت هناك ممارسات منبودة، توحى بسطوة السلطة و استمرار استغلاله بعض القيمين عليها، و اشتغالهم بمزاوجة متجاوزة، وفق بiero و قراطية لم تعد مقبولة. رغم ذلك، لم تدفع الأحزاب إلى تجاوز المفهوم القديم للسلطة التراويبية بتقديم خيرة القيمين على سلطة تمثيلية ذات مصداقية و جدية. مع العلم أن صاحب الحالة، عندما تحدث عن المفهوم الجديد للسلطة، اعتبر أن

هذا المفهوم "يتسم بالشمول والتكامل"، وأنه "لا ينحصر في الإدارة الترابية، بل ينطبق على كل من أوكلت إليه سلطة معينة... المتمثلة في مصالحة المواطن مع السلطة والجهاز الإداري وحفظ الكرامة وتحفيز الاستثمار".

## 12 - كلها و تخطيطها

بعد التخلص عن النهج التخطيطي الخماسي و تعويضه بمخططات قطاعية، اتجهت السياسة الاقتصادية العمومية إلى انتشار المحطات الصناعية اللوجستيكية، المناطق والأنشطة المتخصصة، وكالات التنمية الجهوية، المراكز الجهوية للاستثمار... لكن هذا لا يعني الاستغناء عن منظور تنموي شمولي اندماجي عبر تخطيط استراتيجي غير متعارض مع اقتصاد سوق تنافسي. يكون بمثابة خريطة الطريق تجاهمبادرة حرة لا تحد من حرية اختيار المكان والزمان الملائمين للعملية الإنتاجية الخصوصية، بل تعني معها قدرة الدولة على توضيح الاختيارات الأساسية.

لاحتواء التقلبات الظرفية و حماية التوازنات الاجتماعية و المجالية، أول شرط للتمكن من إرجاع السيارة وهي تنحرف عن الطريق هو أن نعرف أين يوجد الطريق. على أن يقادى التخطيط القطاعي أو الجماعي أو الجهوي تخطيط التخطيط بالتقسيط المؤدي إلى كلها و تخطيطها ! الابتعاد الكلى عن التخطيط السوفيaticي المركزي لا يعني قضاء كم حاجة مدعية للبرالية بتركها لأسوق احتكارية انتهازية.

على أن يعتمد التقاطع الترابي شروط العمل التنموي الذاتي قبل الهاجس السياسي الحزبي. على متى سنستمر في استعمال ثلث مداخل الضريبية على القيمة المضافة وكل موارد الرسوم المهنية و السكنية و الخدماتية المحلية لأداء أجور و مستحقات القروض الجماعية. ليبقى الفتات لبرمجة الاستثمار والتجهيز، أو اللجوء إلى صندوق التجهيز الجماعي لفتح باب مديونية ثبّين القفل و تاكل راس المال.

إضافة إلى تباين صارخ بين الجماعات ( 25 جماعة بإقليم الحسيمة تحصل على ميزانية لا تفوق خمس ميزانية الرباط)، هناك التباعد الحاصل بين التضريب والتحصيل. حيث نجد عشرات الجماعات فقيرة التجهيز، ضعيفة التسيير، لكنها غنية افتراضياً بالنظر لحجم الأموال المنتظر تحصيلها. بل هناك جماعات ذات فائض نظري يغيب عن مداخلها الحقيقة، تنجح فيها العملية (الحسابية) على مريض يموت وهو في صحة جيدة !.

بالمقابل، عدم استخلاص مداخل جبائية محلية أو السكوت عن استغلال خصوصي للملك العمومي بقراء رمزي يمكن آخرين من أرباح ريعية طائلة: الصقالة البيضاوية التي تحولت إلى مقهى رفيع المستوى لا يتعدى أجر كرانها بعض مئات الدرهم شهرياً، "بارادايز (Paradise) على الشاطئ البيضاوي

تعد مداخليه من بين أعلى أرباح الفضاءات الترفيهية بالمغرب. بعد صمت مرحلتين رئاسيتين، استرجع المجلس الجماعي الموالي ثلاثة مراافق من ممتلكات العاصمة الاقتصادية في 4 سنوات، و لزم الهدنة حيال أخرى انتقاء لنفوذ كبار مستغليها.

تم تفويت أرض لتوسيع فندق السعدي بمراكبش من طرف بلدية المنارة بسومة نقل عشر مرات ثمن المتر المربع. صفة أثارت أحدها جريدة يومية قدمت نص الحديث الداخلي بين الرئيس ومستشاريه المنتخبين حول "الله عطانا هاد البركة اللي غادي تفرق عليكم بالمساواة". عدة تفويتات تمر حسي مسي لأن بعض النصوص التشريعية المنظمة لأملاك الجماعات، الأقاليم و العمالات تعود إلى عهد الاستعمار. الفيلات و المطاعم و المقاهي الشاطئية فتحت الفضاء البحري أو الغابوي لتملكه ريعي مفتوح لسوبر مغاربة، ينتمي بعضهم لأحزاب الوعود الانتخابية بالدفاع عن "المصلحة العامة"!

### 13- الأحزاب التي تستحق؟

عندما كنت عضوا في مجلس جماعي سابق، قدمت "بنك المشاريع الجماعية"، ضمن دراسة معززة بتصاميم تصممت إحصاء القطع الأرضية المخصصة للتجهيزات العمومية حسب تصميم التهيئة الجماعية. إلا أن رئيسا مفروضا على الجماعة، في إطار المفهوم القديم للسلطة، لم يهتم بتحرير المساطر و تتبعها و إيجاد التمويل لنزع الملكية و التحفيظ العقاري للوعاء المحصل عليه بتفويت من مجرئين.

من بين 19 مشروع مودع في "بنك المشاريع" تم فقط إنقاذ وعاء عقاري واحد مكن عائلة محسنة من تشييد مستشفى لا زال يقدم إلى اليوم خدماته لساكنة المنطقة. كما تم تفويت ما تبقى من منطقة الرياضات في تصميم التهيئة لفاندة نادي خصوصي (ليدك) لا يدخله إلا المؤدون. أما المشاريع المتبقية فبقيت في طي النسيان المتعمد، كي تعود أراضي التجهيزات الرياضية على أصحابها بعد انقضاء الفترة القانونية لنزع الملكية غير المنفذة.

بعد نهاية صلاحية تصاميم التهيئة السابقة، يستمر نفس التحايل على تهيئة الجيل العمراني الجديد. إذ ما زالت وعاءات عقارية بمجموع مقاطعات الدار البيضاء تجد صعوبة في تحريرها لإنجاز المرافق الاجتماعية و الثقافية و الرياضية و البنيات التحتية المبرمجة فوقها. وثائق تصاميم التهيئة الـ 16 المصادق عليها منذ 2014 لا يتعدى عمرها الافتراضي 10 سنوات. ما يرجح أن يعيد التاريخ نفسه، بعودة الجزء الأوفر من تلك المساحات إلى ملكية أشخاص و شركات خاصة أو ورثة، جراء ما نلاحظه من تحرج كبير مسطري أو تغاضف العين الجماعي على تفعيل نزع الملكية و التحفيظات العقارية.

في عدة جماعات بيضاوية تحولت مشاريع المناطق الخضراء إلى

تجزئات تزيد من سوء الأحوال البيئية للمدينة "الذكية"! بعيدا عن مقاييس منظمة الصحة العالمية التي تطالب بمعدل 12 متر مربع لكل ساكن من المساحات الخضراء، لا تقدم منها العاصمة الاقتصادية سوى 0,35 متر مربع لكل ساكن. لم يستطع رؤساء جماعات ما بعد الاستقلال متابعة وثيرة ما حققه الاستعمار. إذ لازالت "الاكازابنكيرز" وما يحيط بها من حدايق وجريدة مردوخ ولارميطاج شاهدين على تركه من تم طردتهم، لترك المجال للرئيس الجماعي الحالي يرخص ، كالقهوة بين قهوة وقهوة، و حيا سكتيا بين كل حي وحي... تجزئات عشوائية حولت إلى بنايات سكنية الفضاء الفلاحي خارج المجال الحضري، بتشوهات مناطق يمكن نعتها بالحضرورية *zones rurbaines* تقدم مزيجاً بين لمديني و القروي داخل نفس المدار الحضري.

رغم كل ذلك، طالب العدة حميد شباط القضاة والمواطنين بالكف عن المتابعة وطلب المحاسبة حتى "لا يدفع الناخب إلى الهروب من صنائق الإقتراع". بل ذهب الأمين العام لحزب الاستقلال و باطرون نقابته السايق إلى تأويل شخصي لما ادعاه "مبدأ فقهها يغفر لكل مسؤول مسؤوليته عن فعل شيء سيء إن فعله بحسن نية".

"حسن نية" الارتشاء و المحسوبية وسوء التدبير، لم يعد منحصرا في منتخبـي "الأحزاب الإدارية". بل أنت جماعات و جهات برياح الاشتراكية التي تنكرت للقوات الشعبية، و تقدمية انسلخت عن شيوعيتها لترافق إسلاموية قبلت دورها وسخ الذئبا الجماعية. مع المشاركة بسبق إصرار لناخبين مساهمين في إفساد أو تمبيع حلقات "مسلسل ديمقراطي" ضعيف السيناريو التنموي لضعف الكاستيني البشري. لأن بناء علاقة إرادية سليمة، تحتاج لطرفين: ناخبون مواطنون و منتخبون مؤمنون، وإلا سنكون في حالة اغتصاب. إلا في حالة رضى الطرفين على الأحزاب التي- في نظرهم- تستحق! يوليوz 2019 ، أكد خطاب العرش "على ضرورة انخراط المواطن المغربي باعتباره من أهم الفاعلين في إنجاح هذه المرحلة".

تناقضاتنا المجتمعية السائنة ليست وليدة اليوم. فقد كتب بول باسكون Paul Pascon عن مجتمع لاتركيبي مغربي composite sociétéLes سكيزوفرينية" ذهنية عميقـة. أنحن حقا مغاربة قال فيهم الإخوان طاغو frères Tharaud (من بين أقرب مستشارى المارشال ليوطى خلال فترة الإستعمار الفرنسي) أنهم "مغوروين، متزمتين، راشين، مرتشين. يحسدون بعضهم البعض، دائمـا مهينون للانتقاد، أبدا معترفون بما يقدم لهم من خدمات. يقومون اليوم بما قاموا به الأمس: كثيرـا من الترف بدون أي إيداع و قليلـا من الموهبة...؟؟ هل هذا قدرنا ما ورثناه عن أجدادنا، أو أخـا ولاد اليوم بأحزاب الأمس؟ هناك حوار شهير في إحدى مسرحيات Brecht لشخصية طلب منها التخلـي عن مهامها بعد فقدان مصدقـيتها، فلم تجد حلا سوى المطالبة بحل الشعب (dissoudre le peuple).

## IV

# أمة بدون نواب !

الغيابات عن اللجان البرلمانية الدائمة و الجلسات العامة لا تمنع معاشر "المحترمين" من حضور توزيع الامتيازات و التعويضات والسفريات. كما لا يمنعهم عناء الترحال، كلما اقتضى الحال، بين الغرفتين أو بين حزبين أو فريقين، من الحضور المكثف لافتتاح السنوات التشريعية. ثلث النواب والمستشارين يشاركون في جلسات الدورات، مؤكدين أن الأشباح ليسوا فقط بين الموظفين!

### 14 - صالون الاستقبال

سبق للمرحوم الحسن الثاني أن نعت البرلمان بالسيرك. الآن يمكن نعت غرفتي البرلمان بصالوني الاستقباليات العائلية. بعد ما صارت الدوائر الانتخابية وراثية و صار الأب و ابنه، بناته أو صهره، الأخ و أخوه، الزوج و زوجته يتلقون تحت القبة البرلمانية ... لتحول حسن نية الكوطا الشبابية أو النسوية للتمييز الإيجابي (discrimination positive) إلى هدايا ريعية لا علاقة لها بتمثيلية انتخابية استحقاقية:

- عند العدالة والتنمية، نجد النائبة زوجة الكاتب الإقليمي محمد خوجا. بينما ورثت ميمونة أفتاتي مقعد زوجها على اللائحة القادمة بزوجة إدريس الأزمي، بجانب فتحية الشوباني، اخت الوزير المقال-المحال على رئاسة جهة درعة- تافيلالت. أحمد الحيكي داز في سيدي قاسم، قريبا من صهره عزيز الرباح المنتخب في القنيطرة، رابحا برلمانا وجماعة. توجد زوجة عبد العالي حامي الدين في غرفة المستشارين. كما دخل الفاطمي الرميد، أخ الوزير، مجلس النواب ممثلا لجماعة الفداء البيضاوية، بمعية بنت الوزير ...
- في التجمع الوطني للأحرار، تمكّن محمد بوهدود مثل تاونات منذ 1977 من الانتحاق بابنه في غرفة المستشارين. و من غرفة المستشارين إلى غرفة النواب بالنسبة لمحمد عبو وإبنه.
- في حزب الاستقلال، عاد حميد شباط إلى البرلمان بمعية ابنه على رأس لائحة وطنية التسمية وعائلية التركيبة. على غرار ابن عباس الفاسي مرشحا ناجحا برلمانيا قبل إنتهاء حياته الطلابية. عبد الصمد قيوح يترأس فريقا استقلاليا يضم اخته بين أعضاءه !
- أدخل على قيوح أبناءه الثلاث غرفتي البرلمان. "الدستوري" السابق

جيبل رحال ترك ابنه مع "البام" بعد أربع فترات برلمانية. كما عاد الحركي السابق أحمد شفيق إلى البرلمان فوق التراكتور، ليلتقي بأخيه الممنطلي الحسان.

- عبر أربع نوابات برلمانية، فتح ميلود الشعبي الباب لأبنائه الثلاث و لإبنته الحاملة قميص الأصالة و المعاصرة.
- في الحركة الشعبية سيترك الرئيس محاند العنصر دائرة لابنه ...

أما في البيت الحكومي فقد اختلطت العلاقات العائلية بأعلى التعيينات الوزارية. منذ أول حكومة ما بعد الاستقلال، كان أحمد بلفريج، وزير للشؤون الخارجية، بجانب صهره محمد الدويري. ولم تأت فرصة استوزار الصهر الثاني (محمد اليازغي) إلا عند المحطة التناوبية التوافقية. كما دخل عباس الفاسي الوزارة الأولى و معه 3 أعضاء فامايلية. ليكون توريث المناصب بكامل "التعادلية" العائلية!

و من البيت الحكومي إلى تappings فرعية، حصل ابن وزير المالية "الاشتراكي" السابق على عدة مشاريع معمارية أثناء تولي الاتحادي محمد الأشعري لحقيقة الثقافة. يذكر المحل الصحفي رشيد نبني كيف راسل صلاح الدين مزوار، و هو وزير الخارجية المغربي، وزير الخارجية الفرنسي يطلب منه تسهيل دخول إبنته لمؤسسة ماكنزي بباريس، اشتغلت بفرعها الرباطي إبنة إدريس لشكر. إثنان من أبناء عبد الرحيم بو عبيد يستغلان في البنك المغربي للتجارة الخارجية الذي أسسه الأب عندما كان وزيرا لل الاقتصاد في بداية الاستقلال. في عهد الحكومة البيجيري، تم تعيين ابن الحبيب المالكي مدير المدرسة العليا للتجارة و إدارة المقاولات، و ابن إدريس لشكر مديرأ لديوان كتابة الدولة في الوظيفة العمومية، و ابن محمد اليازغي في إدارة صندوق الإيداع و التدبير...

منعوا الترقية الداخلية بالشهادة الجامعية و فتحوا التمثيلية البرلمانية و الفرص التوظيفية بالحالة المدنية. مع العلم أن لا أحد يمكنه التشكيك في أحقيـة تداول عائلي مستحق، مبني على كفاءة الإسم الشخصي بدل الاكتفاء بالاسم العائلي. دون أن يمنع ذلك احترام المهام الدستورية المنوطـة بأحزاب يفرضـ فيها تأطـير و تـكوين كلـ مواطنـين و مواطنـاتـ. منـ أجلـ ولوـجـ كلـ ذويـ الكفاءـةـ وـ النـزـاهـةـ لـفـرـصـ تـدـبـيرـ الشـانـ العـامـ، بـدـلـ الاـكـفـاءـ بـتـفـعـيلـ رـيـزوـاتـ تـقطـعـ الخطـ علىـ المـدـفـوعـينـ نحوـ أرضـ اللهـ الـواسـعةـ، عـمـلاـ بـقـانـونـ Creshanـ حولـ تـداـولـ القطـعـ النقـديةـ « la mauvaise monnaie chasse la bonne »

## 15- الاشباح في كل مكان

سواء حضروا أو تغيبوا، البرلمانيون يتلقـونـ منـ مـيزـانـيةـ دـافـعيـ

الضرائب "شهرية" تفوق 3 مليون سنتيم، بالإضافة 7000 درهم لرؤساء اللجان و أعضاء المكتب، 2000 درهم لكل يوم سفر خارج المغرب. مع امتيازات التنقل الجوي، هناك الاستفادة من تأشيرة//المجاملة التي تتبعها وكالة الأسفار لأيها الناس الراغبين في قضاء مناسك الحج بدون المشاركة في فرعة العمالات.

بعد فترة نحويل مكاتب الفرق إلى تيليفزيونات، حان توزيع هواتف محمولة و طابعات. مجانية النقل السككي تضاف إلى تخفيض الحقوق الجمركية عند افتتاح سيارات فاخرة مستوردة. كما يتم التعزيز السنوي لأسطول سيارات الرئيس والمكتب ورؤساء اللجان، و حتى كبار الموظفين، بينهم "محترمون" سابقون عاندون عبر نافذة القبة بفضل التوظيف الحزبي. كما يحصل كل برلماني على معاش يساوي 1000 درهم عن كل سنة تشريعية.

بعدما أفرغت "أرض الله الواسعة" جل الأحزاب "الديمقراطية" العاملة على تغريب الديمقراطية الداخلية و الترقية النضالية، نشطوا في استيراد مستورين عند الحاجة، يلجون مقر الحزب بعد مقر الوزارة، يأخذون مكانهم داخل مكتب سياسي يفتح لأصحاب المال و الأعمال، مع قبول بعض الأطر التي تقبل التحرك في حدود كتابة الخطاب وحضور البرامج الحوارية التلفزيية أو ترؤس بعض الأنشطة الحزبية أو في المدن النائية!

هناك من يرى أنه كلما اجتمع المال و السلطة إلا وكان الفساد ثالثهما. على أن العلاقة بين السلطة والمال ليست جريمة، إذا تحلى حامليها بروح المسؤولية و الأمانة. فقد كان الرسول ناجحا تجاريا و تمنى أن يعز الله الإسلام بصحابة صاروا خلفاء، كانوا من أغنى الوجاه. بل الأخطار تأتي من زواج الفقر والجهل، يزف بهما لمحترفي التسوق الانتخابي. ما جدوى أن يخصص الدستور عدة بنوده لضمان الحريات، ما دامت "الحرية تبدأ أين يتنهى الجهل"؟؟ (فيكتور هيوك).

يخول الدستور "لرئيس الحكومة و لأعضاء البرلمان على السواء حق التقدم باقتراح القوانين". لكن استمرار استيراد مقتراحات القوانين من الحكومة يدل على عدم جدوى تمثيلية تشريعية لنواب أمة بدون نواب. لو قارنا بين حجم الملايير التي يتم صرفها على غرفتي البرلمان و محتوى الإنتاج التشريعي بمبادرة من النواب و المستشارين، يدخل المحترمون ضمن الأرقام "القياسية لكتاب" كينس" بأعلى كلفة القوانين في العالم. مع أن الكثير يتذمرون، لمراجعة نصوص بقيت دون تغيير منذ سنة 1958... لم يحرك أحدهم ساكنا، طيلة أكثر من نصف قرن، لمواجهة فراغ قانوني ملا جيوب مafia أراضي الجماعات السلالية، رغم علاقتها بصلب إشكالية التنمية الفروعية. ليس في المغرب قانون تنظيمي للإضراب منذ 57 سنة ، بعد 32 حكومة و 10 ولايات برلمانية!

**الخطاب الملكي في الجلسة الافتتاحية للسنة التشريعية 2017-2018**  
دعا إلى الإسراع بالصادقة على مشاريع القوانين التنظيمية المعروضة على المجلسين، منبها إلى أن "ما ينتظركم من عمل لاستكمال إقامة المؤسسات لا يستحمل إضاعة الوقت في الصراعات الهامشية". خطاب موجه كذلك للمعارضة، وفق ما يضمنه لها الدستور من حرية الرأي والتعبير والاجتماع وحiza زمنيا في وسائل الإعلام العمومية، والاستفادة من التمويل العمومي والمشاركة الفعلية في مسيرة التشريع عن طريق مقتراحات قوانين عبر مجلسي البرلمان.

كما طالب رئيس الدولة أكثر من مرة بمراجعة القوانين الداخلية لغرفتي البرلمان، من أجل "تنسيق عملي بين غرفتين لا تشكلان برلمانين متفرقين". لكن التنسيق ظل مغيبا، بل ضربت الغيابات رقما قياسيا عن جلسات المسائلة و عن اجتماعات اللجان القطاعية. للتصويت على ميزانية 2019 كان عدد المصوتيين المؤيددين أقل من المستشارين المتغيبين ! .

الغياب لا يصيب إلا النواب. خلال جلسة برلمانية جمعت المجلسين، عرف تقديم تقرير سنوي لأعلى هيئة دستورية مكلفة بمراقبة المال العام حضور ثلاثة وزراء. هناك سوبر وزير لا يحضرون طيلة 4 أشهر الدورة الخريفية للسنة التشريعية، باستثناء التصويت على مشروع قانون المالية. و كأن لسان حالهم يقول: "عطيونا لفلوس و الباقى ماشى شغلكم" ! ليتحول الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان إلى وزير مكلف بالإجابة عوض الوزراء المتغيبين عن البرلمان! فتبقى الجلسات العمومية للغرفتين متشابهة الأسلمة الآنية، تقدم أمام فوتايات وزارية و نيابية شبه فارغة.

المحترمون لم يعيروا الاهتمام اللازم لخطاب ملكي افتتاحي داعي إلى النقاش الهدى والبناء والموضوعي، بعيدا عن المزايدة السياسية. إذ شاع خبر مصارعة نائبين بالأيدي والسب والشتم، مباشرة بعد مغادرة الموكب الملكي للمقر البرلماني. في مناسبة ثانية، بعد التعبير عن تراجع الثقة الملكية في المصداقية الحزبية، وقف "الزعماء" يتحدثون أمام الكاميرات و كأنهم يتذمرون مع خطاب يخص دولة البروكينا فاسو ! و حتى لو اختلفت "حكومتهم" للشأن العام مع إعفاء مزلزل من طرف المؤسسة الملكية، يستمرون في الحزب الغفور الرحيم. كان شيئا لم يكن، ترشح نبيل بن عبد الله و رجع للرئاسة التقديمة الاشتراكية. و بقي حصاد محسوبا قياديا مؤثرا في تحريك الحركة الشعبية، و صار محمد بوسعيد الوزير المقال منسقا جهريا للأحرار!

## 16- "شهادة تراكم الشغل"

بجانب الغياب عن الحضور absentéisme، هناك حضور غائب

présentéisme، يتجسد في التواجد جسدياً بدون روح المشاركة في مسائلة الحكومة. أكبر شاهد على أمثله، هناك نائب منتخب منذ 1997، لم يأخذ الكلمة إلا خلال الدورة الخريفية لسنة 2012. رغم ذلك، كثيرون يجدون طريق العودة إلى البرلمان، بفضل ناخبيين لا يريدون منهم كلاماً و لا علم لهم بعملهم التشريعي. يكتفون بمد أيديهم أو طلب الاستفادة من مساعدات وتدخلات منتخبهم الحلوب *الحالب*، واكل فـ *كايوك!*! و هو ما يفسر غياب السياسات الثقافية في أدبيات و برامج الأحزاب السياسية. الا يعلم "خبراءهم" أن أنجح النماذج التنموية الغربية استفادت من إدماج الثقافة كابداع مجتمعي في النشاط الاقتصادي التشغيلي؟. في فرنسا، تبلغ أنشطة الثقافة في حجم الدخل القومي سبع مرات مما يساهم به قطاع صناعة السيارات!

لم يمنع الدستور تعدية المهام التمثيلية. منذ أن انطلقت أيام *الغفلة البصرية* مع عمر البحراوي الذي كان جاماً بين رئاسة مديرية الجماعات المحلية ورئاسة مجلس جماعة ورئيسة المجموعة الحضرية الرباطية. تبعه في جمع *الخير اللي كيجي فمرة*، جامع المعتصم (عن الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية) الذي لم يغادر رئاسة ديوان رئيس الحكومة حتى بعدما استرجع رئاسة المجلس الجماعي لمدينة سلا، كما ظل جامع جاماً بين المسؤولية النقابية و عضوية المجلس التدبيري للصندوق المغربي للتقاعد والمجلس الاقتصادي الاجتماعي والبيئي ...

يجمع نصف أعضاء مجلس النواب بين أكثر من صفتهم البرلمانية، لا يمكنهم التفرغ لواحدة إلا على حساب الأخرى. لرئاسة الفريق النيابي "المصباحي"، أضاف ادريس الازمي الإدريسي رئيسة مجلس فاس، رغم بعد المدينة بـ 200 كلم عن الرباط و أشد حاجتها للتواجد اليومي لرئيس متعدد الاختصاصات و *الخلصات*: البرلمان (32000 درهم)، رئاسة الجماعة (30000 درهم)، رئاسة لجنة المالية العمومية لمجلس النواب (7000 درهم). و من فاس إلى مكناس، في زمن معاناة العاصمة الإسماعيلية من سوء الخدمات العمومية، تتواتي سفريات العدة عبد الله بوانو لتمثيل البرلمان كنائب للرئيس، مع قضاء وقت غير بدل الضائع على رأس اللجنة المالية بالغرفة الأولى، كلها مهام مؤدى عنها من دافعي الضرائب!

قبل انتشار صور إزاحة التونسي أمام *Moulin rouge* لا أحد طالب النائبة ماء العينين بتقديم "شهادة تراكم الشغل"، حول الإضافة إلى تعويضاتها النيابية خلصة نيابة الرئاسة الجهوية و الأداء عن مشاركتها في دراسات المجلس الأعلى للتربية والتكوين، مع إضافة 7000 درهم شهرياً عن عضوية مكتب غرفة النواب. كما يراكم عبد العالي حامي الدين، بجانب التعويض البرلماني، تعويضات نيابة رئاسة جهة الرباطسلا، و عضوية مجلس المستشارين ورئاسة لجنة برلمانية.

بالمقابل، اعترض نواب و وزراء حزب العدالة و التنمية على الجمع

المتواضع بين 800 درهم للأرملة ذات أطفال متدرسين و "منحة" صندوق التماسك الاجتماعي" الذي يقدم "محنة" درهرين في اليوم لتشجيع( ! ) تدرس تلاميذ القرى. بينما قام قياديان بيرجيسان بارزان (عزيز الرباح و إدريس الأزمي الإدريسي) بكل ما أوتوا من كوشة لإلغاء اقتراح قانون يمنع الجمع بين الإستوزار و رئاسة مجلس المدينة الكبرى بمساحتها، الحبلى بمشاكلها، الملينة بانتظارات ساكنتها.

و حتى على المستوى الإداري المركزي الكل يرى فوزي لقجع، رئيس الجامعة الملكية لكرة القدم، دوماً متتقلاً بين الندوات الصحفية و الاجتماعات المتعلقة بالبطولة الوطنية و أسفار مهام الكونفرالية الإفريقية و مشاركات المنتخب في مختلف البطولات الدولية. لكن القليل يعلم أن نفس المسؤول الفشغول يوجد ثانوياً على رأس مديرية رئيسية مكلفة برسم ميزانية الدولة بوزارة المالية !

أحياناً، أنتجت التراكمات أضراراً عدم التنافي بين مهام فاعلين عموميين كانوا معارضين سابقين: ثم حفظ عدة شكايات ضد جريدة الاتحاد الاشتراكي من طرف الجهاز القضائي، بدعوى حصانة عبد الرحيم اليوسفي كوزير أول رغم احتفاظه بإدارة الجريدة اليومية الحزبية. كما استحال على عمال جريدة التجمع الوطني للأحرار قبول شكايتهم ضد مدير اليومية الحامل لصفة وزير حقوق الإنسان. كما حمل مدير سابق لليومية الاستقلالية قبعة ثانية على رأس وزارة الشغل و التضامن. وصولاً إلى الحبيب المالكي الذي بلغ رئاسة مجلس النواب ولم يتراجع عن مديرية اليومية الحزبية إلا بعد سنوات من تراكم مهام متناقضة بين سلطتين مطالبيتين باستقلاليتهما.

نفس المنصب يعمر طويلاً، أفقياً، وعمودياً مع تداول ذاتي لنفس الشخص على مناصب متالية. نجد في المنزلتين محاذن العنصر، حتى قبل رئاسة الحزب الحركي، دخل الحكومة سنة 1981 وزير البريد، ليعود إليها سنة 2002 وزيراً لل فلاحة، ثم وزيراً للدولة، ثم وزيراً للداخلية، ثم مكلفاً بقطاع التعمير، فوزيراً للشباب والرياضة بعد فضيحة الكراطة. قبل رئاسة إحدى الجهات مع تجديد عهدة عدم التحرك عن زعامة الحركة ! بعدها قال إن "الأحزاب السياسية في حاجة ماسة إلى التجديد و الشباب" ، تم تعبيد طريق العودة لولايته الخامسة، بدخول التعديلات اللازمة لقوانين الحزبية، عند تصويت المؤتمرين على إخضاع القانون بدل الخضوع له !

## 17- "كن قابلاً للتنمية!"

في كتابه "السلطة والدين في المغرب" ، شبه نجيب مهادى الكائنات الحزبية ببنيات تسلسلية للزوايا الدينية، يتقمص فيها "الوالى الصالح، الشيخ، البركة أو أكورام، تشخيصاً يستمد قوته من علاقة مشخصنة تحيطها طقوس

طاعة كاملة". حول أكثر من زعيم و من معه أحزابا إلى شركات انتخابوية محدودة المسؤولية، يديرون شؤونها بتحكم في مؤتمرات متباعدة، مخدومة النتائج اللاحقة بكتلسة مسبقة، بإجماع المصطفين الذين علموهم أحيانا، في باب التواصل، الاكتفاء برمي الكراسي والصحون.

عمل الأمير الشاب مولاي الحسن على إشراك عبد الرحمن اليوسفي، وهو دون سن العشرين، في تنظيم مظاهرات التلاميذ ضد المستعمر(29 يناير 1944). منذ ذلك التاريخ، يبدو المغرب متناصيا نهائيا أن خير وسيلة لإنقاذ الشباب بدخول العمل السياسي هو فتح المجال التمثيلي، بدل تحويله إلى محميات ديناصورية لا يخرجون منها الزعماء إلا فوق نعشهم. فقد فارق الحياة كل من علال الفاسي و عبد الرحيم بو عبيد و عبد الله إبراهيم و المعطي بو عبيد و المحجوب بن الصديق و هم في كامل قواهم الحزبية أو النقابية.

كان Simon Levy، أحد مؤسسي حزب التقدم والاشتراكية، يذكر دائما بأفة إنزال المؤتمرين للتحكم في نتائج المؤتمر قبل انطلاقه. غير بعيد عن أحزاب تلجا إلى لجنة الترشيحات المكتفية بقراءة لائحة الأعضاء "المنتخبين" دون أن يعلم الحضور بترشحهم!

كانت حسناء أبو زيد و جها نسانيا بارزا في حزب الاتحاد الاشتراكي قبل ترك مكانها لمن "يرون أن موقع القيادة يسمح لهم بتوظيف المشروع الحزبي لخدمة مشاريعهم الشخصية و مآربهم". مؤكدة الشاهدة من أهلها أن المطالبين بـ"المنهجية الديمقراطيّة"، بعد إنتهاء فترة "التناوب التوافقي"، لم يزعجهم إنزال اليوسفي من القاطرة، بل فضلوا ترك الزعيم على الرصيف لركوب حكومة جطو برئاسة لامتنمية.

عند دخول المغرب قرنا جديدا وألفية ثالثة كان الجيل الحزبي- النقابي يعيش السنة الخامسة والأربعين لولاية المحجوب بن الصديق، السنة الأربعين من زعامة عبد الرزاق أفيلا، السنة الثالثة والعشرين لنوبير الأموي، الثالثة والأربعين لمحجובי أحضران... كلما تقدم سنهم، يتسبّبون بـ"رصيدهم التاريخي" من أجل الاستمرار في استثمار ماضيهم و الاستمتاع بمناصب ومنافع حاضرهم، لهم و لمقربיהם!.

قبل مغادرته التجمع الوطني للأحرار، كتب عبد الرحمن الكوهن " علينا العمل على نمقرطة هيأكانا التنظيمية وطرق تسخير حزبنا قبل المطالبة بمقرطة الحياة السياسية". بدل تحقيق هدفه داخل حزبه، فضل الانفصال لإنشاء فصيل حزبي جديد، مع الإبقاء على كل ما وعد بتغييره.

وهناك من حاول خلق تيار داخل نفس الحزب، على غرار "لازلنا على الطريق" لشمعون ليفي داخل حزب التقدم والاشتراكية و "التيار الإصلاحي الاشتراكي الديمقراطي" الذي حاول تزعمه خالد الجامعي داخل حزب الاستقلال. كما طالبت "حركة بيتنا" برحيل محاذن العنصر، ثم تحركت "حركة بلا هواة" ضد رئاسة حميد شباط لحزب الاستقلال. قبل أن ترتفع

أصوات حركة "ساختون" داخل المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي ضد التسيير الفردي لا دريس لشك. تبعتها تحركات "تيار المستقبل" لبعض قياديي الأصلة و المعاصرة ضد رئاسة حكيم بنشمام...

أما الذين لا قدرة لهم أو لا مصلحة في خلق فروع حزبية خارجية أو تحريك تحركات داخلية، فمصيرهم الصمت و الامتنال لمول الشيء، يقبلون تحويل مقوله الفيلسوف ديكارت "أنا أفكر فانا موجود" إلى "أنا لا أفكر فانا معكم وبكم و لكم موجود". مستعدون لتحويل موقف ثابت إلى موقف مت حول. يشاهدون توزيع الكعكة دون رد فعل، مكتفون بانتظار سقوط الفرتيل. يتحدث Alain Deneault في كتابه la médiocratie عن شعار حكم دونيي المتوسط : "لا تكن فخوراً فهذا يظهرك متكبراً، لا تقدم أي فكرة فستكون عرضة للنقد، لا تحمل نظرة تاقبة، ارخ شفقيك، فكر بسيوعة، كن قابلاً للتنميط..."

استعرض الشاعر و كاتب الرأي أحمد هناوي جملة من "المحطات الارتدارية في تاريخنا السياسي". من ضمنها "المحطة هيمنت على هيكل الأحزاب و النقابات و الهيئات التابعة لها عقلية الاستفراد بالقرارات و المواقف و تهميش المناضلين الشرفاء و إقصائهم لتخوض لهم أجواء التنازلات (...) محتضنين بفصائل العياشة. اتضح ذلك جلياً في التزكيات الممنوحة لرؤساء الجماعات التربوية و للبرلمانيين و أعضاء الدواوين و السفراء و معلوم أن العياشة أينما وجدوا لا يسمح لهم بالمساءلة أو المطالبة بمحاسبة القيادة أو الخروج عن الإجماع الذي يفرضه الانضباط لقرارات الرؤساء".

ادعى الاتحاد الدستوري تأسيسه من أجل "جبل ما بعد الاستقلال". فالتحقت به عدة أطر جامعية رأت فيه فرصة التعبير عن بدileل عملي ليسار طالما ادعى انفراده بتمثيل "الوطنية الديموقراطية التقديمية" و بدileل عن محكري مكارم الأخلاق. لكن تلك الأطر سرعان ما غادرت "الفردوس" الدستوري نحو أرض الله الواسعة، تاركة مكانها لمن لا يرون في "اللبرالية الاجتماعية النضالية" إلا تزكيات لرئاسات جماعية و مقاعد برلمانية. الرئيس السابق للحزب (محمد الأبيض) لم يحرك ساكناً و لم يسأل عن الحالة الصحية لأي "أخ" انقطع حضوره. لكنه أرجع محمد الجازولي الرئيس الأسبق لجماعة مراكش - متابعاً في ملفات جد ساخنة أمام القضاء - و أنزله إنزالاً على اجتماعات المكتب السياسي و من أعلى منصات اللقاءات!

فبعد جبل الوزراء السابقين (الأبيض، السماللي، المحمدي، البركة...)، انتظرت الأطر التالية في تداول حلقات "المسلسل الديمقراطي" جيلاً كاملاً كي يعود الاتحاد الدستوري إلى الحكومة. فكان استوزار الرئيس الجديد بمفرده ضمن فريق حكومي يترأسه البيجبي. إذا لم نحسب إنزال كاتب دولة لا علاقة له بالتنظيمات الحزبية، أو ما بقي منها.

خلال التشريعيات السابقة، لم يتمكن عيسى الورديغربي و عبد الرحيم

الحجوجي و محمود عرشان وأحمد بن جلون و عبد الصمد بن لكبير من الظفر بدائرة انتخابية ... أمثالهم في بلدان ديمقراطية عريقة يقدمون استقالتهم و ينسحبون من السياسة. عند تكوين الفريق الحكومي العثماني، دخل أربعة قادة بدون الخضوع لصناديق الاقتراع التشريعي: عزيز أخنوش عن التجمع الوطني للأحرار، محمد ساجد عن الاتحاد الدستوري، محمد العنصر عن الحركة الشعبية، و نبيل بن عبد الله عن التقدم والاشتراكية. لاقتاعهم بعدم جدوا الاحتكام الديمقراطي الانتخابي لتدبير أحزاب مفروض فيها، دستوريا، تقديم مثل التأطير و التنظيم السياسي للمواطن المغربي. الزعماء الذين لا يترشحون لا هم تقنقراطيون و لا هم سياسيون، هم نواب بدون، لا هم بخبرة علمية و تقنية تدبيرية ميدانية و لا هم بشرعية تمثيلية ديمقراطية.

# V أصوات للبيع !

في سن الرابعة و الثالثين، تقدم فيكتور هيكل Victor Hugo لدخول الأكاديمية الفرنسية. ترشح ضده الكونت مولي Molé و الكاتب المتواضع ديباتي Dupaty، اللذان حصلا على 8 و 12 صوتا. لم ينل صاحب "البوسae" إلا صوتي شاطوبيريان Chateaubrillant و لامارتين Madame de Girardin. فعلقت السيدة دو جيراردان Lamartine بقولها: "لو كنا نزن الأصوات لنجح فيكور هيكل. لكننا نحصيها". أما عندنا فبدون السماوي نحو أوراقا مالية إلى أوراق انتخابية، ليؤدي انتقال حضور دمقرطة بالتفقير إلى تفجير حظوظ المقرطة!.

## 18- من "دمقرطة" بالتفقير...

للحيوانات الأليفة في البلدان الغربية سوق استهلاكي، تجميلي، ترويضي و استشفائي يفوق ميزانية التعليم أو الصحة لعدة بلدان نسميتها نامية. حتى صار بعض الأطفال هنا يتمنون حياة الكلاب هناك!.

إذ عمت المصيبة و ما هانت، حسب برنامج الأمم المتحدة للتنمية، خمس الساكنة العربية يسد رمقه بأقل من دولارين في اليوم. بينما تراقب 5000 عائلة 75% من اقتصاديات من المحيط إلى الخليج. أكثر من 20 مليون عاطل بالعالم العربي يعادلون مجموع ساكنة البحرين و الكويت و سلطنة عمان و قطر و الإمارات العربية المتحدة.

و عدت منظمة الوحدة الإفريقية بإنشاء "سوق إفريقي مشتركة" في أفق سنة 2000. هدف طواه الزمن، كأماني اتحاد المغرب العربي، لم يفلح إلا في حذف "العربي"، مكتفيا بـ"اتحاد مغاربي"، بدون فتح زوج بغال بين المغرب والجزائر إلا لبغال محملة بمواد مهرية.

حسب كل مقاييس التنمية البشرية، يقدم المغرب مجتمعا لاتعاويا، غير متساوي حظوظ إعادة التوزيع. المصعد الاجتماعي ascenseur social معطل أمام أصحاب السفلى، بل أمام طبقة متوسطة تعتبر، في إطار اقتصاد السوق، زبوبا محتملا لعدة استثمارات إنتاجية و استهلاكية. قاعدة مكنت مع توالي الانتخابات من استثناءات صارخة، على غرار رئاسة جماعة استقلالية مكنت مولاه من المرور من دوار صفيحي و موظور بالكريدي إلى الكاط كاط الألمانية و الفيلا الكاليفورنية !

و بين السفلى و الفوقي طبقة آيلة للسقوط بعد انتظار 8 سنوات لزيادة 200 درهم في الرواتب و مرور 20 سنة على آخر زيادة في أجور الجامعيين! باعتراف المندوبية السامية للتخطيط، "حسب الناتج الداخلي الفردي، في بلد فقير، عادة ما تكون الطبقة المتوسطة فقيرة" (!). رغم ذلك، "يقتل" صندوق النقد الدولي الطبقة المتوسطة و يسير في جنازتها. فهو، من جهة، يربط منح قروضه للدولة بتزيلها لما يصفه بـ"إصلاحات" تنقل كاهل المصارييف المعيشية في قطاعات حيوية كالتعليم و الصحة و المقاصة و الصناديق المعاشرة و الوظيفة العمومية و ، من جهة أخرى، ترى نفس المؤسسة المالية الدولية أن "الطبقة المتوسطة متراجعة القدرات المشاركة في الحركية الاستثمارية والاستهلاكية" !

كشف تقرير منظمة الأغذية و الزراعة أن ما يقارب مليون و نصف مليون مغربي يعانون من سوء التغذية. يقتني المغاربة 60% من الوحدات الحرارية الغذائية من الحبوب. مقارنة مع الاستهلاك الدولي، لا يتقدم المغرب إلا في الدقيق والسكر و الشاي. ظاهرة "الخبز وتاي" المغربية ليست كاريكاتورية، بل هي عند المغلوبين على أمور معيشهم ضرورة يومية. حتى أن قلة استهلاك اللحوم، بل عدمها، عند شرائح واسعة جعلت من عيد الأضحى هو "عيد الكبير" القادر بالخروف، بينما عيد اختتام فرض صيام رمضان تعتبره الذكرة الشعبية مجرد "عيد الصغير" !.

يشبه المستوى المعيشي الحالي لمغاربة السفلى المستوى الأوروبي لفترة الخمسينيات و السبعينيات. كما يبلغ المعدل الوطني المغربي قدرة شرائية تساوي 22 في المائة من المستوى الذي بلغه المجتمع الإسباني الحالي الذي لا تبعده عننا سوى 15 كلم.

و من تجويع البشر إلى تسويقه، وضع تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية المغرب بين البلدان القليلة الاهتمام بمحاربة "الاتجار البشري"، أبغضه تشغيل الأطفال واستغلالهم الجنسي. مع وضع كارتى يتغذى من هدر مدرسي يبلغ نصف مليون منقطع ومتقطعة. رغم مدونة الأسرة، لم تتراجع ظاهرة تزويع الطفّلات، خصوصاً القرويات، بل عرفت تزايد "الاجتهد" في ابتكار وسائل ماكرو، مقتبسة عن "الزواج السياحي المصري" ، من ضمنها "كونطرا" أو شيكات الضمان، لتفويت طفلة خلال سياحة جنسية بسومة نقل بكثير عن بيع عجلة صغيرة !.

انحصر نقاش التصويت على القانون الإطار للتعليم في فرنسة بعض المواد العلمية و في لایفات الغضبة البنكريانية البوحاطية. و لا أحد تحدث عن أربع تلاميذ من بين عشرة ينقطعون عن الدراسة بعد أربع سنوات. ثلثهم غير قادر على فهم عمليات حسابية عادية، بل ثلثاهم لا يفهمون ما يدرسون. رغم حوالي 2500 مليار سنتيم المرصودة، لم يعجل "البرنامج الإستعجمالي" إلا بتفاقم معدل الاكتظاظ. من بين 100 طفل يلتحق التعليم الابتدائي، 70% يغادرون قبل

الحصول على البكالوريا. كيف يمكن مقاومة تشغيل الأطفال و المندوبية الرسمية للتخطيط تعتبر أن السكان "نشطين" منذ سن 15 سنة؟ سجلت أرقام المندوبية أن معدل البطالة بلغ 2 ، 43 في المائة في صفوف الحضريين الشباب البالغين بين 15 و 24 سنة. مع كل تحفظ حول طريقة بلوغ أرقام تجاوزت "دقتها" ما بعد الفاصلة، استغرب كيف تعتبر مؤسسة رسمية من لم يخرجوا من المراهقة ضمن الساكنة النشطة، بدل اعتبارهم في سن الدراسة الثانوية أو التكوينات المهنية!

في المجال الحضري، ثلاث شبان من بين عشرة في حالة عطالة. لأن 2500 مؤسسة تعليمية و 300000 موظف وربع الميزانية العمومية "تنتج"، اطلاقاً من كل مائة تلميذ بالابتدائي، 26 في السلك الثانوي، يتقدم منهم 22 لامتحان البكالوريا. ينجح منهم 10 ، ليلاج 7 منهم مسالك التعليم العالي. ثلاثة منهم يحصلون على الإجازة وواحد فقط سيجد عملاً لأنقاً في أجل معقول !

## 19... إلى تفجير الدمقرطة

للمغرب اليوم 145 سد قيد الإنجاز، 41 ميناء من بينها الأكبر إفريقياً و من بين العشرة الأوائل عالمياً، 3000 كلم من الطرق السيارة، و هي الدولة الإفريقية الوحيدة التي تتوفر على قطار فائق السرعة... لكن البنيات التحتية و إن كانت أساسية و ليست لا شيء لكنها ليست كل شيء بين حاجيات المنظومة التنموية المجتمعية الشمولية. بناء الأوراش الكبرى لا يكون في معزل عن بناء الإنسان!

يحتوي الرأسمال غير المادي على رأسمال بشري محمل بالكافاءات والإبداعات، وعلى رأسمال مؤسساتي يتعلق بمستوى البناء الديمقراطي والعدالة العادلة و الجودة الخدمية الإدارية... بالإضافة إلى رأس مال مجتمعي يتضمن الثقة الفردية في الحياة الجماعية، في تكافؤ الفرص و انتشار التضامن، مع ربط ضمان الحقوق باحترام الواجبات، وربط التفاعل بين الفردي و الجماعي بدهنيات و تصرفات بناء. و كلها مكونات مؤثرة على عمق جدوى نموذج تنموى لا يكتفى بمحتواه الإنمائي السطحي.

و هكذا يتضاعد عزوف و إحباط، شباب حامل الشهادات صار يحمل العمارات ، يلاحظ كيف اغتنى منتخب الدرج الأمي في ظرف قياسي ، بينما تضطر أرمدة السباق الأولمبي عبد السلام الراضي إلى بيع كؤوس وميداليات البطل المنسي! قريراً منا، اعترف الحارس السابق للمنتخب المغربي و فريق شباب المحمدية أن الحاجة دفعته إلى بيع قفازيه !

كيف يمكن إيقاف نزيف العزوف عن الانتخاب والترشح عندأغلبية صامتة تسمع وتقرأ خلال جماعيات وجهويات عن إعادة انتخاب رئيس مجلس جماعي متتابع في حالة سراح؟، عن مرشح قدم سجلاً عدلياً نظيفاً بعدما كان

متابعا في قضية اغتصاب؟، عن مرشح تم اعتقاله خلال حملة انتخابية أنت بنجاحه و هو داخل زنزانة؟ و كيف لا يأتي بحث ميداني حول المواطن بأجوبة شباب يعتبرون ظاهرة الارتشاء "اجراء عاليًا عند الحاجة الملحة"؟. ولما الاندهاش أمام تفاقم ظاهرة الغش في الامتحانات، عندما يبلغ إلى علم التلاميذ أن بينهم نائب إسلاموي أدخل 3 بورطابلات؟. و كيف إقناعهم باتباع قيم السلف الصالح عندما يعلمون أن المملكة العربية السعودية، مهد الإسلام، تحل المرتبة 70 على سلم الارتشاء حسب مقاييس "ترانسبارانسي"؟.

و كيف السبيل إلى حماية سلامة الذوق الفني، مع إنتاج يعيش على إمدادات المركز السينمائي المغربي، يمد يده إلى أعمال أجنبية تخثار أحوال مدننا المزرية لتصوير مشاهد عن إرهاب عراق داعش أو كندهار طالبان في أحياه يقطنها مغاربة يرعبهم التفجير و التهويش؟. نعم، الأفلام الأجنبية تدر على المغرب أكثر من 70 مليار. لكن، لابد الخصم منها ما فشل المركز السينمائي المغربي في استرجاعه من أموال الدعم المنهوبة.

بينما ينتشر "الحرير الفني" للهاربين نحو فناني وفكاهيي الديار الفرانكوفونية، أو نحو المسلسلات التركية، المصرية، الخليجية و حتى الهندية، ينتظر فنانو الداخل كاشيات مسلسلات رمضانية يتحكم فيها نفس المنتجين في خدمة المستهيرين قبل المشاهدين. حتى أصبحت، مع بعض الاستثناءات، الرداءة صناعة محلية لتهابط الذوق الرفيع، عبر التطبيع مع التفاهة و الجهل الفضيع.

وعندما لا يجد الشباب فضاء رياضيا و فنيا و ثقافيا، توبع رئيس جماعة بتحويل مشروع دار الشباب بتجزئة حضرية إلى بقع أرضية فوت ملكيتها إلى والدته . دور شباب بفاس، العاصمة العلمية، مهددة بالانهيار، بعضها بدون ماء أو كهرباء. ميزانية المعاهد الفرنسية بالمغرب أكبر من ميزانية وزارة الثقافة المغربية ! بينما تخصص الميزانيات الجماعية للفران أكثر ما تخصص لشراء الكتب، 200 ساعة قراءة سنوية بالمجتمع الغربي تقابله يضع دقائق في مجتمعنا الذي لا يطبع أكثر من 100 كتاب في السنة مقابل مائة ألف في ألمانيا، ستين ألف في فرنسا... في المغرب، أصوات انتخابية تباع و تشتري بأكثر سهولة من الكتب والجرائد! عندما تدفع الدولة عشرة دراهم لدعم الاستهلاك، يحصل الأكثر فقرا على درهم واحد، لو أخذنا بعين الاعتبار استعمال فلاحين غلاض للبوتاغاز المدعمة في عمليات السقي و استهلاك كوكاكولا للسنندة المدعمة. نحن في مجتمع اقتصادي كثير الأنشطة غير المهيكلة أو غير المعلنة، مشبوهة أو ممنوعة (الاتجار في البشر، الدعارة، المخدرات...) التي تعيل عائلات مرشحة إحسانها للمساعدة، لكنها واقعياً ما خصتها حتى خير !

قد توجد في نفس العمارة فتاة نظريا عاطلة، تمتلك شقة اشتراها كونطة، لا علاقة لها بأوضاع مادية لجارها المعلم مول المانعة الذي يواجه تسديد

فروض لا منتهية. من منها يستحق بطاقة الاحتياج؟ بعد أكثر من نصف قرن من تفضيل النهج الريعي الفنوي على بناء نموذج تنموي مجتمعي شمولي، لا زال المغرب مضطرا إلى تحويل مقاومة التفكير إلى ثنوبيه! بعدها مل تساعد بطاقة الناخب على تفادي نموذج ريعي انتهازي يقسم المغاربة بين أقلية المنتفعين وأغلبية المهمشين، بين الخطفة للغلاض واللهطة للضعاف!

## 20- أصوات الصفيح

منذ رفع شعار "مدن بدون صفيح"، لا زالت 83 مدينة في انتظار زوال برايريك أحيانا في قلب نسيجها "الحضري". تضم مدينة مراكش 80 دوارا صفيحيا، 22 منها ضمن الفضاء العمراني لمقاطعة كلوز السياحية. بل هناك إحصائيات رسمية تتحدث عن التحاقيق 420 ألف شخص خلال السنوات الأخيرة بالسكن الصفيحي. قد يطول ترحيلهم عشرات السنين، دون إزعاج منتخبين ينظرون إلى البراريك كراسمال أصوات انتخابية تصنع رئاسة جماعية قد تؤدي على نيابة برلمانية "محترمة"!

حددت "خريطة مخاطر الرشوة" 101 من المخاطر المحتملة للفساد و الرشوة في العقار و التعمير، 57 في ميدان البناء و الشغال، 32 في مجال التسويق و 5 بمجال إعداد الوعاء العقاري. حتى صار لإفساد التجربة الانتخابية علاقة وطيدة بالبناء العشوائي، كان البرنس الانتخابي أصبح أول باني المغرب الحالي. أظهرت صور فضائية لمجموعات عشوائية على الحدود المدارية الحضرية أن بنايات شيدت على أراضي فلاحية، تحولت إلى شبه تجزئات سكنية تطول أزقتها الضيقة مع حلول كل حملة انتخابية.

أكد ناشطون في المجتمع المدني، في رسالة إلى الجهات المسؤولة، أن " عمليات البناء و التقسيم و التجزيء تجري أمام أنظار الجميع، إذ يتواطؤ منتخبون و منعشون و رجال سلطة في تحويل الأشرطة العقارية و العمرانية المحاذية بالعاصمة الاقتصادية إلى "كونتونات" حيث يعيش آلاف السكان في ظروف اجتماعية بئيسة".

أدى عزوف ناخبي الأحياء الراقية البيضاوية، بل حتى المنعوتة بالشعبية، إلى تراجع الأصوات الناخبة. حضرت القوة الناخبة المعوضة البالغة 68 ألف عائلة داخل ما يناهز 800 مجمع صفيحي، قادرة على رسم خارطة توزيع الأعضاء بين الجماعات والمقاطعات والدوائر التشريعية. بناء سقایة و صيانتها داخل مجمع صفيحي يشكل برنامجا انتخابيا مربحا. تقديم زردة واحدة أيام الحملة يعادل الدخل الشهري لأستاذ جامعي يحلم بالمشاركة في كاستينغ "المسلسل الديمقراطي" ! عرف فيلسوف فرنسي معاصر الديمقراطي عندهم بكونها "ماركتين سياسي موجه للقراء". ماركتين يصير عندنا

## مارقين الولائم!

المغرب موحد لكن ليس واحدا بفوارقه الترابية الواضحة، والمغاربة ليسوا كلهم متساوين التمثيل بفوارقهم الاقتصادية و الاجتماعية الصارخة! تبقى المجالات العمرانية متقطعة الفوارق الأفقية بين جماعة حضرية و قروية، بين جهة و جهة، بين إقليم وإقليم في نفس الجهة، بين حي و حي في نفس الجماعة... جهات سبقت أخرى بـ 40 عاما في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و 20 عاما في التعليم. مع ذلك، 20 إقليما الأقل نموا بالمغرب لا زالت موزعة على جميع جهات المملكة.

أضيفت أكثر من 400 جماعة إلى المناطق القروية "المستفيدة" من كوطه القمح المدعم. بل لا زالت الفوارق الترابية تعتبر مبررا رسميا لعقوبات إدارية، كتهجير قضاة أو رجال أمن أو ممثلي مصالح وزارية خارجية إلى مناطق نائية بالنسبة للأقطاب الاقتصادية الرئيسية، من خلال تهميش إداري يدخلهم كراج "المنفي" الجغرافي، بعيدا عن المغرب السلطات النافعة.

أصبح الولوج للصحة (التي لم تعد رسميا "عمومية") من بين أسوء مظاهر التخلف الاجتماعي. لنجد من بين الأدوية الأكثر انتشارا في المغرب المهمنات ومانعات الحمل و...البومادات، و "دوليران" بطل أرقام معاملات الصيدليات.

أمام الفوارق الاقتصادية والاجتماعية الصارخة، تقوم مؤسسة محمد الخامس بحملات محاربة الفقر والتهميش لجمع المساعدات بكل شفافية. لكن خير مقاومة لمظاهر الفقر تبقى محاربة أسباب التفقر. فكما لكرة القدم يكون الهجوم خير أسلوب لأحسن دفاع، تكون التنمية و حسن توزيعها بشرييا و ماديا خير مقاومة لل الفقر و الأممية و اللهمطة الانتخابية. وهو ما نبه إليه محمد السادس في خطاب ملكي، مؤكدا بأن "اسمى أشكال الحماية الاجتماعية هو الذي يأتي عن طريق خلق فرص الشغل المنتج".

يتدخل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في تمويل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، إضافة لكل الإقتراضات والمساعدات على غرار برنامج مدن بدون صفيح الذي يحضى بهبات و قروض الاتحاد الأوروبي و الوكالة الفرنسية للتنمية و الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون. كما يستفيد المغرب من "سياسة الجديدة للجوار" بين المغرب والاتحاد الأوروبي... لكن، رغم كل هذه المساعدات و غيرها كثير، لم يتمكن لا الجانب الحكومي و لا النسيج الجماعي من حكامة داخلية كفيلة بحسن استعمال ما تدفعه الأطراف الخارجية. لأن عدة مشاريع تحتاج إلى تدبير جماعي أو جهوي يمر عبر منتخبين أكثرهم يبحثون عن المعاونة لراسهم، أو يحيلوا ما أمكن جلبه لجمعيات التحياح الانتخابي، أو يحولوا عجزهم التدبيري إلى أطلال مشاريع مهجورة أو أحجار أساس بلا ساس!

بدعوى المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، تقوم كيانات حزبية محلية

بتحويل برامج عمومية لأغراض انتخابوية (التخييم، ملاعب القرب، الدعم الغذائي البشري، توزيع العلف الحيواني...). لا غرابة إذن أن تلجأ الهيكلة الجديدة للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية إلى إزاحة رؤساء الجماعات الحضرية و القروية من رئاسة اللجان المحلية، لتعويضهم برؤساء مناطق حضرية و باشوات و قياد و رؤساء الدوائر. و لا غرابة أن تخلص أعمال فريق التفكير "تينك تانك" الذي تشرفت بالانضمام إليه (بتطلب من الوالي السابق للدار البيضاء و بتسيير رئاسة الجامعة) إلى إجماع المشاركين حول ترك تنسيق الحكومة الجهوية للوالى بدل رئيس الجهة، نظرا لنجاعتها في الظروف الراهنة!

## 21- ادهن السير...

تجاه الفساد الإداري والفساد السياسي و الفساد الاقتصادي و الفساد الأخلاقي، يشكل الارتشاء عامل مشترك لكل حركة، كأول رياضة وطنية. أكثرها انتشارا، القفز على القانون الذي يعذر عن جهله صاحب الوقت، و راشون و مرتشون يتفاهمون حول مخالفات و تحايلات مشتركة الأرباح. على سبيل مثال بدون حصر، يشكل عدم احترام تصاميم البناء مخالفة مرحبة للطرفين، تقدم قيمة تسويقية مضافة لبائع عقار متتحول، يعود قسط منها لبائع رخصة السكن، في إطار علاقة "رابح - رابح".

كشفت دراسة أنجزتها وزارة الإسكان أن عدم التبليغ في حالات الرشوة يعود إلى الخوف من المشاكل التي قد تعرّض صاحب التدويرة. لكن "الخبراء" أنكروا سببا أكثر انتشارا، يتعلق باستحالة تبليغ الراشي عن مرتشي مكنه من ربح أضعاف ما قدمه ! حتى صار الارتشاء المتبادل المنافع عاديا في دهنياتنا المجتمعية. لدرجة احترام كل اغتناء مهما كان مصدره، أصبح معه حامل الشهادة الجامعية ذلك "العاطل الفاشل" وصار الأمي شاري أغليبة المجلس الجماعي "سعادة الرئيس المحترم".

ليس كل الراشين والمرتشين من نفس مستوى الأخذ و العطاء. دهين السير يسير حسب حجم الأحذية، صعوبة الطريق و المسافة/المريحة. جاء الدستور بـ"الوسيط" ضمن المؤسسات والهيئات لحماية الحقوق والحريات، "في نطاق العلاقات بين الإدارة والمرتفقين، والإسهام في ترسیخ سيادة القانون وإشاعة مبادئ العدل والإنصاف وقيم التخلق والشفافية في تطبيق الإدارات والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية". مع ذلك، لا يوجد أرجع وأسرع من "الوسطية" أو "الركيزة" أو "اليد الطويلة" ...

من جانبها، تتولى "الهيئة المركزية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها" مهام "المبادرة والتنسيق والإشراف وضمان التتبع وتنفيذ سياسة محاربة الفساد.... ومساهمة في تخليق الحياة العامة وترشيد مبادئ الحكومة

الجيدة وثقافة المرفق العام وقيم المواطنة المسؤولة". لكن توجهات دستورية نبيلة تحتاج إلى تغيير عقليات مجتمعية متقدمة، غالباً ما ترى في التعامل الشائع بين طرفي الإرتقاء مجرد تعامل كياك وبيوك!

ربما هذا ما يفسر صعوبة مرور هذه الهيئة من شفوي "الوقاية" إلى "محاربة" فعالة. إذ لا زلنا نلاحظ أن رفاق أحمد الغلوسي في الجمعية المغربية لحماية المال العام، عبر فروعها الترابية، يحيلون شكايات على الفرق الجهوية الخاصة بالجرائم المالية، أسفرت على عدة متابعات قضائية أكثر جدوى من عمل هيئة لا تبدو مهيئة. على غرار قضية كازينو السعدي، وتقديم الوثائق المؤدية إلى اعتقالات في قضية البرلماني المتهم باختلالات في مشاريع بالجديدة، أو مواجهة الوالي السابق لجهة مراكش. آسف حول تفويت عقارات بأثمان زهيدة لفائدة منتخبين ومقولين!

هناك شكاية أخرى تقدمت بها الشبكة المغربية لحماية المال العام دعت إلى مسألة الجمعية الاجتماعية لعمال و وكالات و شركات توزيع الماء و الكهرباء و التطهير السائل بالمغرب (التي يرأسها أحمد خليلي الإسماعيلي نائب الأمين العام الاتحاد المغربي للشغل) حول بيع مجموعة من ممتلكات الجمعية بطرق مشبوهة و إسناد 15 منصباً لأفراد عائلة الرئيس، ضمنهم ابنته المسؤولة عن مصلحة المشتريات و إبان على رأس مركزي الاصطياف بمراكش و ولاد حدو البيضاوي، إضافة إلى إسناد مناصب لأصحابه و أقاربه!

تضع "ترانسبارنسي" الأحزاب على رأس "المستفيدين" من "الاستثمار الانتخابي"، سواء عند الاقتراع المباشر أو تجاه تصويت "كبار الناخبيين"، أحياناً مع ضمان الصفة بـ"شيكات ضمانة"! أغلبيات مطاطية لمجالس محلية يصيير فيها "الناخبون الكبار" صغاراً أمام إغراءات لا علاقة لها باللوان الإنتماءات!

عندما تحدث abbé Syeyes<sup>1</sup> عن تهميش و تفجير ساكنة "البلدة الثالثة (tiers-Etat)، كان لانتهازي الإقطاع الأوروبي فرص استغلال أسفل الطبقة الاجتماعية (les gueux). قبلهم كان لروما مستضعفوها (la plèbe) و بعدهم صار لنا من ينحوهم بـ"هيش" و يسخرونهم لأخص الأجور العاملة و أرخص الأصوات الناخبة! يصنعون ل المغرب اليوم بلوتوكراطية ploutocratie تقاس "تمثيليتها" بالقدرات المالية. فإذا كان لأوروبا العهود الإقطاعية السابقة اقتراع انتخابي sensitaire يقبل فقط التعبير على أصوات الأغنياء، فعندها فيه ضمان لحق الأغنياء في شراء أصوات الفقراء. بعيداً على تعريف جان جاك روسو للمساواة: ألا يبلغ مواطن من الثراء ما يجعله قادرًا على شراء مواطن آخر وألا يبلغ مواطن من الفقر ما يجعله قادرًا على بيع نفسه".

لا يكفي أن ينص دستور 2011 على "ترسيخ قيم الشفافية والنزاهة"

والإنصاف" ، إذا لم تحضر وسائل التصدي وإذا لم ترافقها تحصينات تربوية مجتمعية، بقناعات ذهنية و سلوكيات يومية. الدسترة لا تضمن النتائج الحتمية لتأسيس نموذج أخلاقي، فهناك بلدان عريقة في الديمocrاطية كالديار البريطانية معفية من دساتير مسيطرة و مطولة. في الواقع، بحسب الدستور أو بدونه ، يبقى السؤال المطروح : هل كل المغاربة، من السفلي إلى لفوقى، يريدون حقا جفاف منابع الارتشاء؟

## VI براريك " كاليفورنيا"

كثير من المنتخبين غيروا مقوله الرئيس الأمريكي جون كيندي: "لا تسألوا عن ماذا تقوم به أمريكا لصالحكم، بل تسأعلوا عن ماذا ستقومون به أنتم لصالح أمريكا" (غيروها) إلى "لا تسألوا عن ماذا ستقدم للجماعة، بل اسألوا عن ماذا ستقدم لنا الجماعة". خاصة عندما يعم فقر معيشى وافتقار لكرامة الكثير من الناخبين. إذ تساءل Bertrand Russel "لو أن رجلاً قدمت له الديمقراطيّة ثم قدمت له كيس من الدقيق، إلى أيّة درجة من الجوع سيفضل كيساً من الدقيق على ورقة الاقتراع؟"

### 22 - ولاد الـدرب

يمعن القانون المغربي الحملات الانتخابية السابقة لأوانها. ليس بالضرورة، لو فعلاً عملت الأحزاب على احترام مسؤولياتها الدستورية في تنظيم وتأطير المواطنين في كل وقت وحين، لما كان اللجوء لاحتياطات رادعة لأمور عادلة في كل حركة ديمقراطية. فالحملة الانتخابية تكون دائمة، لو كان للأحزاب تنظيمات موازية تواصلية للشباب و المرأة و الأطر، ولو كان لكل نائب برلماني مقرًّا مداومًا مستمرة مع دائرة انتخابية.

في الحقيقة، أكانت قبل أو في أوانها، لا تهتم الأحزاب بالحملات الانتخابية إلا بما تضمنه من قدرات المرشحين التمويلية المحصلين على التزكية. غالباً ما تختزل كل البرامج الموعودة في توزيع مناشير وتعليق شعارات على جدران كاراتجات يكترونها بضع أيام، قبل أن تعود إليها سيارات أصحابها، في انتظار أكباس عيد الأضحى !

بعد الإعلان عن النتائج، من أجل تكوين المجالس، خلال جماعيات بناء 2009، لم يجد حسن طارق (عن الشبيبة الاتحادية) أدنى حرج في "قبول أية شروط تحالفية مع أي مستشار، مهما كان انتماوه و لو للبام، إذا كان ذلك سيمكننا من إشراكه في الحصول على رئاسة جماعية اشتراكية". كما صرّح عبد الإله بن كيران خلال نفس المناسبة أن "لنا تحالف في الشمال مع الاتحاد الاشتراكي، في الوسط مع الاستقلال و التجمع". خلال جهويات 2015، صوت منصف بلخياط وزير الشباب و الرياضة السابق لصالح "البام" لرئاسة الجهة و لصالح العدالة و التنمية لرئاسة جماعة الدار البيضاء ! غالباً ما يخضع تكوين الأغلبيات في المجالس الترابية المنتخبة لمنطق

الاقتراب من تفويضات الرئيس-المدير العام. شريطة ضمان استحواذ سعادته على ترخيصات التجزئات و التجمعات السكنية و طلبات عروض أعلى صفات التجهيزات... على أن يترك سعادة الرئيس صغار الرخص لمفوضين ضامنين تمرير الحساب الإداري السنوي، بعد أن يصيروا عاجزين على الكلام غير المباح بفم تملؤه حلاوة الإمضاء المتأخر.

إضافة إلى التفويضات، يفتح مركاطو تبادل المستشارين العاطلين بين الجماعات، بتوظيف مستشار، عاطل بجماعة هناك، شريطة قبول توظيف المستشار الشومور في الاتجاه المعاكس. ليصير المنتخبان إطارين شبحين هنا ولهميه!..

كما تعم خيرات "اعطيني نعطيك" توزيع المناصب العليا التي تجاوزت ألف تعين قامت بها الحكومة خلال ولاية و نصف، اعتمدت فيها التبادل بين الأحزاب المكونة أو المكلمة للرئاسة/البيجية. فضلا على مناصب الاستشارة بالكونترا مع مختلف القطاعات العمومية، بعضها لإرضاء ممولى الانتخابات الراغبين في تشغيل أبناء لم يجدوا لهم مكانا ضمن اللوائح الوطنية و الشبابية الفاتحة أبواب الغرفة النبابية.

## 23 - سواد "البيضاء"

للدار البيضاء عدة منابع مائية، كعين الشق وعين برجة وعين السبع وعين الذباب... لكنها مدينة ناشرة من كل انتعاش ثقافي، فني، رياضي، ترفيهي، خاصة في أحياط هامشية يسمونها شعبية. في فراغ عمراني متناقض، تحيط معه مئات الدواوير الصفيحية بعمارات و فيلات ستانينية.

لتامين هروبها إلى الأمام، كم حاجة قضتها "وحدة المدينة" بترك الشؤون البيضاوية الأساسية لشركات التنمية المحلية، تنازلت لها عن تدبير الأملال الجمعية والمرافق العمومية و التنشيط الثقافي و التجهيز الرياضي و النقل الحضري و التهيئة الترابية... شركات حولت العاصمة الاقتصادية إلى رهينة في أيادي بعض سوبر مدربين لم ينتخبهم أحد، يشرفون على مشاريع تمول بميزانية يصوت عليها منتخبون أغفلهم لا حول لهم و لا قوة!

كما يضاف لتدبير مسلم dégué légué تدبير مفوض لشركات النظافة و الإنارة و التطهير، عبر تنازلات لشركات أجنبية لم تكن أمثلتها التدبيرية مثالية. حيث أظهرت تحريرات المجلس الأعلى للحسابات سوء تدبير مفوض قامت بموجبه "ليديك" بتوزيع مسبق لأرباح المساهمين، إضافة إلى تفضيل خدمات الشركات الأم على حساب المقاولة المغربية... . بدون أي تأثير على ظروف عيش عمال النظافة، لا زالوا يقفون أمام المقاهي والمخبزات يمدون يدهم للأتوايرة. لا يختلف قدرهم عن مياومي الإنعاش الوطني المعترفين أنفسهم "خدامين فالبطالة" !

خلال افتتاح الدورة الخريفية لسنة 2013، تساءل الخطاب الملكي: "لماذا لا تعرف هذه المدينة، التي هي من أغنى مدن المغرب، التقدم الملموس الذي يتطلع إليه البيضاويون والبيضاويات على غرار العديد من المدن الأخرى؟ و هل يعقل أن تكون فضاء للتناقضات الكبرى إلى الحد الذي قد يجعلها من أضعف النماذج في مجال التدبير الترابي". كما أشار التخريص الملكي إلى "النمط التذبذبى لبعض المجالس المنتخبة التي تداولت على العاصمة الاقتصادية، تحكمت فيها تناقضات سياسوية وتعددت مسؤولياتها على مسؤولين غير متفرغين".

بعض المنجزات المهيكلة (بجر الكاف)، رغم الإقرار بقيمتها و فوائدها، تبقى شبيهة ببعض أشجار تختفي غابة المشاريع العالقة أو المتأخرة أو الفوضوية. فقط في الدار البيضاء، هناك تعثر نفق الموحدين، فوضى النقل الحضري، تأخر أشغال المسرح الكبير، توقيف "الكرة الأرضية"، عيوب كورنيش العنق، إهمال كازابلانكىز، تدهور مارشي سانطرال، إصلاحات لامنتهية لمركب محمد الخامس و حديقة الجامعة العربية، معاناة سائقى و ركاب التاكسيات، تحكم حراس السيارات، احتلال الملك العمومي، انتشار التسول، اضطرابات و تأخيرات الطرامواي...

ماذا ننتظر من مخططات التنمية المحلية في جماعات لم يلجم المدرسة 4739 من أعضاء مجالسها؟ مع 8792 عضو لم يتجاوزوا المستوى الدراسي الابتدائي؟ أكدت جماعيات وجهويات سبتمبر 2015 أن تعليم نصف المنتخبين في ربوع المغرب وقف عند شهادة الابتدائية بل أوصلت شريعيات أكتوبر 2016 تسعة نواب "بدون". ليظل عنانا برلمانيون عاجزون عن قراءة سيفيات حاملي الشهادات. إلا إذا سلمنا أن لنا المنتخبون الذي نستحق، حين تخبرنا الوكالة الوطنية لمحاربة الأمية بأن عشرة ملايين مغربي و مغربية لا يقرؤون و لا يكتبون. لكي يعرف المغرب برلمانا بدون أميين ولا متغيبيين ينتظرون دورات برلمان الأطفال !

## 24- الحزب السرى

انتظر المغرب وقتا طويلا قبل تنزيل الحق في الحصول على المعلومات، طالبت به وثيقة البنك الدولي سنة 1996. حق لم نتعود على تعميمه بيننا، ظل منحصرا في باطرونات "الاستثمار الانتخابي"، الداخلين ريزوات تحت تغطية تمكّنهم من المعلومة المربيحة (droit d'initié). فقد أعطت الدار البيضاء خلال سنين عديدة لرئيس جماعتها و لرئيس جهتها، الممتهنين النشاط العقاري، حق الإطلاع على أعمال لجنة الاستثناءات، غالبا ما تتخطى ترخيصاتها حدود الفرق بين تسريع استثمار استثنائي و تشجيع ريع عقاري. أكثر مأكل الكتف "بنة" تضمنها حصريا معرفة التوجهات العمرانية

لتصميم التهيئة، من موقع رئاسة جماعة تربوية تحمل قبعة ثانية لمقاؤلة عقارية. منذ 2003، تعددت الترخيصات الاستثنائية المقدمة لمنعشين عقاريين محظوظين، متمكنين من إنجاز مشاريعهم على أوعية عقارية لم تبلغها تصاميم التهيئة العمرانية.

خلصت إحدى حملات المراقبة إلى غموض مساطر الاستفادة من رخص الاستثناء و مسار إيداع الطلبات و تركيبة اللجان التي تبت فيها، موضحة أن شركات عقارية كبيرة و منعشين تحصلوا على استثناءات دون الوفاء بالالتزامات الواردة في ملف طلبات تحولت إلى مضاربة عقارية في مناطق حيوية.

اقتراحات العدالة و التنمية تعديل القوانين التنظيمية المتعلقة بالجماعات المحلية لم تهتم بالفصول المتعلقة بالتدبير و التخطيط و الموارد البشرية، و لا بسبيل التفاعل السينرجي بين مختلف الفاعلين التربويين، بل انحصرت في توسيع الحصانة لرؤساء الجماعات و الجهات و عن تقليص وصاية الولاية و العمال. مع العلم أنه لا يمر يوم حتى نقرأ عن أبحاث تمهيدية لفرق الوطنية للشرطة القضائية، تفضي إلى متابعة بفساد وتزوير وسوء تدبير، تهم مسؤولين إداريين أو منتخبين. لكن، حين تصل إلى قبة البرلمان، ناذرا ما يتبعها طلب رفع الحصانة، رغم أن الدستور لا يشير بالحرف إلى "الحصانة"، بقدر ما يتحدث الفصل 64 عن "عدم إمكانية متابعة أي عضو من البرلمان أو البحث عنه ولا اعتقاله ولا محاكمته بمناسبة إيداعه لرأي أو قيامه بتصويت خلال مزاولته لمهامه، ما عدا إذا كان الرأي المعتبر عنه يجاهل في النظام الملكي أو الدين الإسلامي أو يتضمن ما يخل بالاحترام الواجب للملك". فالبرلماني، أمام القضاء و عند مزاولة حياته المدنية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، يعتبر كسائر المواطنين المغاربة.

## 25- "المحسن" البصري

قبل انطلاق انتخابات 1997، تصدر عنوان "أداء الديمقراطية" يومية الاتحاد الاشتراكي. لكن ذلك لم يمنع حزب "القوات الشعبية" من الالتحاق بباقي الأحزاب المشاركة لإمساء "الميثاق الشراكة" مع الداخلية البصرية. كحل توافقي لكل الإشكالات المطروحة، صار هذا الميثاق إطاراً مقبولاً من طرف الجميع، يتحقق معه "التعادل بين الاتحاد الزموري وأ JACKS AMSTERDAM" ، على حد قول إدريس البصري، مجيباً على السؤال الصحفى: "بصراحة، لماذا تتدخل الداخلية في النتائج الانتخابية؟".

مكّن "التوافق والتراضي" بين سلطات المفهوم القديم و أحزاب التفهم الجديد "انتخاب" البارونات و الاستفادة من توزيع تمويل عمومي سخي، ظل يحضرى بالابتعاد عن كل مراقبة. لكن التراضي لم ينزل رضى كل أهلها.

بشهادة لمحمد حفيظ، مباشرةً بعد إعلان نتائج تشرعيات 1997، معترفاً خلال استجواب صحفي بأن "الجميع يعرف أن الفريق الاشتراكي الجديد في البرلمان يتضمن مزورين (فتح الواو)".

من جهته، في إحدى استجاباته، اعترف حميد شباط، في عز رئاسته لحزب الاستقلال ونقاوته، أن "وزارة الداخلية كانت تجد حلولاً لعدة مشاكل. نؤخذ عليها تزوير الانتخابات، لابد من الاعتراف أنها فعلت ذلك لصالح الذين يتكلمون كثيراً، لقد كان إدريس البصري محسناً للعديد منهم". خلال سلسلة استجابات مع صحيفة يومية، يقول الناشر الصحفي مصطفى العلوى: "هي عهد إدريس البصري أصبحت الأحزاب تتواجد ابتداءً من الساعات الأولى للصبح على بيته و يجلسون معه حتى العاشرة قبل أن يغادر إلى مكتبه. لقد كانوا يعتبرونه وساطتهم مع الملك. علاقة إدريس البصري بالأحزاب خربت المغرب وأعطتنا جيلاً من المرتزقة السياسيين".

كانت المعارضة البرلمانية الاشتراكية، التعادلية، التقدمية، قبل دخول الحكومات اللاحقة تعطي الانطباع أن إدريس البصري هو مفسد الانتقال الديمقراطي و هو من آخر انطلاق التناوب التوافقي وهو المسؤول عن "شهداء كميرة" خلال كل الإضرابات. لكننا نجد نفس إدريس البصري عند ملتقى عدة علاقات صهرية مع عائلات تمتد جذورها إلى ما قبل "الحركة الوطنية".

فقد تزوجت بنت البصري من عبد الله حصار المنحدر من عمر الخطيب، أب الدكتور الخطيب (الذي احتضن المرور من الشبيبة الإسلامية إلى حزب العدالة والتنمية) و الفاطمي بن سليمان، رئيس مجلس العرش سنة 1955 و عم الجنرال حسني بن سليمان . أخت الدكتور الخطيب هي زوجة عبد الحميد العلوى، باشا سابق و أب مولاي إسماعيل العلوى، الأمين العام السابق لحزب التقدم و الاشتراكية. يحيى بنسليمان، مدير سابق للديوان الملكي هو صهر محمد بوستة، الأمين العام السابق لحزب الاستقلال. كما تزوجت بنت البصري الثانية من أحد أحفاد علال الفاسي، مؤسس حزب الاستقلال و أب زوجة عباس الفاسي، وزير أول سابق و أب زوجة نزار بركة، الرئيس الحالي لحزب الاستقلال.

أين نحن من تدخل محمد بوستة على منصة البرلمان، نعم خلاله وزارة الداخلية بـ "الحزب السرى"؟ و أين نحن من إخوة و رفاق طالما نصحونا بأن نحتاط من "أم الوزارات" ، ظل طويلاً على رأسها من تدخلت أغصان

شجرته العائلية بزعماء ثلاثة أحزاب، بوزيرين أولين و بخمسة وزراء؟

فسر صحفي ليكسبيريس الفرنسي رسوب الوعود اليوسفية بـ "التغيير والتخليق" بوجود "منظومة معارضة للإصلاح، أكثر عمقاً من دور إدريس البصري... هناك موظفون ومقاولون ومجموعات عائلية محمية تهمين على عدة قطاعات... بعد اغتناء برجوازية ريعية زبونية منذ الثمانينات، لا يريد

الوزير الأول الاصطدام معها ومع مصالحها". بعدها رفض عبد الرحمن اليوسي "محاربة الساحرات"، رفع بنكيران دعاء "عفا الله عما سلف"، بكل تسامح مع استمرار نهج ريعي في مصلحته إرجاء أي نموذج تنمي حقيقي!.

## 26- خيوبية نبوية

في مؤلفهما "من المخزن إلى المخزن"، تحدث الحمياني خطاط ومحمد حنين عن مظاهر التقارب الحاصل بين الأحزاب التقليدية والحكم من خلال توزيع الثروات الإدارية، العقارية، البنكية، المالية و التأمينية الموروثة عن الاستعمار أو المفوتة عن طريق المغربة. كان الهدف منها، ظاهريا، تكوين نسيج مقاولاتي وطني يشكل قاطرة الحركية الإنتاجية التنافسية، قبل أن يختلط فيها الاقتصادي بالسياسي، ليتاح ولوح النشاط الإنتاجي ليس لمن هم أكثر مبادرة مقاولاتية، بل لذوي الفرص الانتهارية. منذ المرحوم بناني مول المشطة بباب الصبع، ماذا اخترعت صناعتنا، أفضل أصحابها أن تكون تحويلية، قليلة القيمة التكنولوجية المضافة؟

في كتابه "النخبة المخزنية في القرن التاسع عشر"، تحدث الدكتور مصطفى الشابي عن مسارات النخبة المخزنية. حين كانت الأنساب والأخلاق العائلية من العوامل المساعدة على الوصول إلى منصب في المخزن المركزي والمحلية، حتى صار من العوائد التي لا تصدم أحداً أن يعين قريبه ليخلفه في مركزه. وبذلك تكونت العائلات المخزنية المتميزة لا ينزاح عنها المجد إلا إذا استنفذت طاقتها في العطاء.

كان هذا منذ قرنين، بعيدين اليوم كل البعد عن مؤسسة ملكية تعمل ببنية جاء في تصديره أن "المملكة المغربية تواصل إقامة مؤسسات دولة حديثة" تتلزم بـ "مكافحة كل أشكال التمييز بسبب... الانتماء الاجتماعي أو الجهوبي...". لكن الإشكالية تحولت إلى تعويض تراجع المفهوم القديم للسلطة المخزنية بتقدم مخزنة أحزاب نادت بالتقدمية!

بين السبعينيات والثمانينيات، كان رجوع قدماء المناضلين والمنشقين الصحراويين في إطار "الوطن غفور رحيم"، لتفتح الأبواب لمن دخلوا دار البصري آمنين مؤمنين مستقبلاً المهني والمادي. لكن تحسين أوضاع الذين تم نعتهم بـ "النخب" لم يؤثر إيجاباً على تحسين أوضاع أحزاب مكتفية غالباً بما تيسر من دوائر انتخابية و حقائب وزارية.

كما ظهرت بين صفوف المعارضة الجامعية أفواج سُئمت مشاهدة "مسلسل ديمقراطي" لا تلعب في حلقاته أدواراً تمكن راضي بل انقلابي الأمس من ولوح طبقة اجتماعية أكثر وجاهة، ولو على حساب فئات ناخبة أقل توعية سياسية وكرامة معيشية. ترقية طالت "نخب" ظاهيرية، اشتراكية، شيوعية أو تعاadلية، ثم بلغت دعوة الإسلامية الشعبوية، اعترف بخيراتها عبد

الإله بنكيران أمام إخوانه، حين ذكرهم بأن "أكثراً هم كان يركب البسكويتات وقلة كانت بحوزتها مرسيدس الطاكسىات" ! صيف 2019، طالب خطاب العرش رئيس الحكومة باقتراح كفاءات ودماء جديدة، مع إشارة إلى أن "هذا لا يعني أن الحكومة الحالية لا تتوفر على بعض الكفاءات". ما يعني أن ضمنها بعض قليل أو منعدم الكفاءات ! و هو وضع سبق أن تقبله عبد الإله بنكيران عندما قال في حق أولى وزرائه: " هنا عندنا التكوين المهني ".

منذ أولى سنوات عهد الحسن الثاني كانت الملكية في مواجهة من كانوا ي يريدون زوالها ليحلوا محلها، ولو كان ذلك على حساب إدخال المغرب في متأهات الحزب الوحيد، أو السكتوت الغريب بل الانبهار أمام مغامرات انقلابية عسكرية أنت بالقذافي و النميري و عبد الناصر و حافظ الأسد... في كتابه "الكهف و الرقيم" يحكى محمد البريني، أحد مؤسسي الصحافة الاتحدية، كيف استطاع الحسن الثاني أن يجنب المغرب مصير البلدان العربية التي وقعت فريسة للحكم العسكري، و يحكى كيف أن قادة تاريخيين بالاتحاد الاشتراكي من أصحاب الاختيار الثوري كانوا مغرمين بالنماذج البعضي، و كانوا يأخذون الدعم من بعضهما البعض و سوريا و قذافي ليبية و بنبلة الجزائر، و لو لم يفلحوا لكان المغرب اليوم في مستنقعات الأنظمة الديكتاتورية العسكرية.

لا زالت بالمغرب نخبوية موسمية شعاراتية فارغة، بل أخلاقياً تافهة. فقد كتبت المحطة الصحفية زينب بن موسى "في ذكرى عشرين فبراير، هنئنا لكل الشراب الذي تشرب فابور على حساب الفاسدين باسم حرية و ما نساوشن حتى السراويل التي تحيدو فمقرات الأحزاب الداعمة للحركة باسم عدالة اجتماعية. هنئنا للشعب بال منتخب الهمجينة التي احتلت الشارع باسمه كي تعبث فيه فساداً و ادعت الاتحاد في ما بينها إكرااماً له، ثم انسحبت بعد أن حصلت على نصيتها من الكعكة تاركة لهم الجوع و القهر و الفقر و الأممية و شيء شوية ديل حرية التعبير حتى هو استغلها أحسن استغلال... هنئنا له باليسار لسي جا غير باش يقوليه كول رمضان وبالإسلاميين لي جاو باش يوصلو بيهم لباب القصر و بالحركة الأمازيغية لي بغيت تعاود تبني قصر الأحلام ديالها على ضهرو، ثم انسحبوا جميعاً تاركين موسم القطاف لبنكيران و أتباعه !..."

ضمن المؤلف الجماعي "النخب و الانقال الديمقراطي" يحلل دومينيك مارتن "النخب الاجتماعية الاحتجاجية في المغرب". معتبراً أن "حركة 20 فبراير تشكل استثناء بقرار الملك نهج إصلاحات جديدة، بعيداً عن كل نزعة ثورية أو عنف فائق. الاحتجاج في الريع المغربي لم يكن ثورياً بل إصلاحيًا !" في دراسته حول "النخبة الثقافية" ضمن نفس الكتاب، يقول ادريس جبري إن "نهاية" حركة 20 فبراير "كانت متوقعة، بسبب تناقض مكوناتها و تباعد مرجعياتها ابنية و غياب مشروع سياسي واضح و عزوف النخبة الثقافية الحادثة عن مهمة تغيير وعي الجماهير".

## 27 - الفضل ورأس المال

خلال السنوات الأولى من الاستقلال، انحصر التمويل الحزبي على المساعدة الخارجية لـ "النوار" الداخليين. فقد أخبر الفقيه البصري أن المطبعة الأولى للحزب مولها الرئيس الجزائري، بالإضافة إلى أموال جيش التحرير وعدة دول أخرى، مؤكداً استعداده تقديم رقم الحساب البنكي الذي استفاد من تلك الأموال. من جهته، يحكي محمد عابد الجابري- في رسالة استقالته بتاريخ 6 يونيو 1980 - أنه لم يطلع ولو مرة واحدة على أحوال المالية الحزبية منذ دخوله المكتب السياسي. كما أشار، دون ذكر إسمه، إلى مسؤول اتحادي لم يتمكن من تقديم أي مبرر لإنفاقه ملايين السنين.

جنابر 1986، انطلق التمويل العمومي الحزبي بياياعز من الحسن الثاني. بعدما قرر إمداد النقابات والأحزاب المشاركة بـ 20 مليون درهم توزع عليهم سنوياً. بالإضافة إلى الهبات غير المباشرة المالية أو العينية، على غرار الأرض الموضوعة رهن إشارة حزب لبناء مركبه الإعلامي تحولت من وعدها النضالي إلى قدرها المعماري التجاري. إمدادات وهبات تتضاف إليها بعض تحويلات الحسابات، أدت إلى استفسارات قضائية حول بعض موارد بيع المساحات الإشهارية على صفحات الجرائد اليومية الحزبية. فقد فتح التجمعي عبد العالي العلمي "كتابه الأبيض" حول "الملفات الساخنة لمالية الحزب" التي يجب فتحها بصفة نهائية، ليقفل في حينه بدعوى وجود قانون كان يعتبر الأحزاب مجرد جمعيات ظهير 1958، لا قدرة لها على امتلاك عقارات، واضعة صندوق الحزب في جيب زعيمه.

لم تتحول الأحوال إلى أحسن مآل، بعد ما فرض قانون الأحزاب - الصادر يوم 14 فبراير 2006 - تقديم حساب ختامي سنوي، مطالب بتسطير مصاريف التنظيمات والحملات الانتخابية. لأن مقتضياته لم تجد الصدى المفروض عند المدعين خلال الحوارات التلفزيونية الترحيب بربط المسؤولية بالمحاسبة. بعدها فضح المجلس الأعلى للحسابات خروقات زعماء وقادة 29 حزباً، صرفوا أموال الدعم خارج ما يرخصه القانون.

أما اليوم فتدفع خزينة الدولة من أموال دافعي الضرائب 30 ألف درهم سنوياً لكل حزب عن كل برلماني، تتضاف إلى المساعدة الاستثنائية عن كل استحقاق انتخابي، تشريعي، مهني، جماعي، إقليمي أو جهوي أو نقابي. كما يمكن لكل حزب تحصيل إعانات خصوصية في حدود 100 ألف درهم سنوياً من كل مساهم. دون نسيان تلك القنوات التمويلية المشبوهة لتسويق تزكيات أو مطالبة ذوي الدخل المرتفع للمساهمة في التظاهرات الحزبية عبر شيكات لا تدخل دائماً في المحاسبة الداخلية. قد يذهب ريعها إلى ما لم يتخيله دافعها، حيث أشار إدريس البصري في خلوته الباريسية إلى أن "جزءاً لا يستهان به من الإمدادات العمومية تم تحويلها إلى هدايا قدمت لخليلات بعض الزعماء".

سنين بعد رحيل ادريس البصري، أخضعت أجهزة الرقابة المالية ممتلكات عشيقات مسؤولين نافذين للتدقيق عندما ظهر عليهم ثراء فاحش و أصبحن يمتلكن عقارات و ودانع ضخمة في حسابات بنكية. ما يعني أن بعض من يتم حشرهم في "النخبة السياسية" لا يخرج عن "قوم إذا مس النعال و جوهم شكت البغال بأي ذنب تصفع" (أبو الطيب المتنبي). النخبة المخيبة الآمال، ما تخبه ما ولو! إذا انعدمت آثارها الإصلاحية المجتمعية و استمرت خيبة الأحوال!

VII

بتغريب تكافؤ الفرص، لم ينجح النموذج الاقتصادي الحالي إلا في تلاقي مصلحي بين من دخلوا من السياسة لعالم المال والأعمال و من أخذوا الاتجاه العاكس. قبل أن يلتحق بالمجمو عتين من أخذوا الإسلام مطية، بدت وعظية إرشادية لتقدير، قبل جزاء الآخرة، برسخ الدنيا الاستوزارية والتبلاصية العائلية والحزبية. لمنافسة أصحاب "الرصيد التاريخي" حضر اللي جابولينا الإسلام، من بعد اللي جابولينا الاستقلال. مدعون أنهم "هيبة الله لهذا الوطن"، يحتكرون مكارم الأخلاق، كمن قال فيهم بن سينا : "ابتلينا بقوم يظنون أن الله لم يهد سواهم" !

الرَّصِيدُ الْإِسْلَامُوِي

كتب المحلل الصحفي رشيد شريت: "من الأقوال المأثورة في تاريخنا الإسلامي قوله ‐الله ينصر الدولة العادلة و إن كانت كافرة، و لا ينصر الدولة الظالمة و إن كانت مؤمنة‐. كان هذا قبل أن تتخلى كامنة عن إيماننا و تزداد أوضاعنا استفحala. إذ تلاشت خيوط الإيمان في قلوبنا و أصبحنا فقط أمة ظالمة غير عادلة، تتحدث عن الإيمان باثر رجعي. بل أمة تتغافل في اقتراف أصناف الظلم و أشكال الفساد، و على رأسه الفساد السياسي، الذي أضحتى هو الأصل، في حين باتت الاستقامة و الالتزام و نظافة اليد هي الاستثناء".

ربيع 2019 ، خلال إحدى ندوات اللامبة، شبه أفتاتي زميله الأزمي بـ "الصحابي" و رد في حقه "رضي الله عنه". صادف ذلك الأسبوع الذي كان يتحدث فيه حول "صفاء" و "نقاء" المسؤولين البيجيديين استوفاء الثلاث سنوات عن تكوين المجالس الترابية، ليبدأ تساقط رؤساء بيجيديين، بعد صدور قرارات عزلهم إثر تورطهم في اختلالات إدارية و مالية. فبعد رئيس مجلس المحمدية و رئيس مجلس مدينة سidi سليمان و رئيس جماعة بنمنصور و رئيس جماعة عين طاوچطات، جاء توقيف رئيس مجلس عين كرمقواد الرمان. كما أصدرت المحكمة الإدارية حكما قضى بعزل رئيس المجلس

الجماعي للهـرـهـورـةـ، اسـابـيعـ فـلـيـلـهـ عنـ إـنـهـاءـ رـئـاسـهـ سـيـدـيـ يـحـيـيـ الـعـرـبـ...  
بعـدـمـاـ اـفـتـخـرـ //ـبـيـجـيـيـوـنـ بـالـحـصـولـ عـلـىـ رـئـاسـهـ أـكـبـرـ المـدـنـ، لـمـ نـسـمـعـ عـنـ  
"ـمـنـجـزـاتـهـمـ"ـ شـيـنـاـ إـلـاـ مـاـ بـلـغـ عـبـرـ الصـفـحـ الـوطـنـيـةـ حـوـلـ التـحـقـيقـ مـعـ عـمـدةـ  
آـسـفـيـ وـ عـمـدةـ تـطـوـانـ الـمـتـابـعـيـنـ بـجـنـايـتـيـ التـزـوـيرـ وـ تـبـيـدـ أـمـوـالـ عـامـةـ!ـ وـ مـعـ  
ذـلـكـ، خـلـالـ لـقـاءـ وـطـنـيـ بـالـرـبـاطـ، صـرـحـ الـوزـيرـ وـ الـقـيـادـيـ عـزـيزـ رـبـاحـ، بـصـفـتـهـ

رئيساً لمؤسسة منتخبى الجماعات الترابية المنتدبين للبيجيدي : "المهما قيل ، لم يتم اتهام الإخوان رؤساء الجماعات الترابية في نزاهتهم" (!) . انتظر عبد الإله بنكيران أكثر من ثلاثة سنوات بعد مغادرة الرئاسة الحكومية قبل أن يصرح (في كلمة مسجلة أمام أعضاء حزبه بالحي الحسني بالدار البيضاء) بوجود فصائح التحرش الجنسي في العدالة و التنمية، و بانتشار الفساد المالي بين قياديين و صفهم بـ"الميخيات" و "البانضية" !

يحدد الدستور بدقة مصدر الفتوى في "الملك أمير المؤمنين...الضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية، يرأس المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى دراسة القضايا التي تعرض عليه. ويعتبر المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتوى..." رغم ذلك، لم يتراجع إنتاج فتاوى لا تخلو من غرابة. كان تجد في يومية التجديد (الناطقة المرحومة بلسان حركة التوحيد والإصلاح) نصيحة لعبد الله الجاي لسائل استحال حصوله على منصب شغل، أحل له "العالم الجليل" دفع رشوة حين تكون آخر طوله. دون نسيان عشرات الفتاوى الزمزمية المتخصصة في شؤون جنسية، لم تمنع الإمام المثير للجدل عن المرور من منبر مسجد إلى قبة البرلمان.

بعد ظهور فيديو للمتطرف القطري صاحب قناة "المجتمع" يدعو إلى ضرب المرأة "بحب لتحسينها بأنوثتها" و "جعل الرجل يحس برجلته"، ارتقى "الشيخ" محمد الفيزازي أن "الضرب يكون في حالات خاصة ... و ربما يكون في ذلك علاجاً للمرأة و عتقاً للأسرة !..."

و دخلت الفتاوى عالم المال والأعمال، عبر ماركتيني بنكي حول فوائد القروض في معاملات عقارية صار التمليك فيها "إسلامياً". و إذ بضدها تتميز الأشياء، قد يوحى لكريدي "حلل" بأن كل القروض الأخرى حرام في حرام. و هو خلط اصطلاحي أصاب بنك المغرب، في حرصه على تسمية العملية بـ"التمويل التشاركي" مع عرض مقتضياتها التنظيمية على أنظار الفقهاء. ميلاد التأمينات الإسلامية تطلب استصدار رأي اللجنة الشرعية للمالية التشاركية التابعة للمجلس العلمي الأعلى. و حين جاء على الصفحات الإشهارية: "كنووضع فلوسي في بنك كيتماشى مع المباديء ديالي"، حمل خاتم مربع يخبر القارئ بأن الأمر: "المطابق للرأي الصادر عن اللجنة الشرعية للمالية التشاركية". إشهار عكر صفو آثاره خبر لجوء رئيس الحكومة سعد الدين العثماني لطريقة "دارت" لشراء الفيلا، كطبيب رئيسي لمصحة لجا لوصفه العطار !

يرى عز الدين توفيق، عضو المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح، أن "الحجاب حكم شرعي وليس حرية فردية. الشرع تدخل لترشيد الألبسة التي يلبسها الناس رجالاً ونساء، من أراد أن يعرف الشروط التي تجعل لباسه موفقاً للشرع، فيمكنه أن يجدها في كتب العلم". لماذا لا ينعتها منطقياً بكتاب الفقه؟ فالعلم أنواع، ما يتعلق منه بشؤون الدين لا يمكنه التناحر لكل العلوم

الأخرى. باقي التخصصات لا تقل علمية إنسانية، اقتصادية، اجتماعية، قانونية... لها القدرة على تطوير اجتهداد يمكن معاصرة تديننا، دون المس بأصلالة ديننا! لا يمكن تدريس علوم الدين بمعزل عن العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى، و لا يمكن اختزال صفة "العلماء" في الباحثين في العلوم الدينية.

## 29- ما كاينش معامن !

الحديث عن النموذج التنموي يفرض عدم اختزاله في بعده الإنمائي المادي. لو كانت ملابس الدولارات البترولية كافية، لكان ت Libya القاذفية أقوى اقتصاديا من اليابان المفقودة لكل المواد الطاقية...

عندنا، منذ البداية هيمن خيار البعد الإنمائي و الابتعاد عن بناء نموذج تنموي مجتمعي. ظهرت أولى معالم سوء نياته عند حذف تخصص "اقتصاد التنمية" من الإجازة في العلوم الاقتصادية. بدعوى تحويل الكلية إلى بيررو بلاصمة توظيفية في خدمة التوازنات الماكرواقتصادية المالية، تم تعويض كل دراسة بنحوية بدعوى تطلعاتها الماركسية بكل أنواع الاقتصاد التدبيري المقاولاتي، التجاري و البنكي!

داخليا و خارجيا، تمكن الجهاز البنكي و التأميني تحقيق أعلى الأرباح في عز الأزمة الاقتصادية والاجتماعية. بدون حبيب برلماني أو رفيق تنافسي ردعى أو كيان أخلاقي، لم يمانع في الحصول على أرباح خيالية في غسل أموال تهريب سلعي أو ضريبي أو "عهاري" أو حشيشي أو رشائحي. قدمت تونس بنعلي خير مثال على عدم جدوى محاربة الأعراض دون مواجهة الأمراض. حين زار البلاد المدير العام لصندوق النقد الدولي و عبر عن ارتياحه لنجاح الاقتصاد التونسي، سيطرد "الربيع التونسي" الرئيس بنعلي أساساً قليلاً بعد مغادرة مدير البنك الدولي!

فإذا كان النموذج الاقتصادي محتاجا إلى مناخ ملائم للمال و الأعمال، فهو محتاج كذلك إلى عدم تلوث المناخ الاجتماعي المؤدي لا محالة إلى زعزعة الاستقرار السياسي. فقد أشارت التساؤلات الملكية إلى أننا "نعيش اليوم في مفارقات صارخة من الصعب فهمها أو القبول بها. وبقدر ما يحظى به المغرب من مصداقية قاريا ودوليا ومن تقدير شركاؤنا وثقة كبار المستثمرين كبريتاك ورونو و يوجو، بقدر ما تصدمنا الحصيلة الواقع بتواضع الانجازات في بعض المجالات الاجتماعية، حتى أصبح من المخجل أن يقال أنها في المغرب اليوم".

رغم معدل استثمار يقرب ثلث الناتج الداخلي الإجمالي، يضعن استمرار التفاوتات الاجتماعية و التباينات المجالية ضمن الفئة الدنيا للبلدان متوسطة الدخل ! بدون تنمية سنيرجية مندمجة، تبقى آثار نماء مادية ضعيفة القيمة

المجتمعية المضافة. و هو ما أكده التساؤل الملكي في خطاب العرش لسنة 2014: "هل ما نراه من منجزات ومن مظاهر التقدم أثر بالشكل المطلوب وال مباشر على ظروف عيش المغاربة؟ وهل المواطن المغربي، فيما كان مستوى المادي والاجتماعي وأينما كان في القرية والمدينة، يشعر بتحسين ملموس في حياته اليومية بفضل هذه الأوراش والإصلاحات؟ ما حققه من تقدم هل أسمهم فقط في زيادة مستوى الاستهلاك أم أننا وظفنا ذلك في تحقيق الرخاء المشترك لكل المغاربة وإلى أي درجة انعكس هذا التقدم على تحسين مستوى عيش المواطنين؟".

الجواب جاء في الخطاب نفسه: "إذا كان المغرب قد عرف تطويرا ملمسا فإن الواقع يؤكد على أن هذه الثروة لا يستفيد منها جميع المواطنين". التشخيص ذاته جاء في خطاب افتتاح البرلمان (أكتوبر 2017): "إذا كان المغرب قد حقق تقدما ملمسا يشهد به العالم، فإن النموذج التنموي الوطني أصبح اليوم غير قادر على الاستجابة للمطالب الملحة على الحاجيات المتزايدة للمواطنين وغير قادرة على الحد من الفوارق بين الفئات ومن التفاوتات المجالية وعلى تحقيق العدالة الاجتماعية".

### 30- "كيف تموت الديمقراطيات"

خصوصية أي نموذج تنموي مغربي لن تعفيه من تعرضه لاكتساح العولمة و لآثار اتفاقيات التبادل الحر و مخلفات المعاهدات الدولية أو القارية أو الجهوية، و لا من ارتباط تمويلي و رقابي مع المؤسسات المالية الدوائية.

بالآخر لا يمكن "استيراد" نموذج تنموي خارجي، بدعوى اقتباس سهل ناجحة. لأن لكل بلد ثوابته المؤسساتية و ظروفه الزمنية و حدوده المجاورة التي لا رحيل عنها.

لو أن المغرب يعمل دستوريا على تطبيق اقتصاد السوق المعتمد على الملكية الحرة و المنافسة، لا يمكنه اعتماد النهج الاقتصادي الفرنسي أو الألماني أو غيرهما من البلدان التي عرفت تطورات تاريخية تحولت بها و من خلالها المنظومة البنوية الرأسمالية بصفة متميزة لن تلحقها و لن تشبهها أبدا ! لأنها مرت عبر قرون متعددة، من مجتمع الاقتصاد "العائلي الرعوي" إلى "الإقليمي الفلاحي" إلى "الحضري التقليدي"، إلى طفرة صناعية تخللتها ثورات سياسية، اجتماعية، تقنية، علمية، رقمية و فكرية، وضعت نماذج مجتمعية غربية لا علاقة لها بذهنياتنا و مراحل المكونات البنوية المغربية.

مع الانفتاح التدريجي على اقتصاد السوق، تمكنت المنظومة الرأسمالية الغربية من تفادي الثورات الاجتماعية التي تنبأت لها الماركسية، بعد تحويل العامل من عدو محتمل لرأس المال إلى زبون للعروض الاستهلاكية و

الاقترافية. كما تفاصلت المنظومة الرأسمالية الثورات السياسية، حين لجأت إلى النهج التمثيلي الانتخابي و الانفتاح عن التعدد الإعلامي و المجتمع المدني، ليساير واجب فصل السلطة حقوق السلطات المضادة.

في تباعد مستمر بين اللي واكلها فعضامو و اللي واكلها باردة، عند مقارنة تطور أرباح رأس المال بأجور الأطر و العمال، كشف تقرير صادر عن منظمة العمل الدولية تراجع مداخل العمل المغاربة خلال الـ15 سنة الماضية، في الوقت الذي راكم فيه أصحاب الدخل الأعلى زيادة مهمة في نصيبهم في الدخل القومي. لن يتمكن المغرب من تجاوز فوارقه الاجتماعية و المجالية المهددة لتوازناته السلمية إذا لم يتمكن من إعادة توزيع فائض النمو القطاعي و الفنوي نحو فضاء تنموي تكاملي.

نظم موسم أصيلا الثقافي الدولي ندوة حول موضوع "عبء الديمقراطية و سؤال الخلاص". عنوان غريب فعلا ! الديموقراطية ليست عباء ينتظر "الخلاص"! التحدي المطروح علينا هو تفادي تنميـت الـديمـقراطـية لجعلـها فـوطـوكـوبـي خـارـجيـ، و جـعـلـ الـانـتـخـابـاتـ عمـلـياتـ حـاسـبـيةـ خـاطـسـةـ لـنـمـطـ وـ عـتـبةـ، دون اعتـبارـ فـعـالـيـاتـهاـ الـبـشـرـيـةـ وـ مـحـتـوىـاتـهاـ الـبـرـنـامـجـيـةـ. لإيجـادـ نـمـوذـجـ تمـثـيليـ يـعـيدـ النـظـرـ فيـ أحـزـابـ مـنـتهـيـةـ الـصـلـاحـيـةـ، وـ يـعـيدـ النـقـةـ فيـ الوـسـاطـةـ الـمـفـوـدةـ بـيـنـ الـمـؤـسـسـاتـ وـ الـمـواـطـنـةـ، أـمـامـ تـعـدـ وـ تـنـوـعـ الـقـنـواتـ الـتـوـاـصـلـيـةـ الـمـباـشـرـةـ.

حول ظروف الانتقال الديمقراطي الغربي، تحدث ستيفن ليفينסקי، في كتابه "كيف تموت الديمقراطيات" How Démocaties die . أظهر كيف تم تاريخياً إضعاف آثار "الدولة العميقة" (الإستيليشمنت) خلال سنوات السبعينيات، في ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة و الولايات المتحدة الأمريكية : "حزبان يهيمنان على الترشيحات وثلاث قنوات تلفزيونية يشاهدها الجميع. إذا لم أظهر فيها لن أصل إلى الناخبين و نقابات و رجال أعمال، علامة على محدودية مصدر التمويل. وإذا لم يكن لدى أصدقاء في النقابة أو في صفوف رجال الأعمال، لن أحصل على المال لتمويل حملتي الانتخابية، وإذا لم أكن من بارونات الحزب، بما أنه لم تكن هناك انتخابات أولية، لن أكون مرشحاً. هذا تغيير اليوم مثل السياسي الأمريكي Bernie Sanders يمكنه أن يحصل على أموال كثيرة لحملته. كما يمكن لأي مرشح الترويج لنفسه عبر الواتساب و الأنترنت !".

### 31- "الله يسخر"

في كتابه "الـمـالـ وـ الـسـيـاسـةـ" ، قـسـمـ الـدـكـتـورـ حـسـنـ لـقـرنـفلـ "ـأـهـلـ فـاسـ"ـ إلىـ فـرـيقـيـنـ عـنـ الـمـرـحـلـةـ الـمـمـتـدـةـ ماـ بـيـنـ سـنـتـيـ 1956ـ وـ 1973ـ:ـ الـفـرـيقـ الـأـوـلـ الـذـيـ يـرـاهـ بـعـضـ الـمـحـلـلـيـنـ "ـالـاشـتـراكـيـيـنـ"ـ بـعـيـداـ عـنـ "ـبـورـجـواـزـيـةـ مـغـرـبـيـةـ"ـ ،

ليست سوى أشخاص وعائلات تمكنا من مراكمه بعض الثروات خلال الحماية، طبقة لم تكن تملك أي منظور خاص يجعلها واعية بدورها كطبقة منسجمة. بينما رأى "الشيوعيون" أمثال المرحوم عزيز بلال، خلال نفس الحقبة، تواجد بورجوازية حقيقة مكونة من عدد لا يستهان به من رجال الأعمال المغاربة الذين راكموا أموالا طائلة في نشاطهم التجاري عقب رحيل المستعمر الفرنسي، باستنفاذ الطبقة العاملة واستغلالها.

مهما كان تصنيفهم الأكاديمي، فكل المستفيدين المشاركون في المجال الاستثماري إبان الوجود الاستعماري لم يؤمنوا لنموذج تنموي رأسمالي حقيقي، لا بمفهومه الغربي ولا بإخضاعه لتحولات بنوية داخلية، مؤثرة ومتأثرة، كما كان الحال بالنسبة للبورجوازية الأوروبية. بل اكتفوا بخلط لقيط يضم طبقة ريعية سياسوية رابحة في إطار نموذج إإنمائي، لا هو تنموي ولا هو وطني ! .

منذ بداية الاستعمار، تسابق الأثرياء المغاربة إلى الحصول على جنسيات أجنبية لكي يتملصوا من واجباتهم الضريبية مع تسهيل معاملاتهم التجارية الخارجية. حسب المؤرخ السبتي، عندما دخل الجنرال ليوطى إلى مدينة فاس، اجتمع بأكبر التجار وطلب رأيهم في أحوال المملكة الشريفة وتصورهم للمستقبل ومهمة فرنسا في المغرب تحت ذريعة "الحماية". استمع التجار إلى المارشال ثم سأله "هل ستتمس فرنسا تجارتنا؟". كان جواب ليوطى بالطبع لا"، فكان موقف التجار الفاسيين من حضروا الاجتماع: "الله يسخر" !

لا يمكن إذن اختزال النموذج التنموي في بعده الاقتصادي، بل عليه الأخذ بعين الاعتبار كل البنيات المجتمعية، بمؤسساتها السياسية و مكوناتها الثقافية، الفنية، الرياضية و القيم الأخلاقية. بإشراك كل الفاعلين، إداريين، منتخبين، جامعيين، جماعويين، إعلاميين، مقاولين، متخصصين... علماء الاقتصاد الأولون أنشئوا "الاقتصاد السياسي" من أجل بلورته من خلال "السياسة الاقتصادية"، لإبراز العلاقة الجدلية بين السياسي والاقتصادي.

علاقة بالقيم الأخلاقية، إرساء التميز الروحي المتشبع بفضائل الوسطية والاعتدال و نبذ التطرف و الظلامية يحتاج إلى نموذج روحي، يكرسه اجتهد تفسيري ديني تقدمي. من أجل تفكير بدل تكفير و اجتهداد بدل الجهاد، مع عدم الخلط بين مظاهر الدين و التظاهر بالتدين.

حين اجتمع المجلس العلمي الأعلى و خلص إلى "الحقيقة الصحوة الأمة" و إلى جعل المساجد و أماكن العبادة هي المعاقل المعنوية الروحية لإإنارة فضاء الأمة لتفادي كل ما يطرأ عليها من اختلالات و فكر غريب و حراسة الوطن حراسة مشددة من قبل علماء الأمة"، كتب المحلل الصحفي صلاح بوسريف "أن المجتمعين بمن فيهم وزير الأوقاف لم يدركوا بعد أن هناك خلاً في مقاربتهم لما يجري، و أنهم يعملون انطلاقاً من موقعهم المغلق الذي يشبه

مغاربة أفلاطون التي لا تدخلها شمس بل تمر محاذية لها، مما جعل من فيها ينظرون إلى الظلمة باعتبارها شمساً أو نوراً... إن العمل على الأرض يقتضي أن يكون عملاً مجتمعاً وليس عمل جهة أو طرف في منأى عن الطرف الآخر أو دون استشارته والاستماع إليه أو التنسيق معه".

### 32- "الوجه الله"؟...

بإمكان رجال الشعائر الدينية المساهمة في تطوير أمور العشائر الدينية. فقد واجه القس سيي بيس l'abbé Syeyes الاستغلال الاجتماعي الفاحش خلال القرون الوسطى الفرنسية. فضح تواطؤ رجال الكنائس الغنية مع نبلاء الإقطاع ضد ما سماه "الدولة الثالثية" (le tiers-Etat) المهمشة، المكونة من الطبقة الفلاحية و صغار الصناعة التقليدية. ليبلغ نضاله أواسط القرن العشرين و يتمكن من إحياء إنشاء مدرسة فكرية حول "العالم الثالثي" -Tiers-monde.

كما يذكر التاريخ أن رجل الدين Clément لم يمنعه تعبيده من بحث علمي و عملي في منطقة وهران الجزائرية، ابتكر خلاله فاكهة الكليمتين التي تحمل إسمه إلى اليوم. الأراضي الفلاحية الشاسعة التي يزخر بها اليم محيط نهر لوار La loire بفرنسا تمت تهيئتها بفضل بعض رهبان القرون الوسطى الذين حولوا المستنقعات المحيطة إلى تربة خصبة. بعدهم دعا الأب بيير l'abbé Pierre الفرسين إلى التضامن مع من يعيشون جوعاً و برداً بدون مأوى في بلد شعاره "الحرية، المساواة، الأخوة". ليتمكن نداءه إنشاء إحدى كبريات الجمعيات الخيرية، تساعد اليوم آلاف المعوزين بدون اعتبارات شعبوية أو حسابات انتخابوية.

تعرف وزارة الشؤون الإسلامية المغربية "علماء" مجالسنا المحلية لا يجدون قدرات تكريمية مادية كفيلة بحسن تبليغ المفهوم التقدمي الإسلامي. إذ لم يلتج إلا 18% من الأئمة السلك الدراسي والباقي لهم "شهادة" حفظ القرآن! أخبرتنا دراسة ميدانية حول "الإسلام اليومي" (L'islam au quotidien) قدّمها محمد العيادي، حسن رشيد و محمد الطوزي، أن 66% من المستجيبين يقررون بأن "الإسلام يأتي بمجموعة من الحلول للأمور الدينية"، رغم أن 60% يعترفون بعدم قراءتهم للقرآن. و مع أن الكثير يمنعون عن السياسيين خلط أمورهم بالدين، 88% مفتتون أن "الإسلام يقدم لهم الأجوبة لكل المشاكل السياسية"!

من جهتها، نشرت صحيفة Times Mirror نتائج بحث ميداني حول علاقة المغاربة بدينهم. أظهرت أن 91% يؤمّنون بالقدر المكتوب. ما يعني أن محاربة التكييف accommodation و الإنكارية تحت أغطية دينية تحتاج إلى تطورات بنوية ذهنية رافضة لأمر واقع لا يفرق بين واجبات العبادة في

انتظار يوم الحساب و واجبات محاسبة المسؤولية بدون انتظار. لا زال بيننا كثيرون يفسرون كل رسوب إنساني و كل سقوط اجتماعي كعقاب رباني، عندما يظل كل نجاح مادي مشكوك في وسائل الحصول عليه، حتى بعد عناء مبادرة فردية شريفة من أجل بلوغه. وكان كل تفقر يقرب حتماً من الجنة و كل غنى يظل فاحشاً حتى تثبت براءته! بعيداً عن مساءلة مواطنية شجاعة و صريحة، كثيرون من الفاعلين السياسيين لا يلاقون سوى عقلية اتكالية خمولية، تبريرية مدعية "الله بغا يريح العام طويل" أو "الله زربوا ماتوا" .... حتى بعد نهاية مقابلة لم ترق نتيجتها معلق قناة فضائية ختم تحليله بـ "قدر الله ما شاء فعل" !

يصف الشيخ التكفيري أبو النعيم الفرنسي بلغة الكفار الذين صنعوا له التلفزة و مكنوه من البور طابل و الأنترنيت، لولاهم لظل نكرة لا يراه و لا يسمعه إلا أقرب مقربيه في جهنم الظلامية. "فإذا نزل مؤمن و كافر إلى البحر، لا ينجو إلا من تعلم السباحة، فالله لا يحابي الجهلاء، المسلم الجاهل سيغرق و الكافر المتعلم سينجو" (الدكتور مصطفى محمود). و إذا غاب الاجتهاد التقديمي لسد الطريق أمام جهاد ظالمي، تحضر "الفتن التي تخفي وراء الدين"، يراها ابن خلدون "تجارة رابحة جداً في عصور التراجع الفكري للمجتمعات". تجارة خاسرة لو قوبلت بإسلام يمر من اعتقادي، بين الفولكلوري التقليدي و الوعظي الإرشادي، إلى إسلام تقديمي مساهم في بناء مجتمع التسامح مع الغير و الانفتاح على الغد.

ومازال تسخير الدين لأغراض انتخابية قائماً بيننا، كاللجوء إلى القسم بوضع اليد على المصحف قبل دخول قاعة انتخاب رئيس المجلس. أو اللجوء خلال الحملات الانتخابية القروية إلى زرير الفقيهة و توزيع الفتوح قبل فتح مكاتب التصويت. في نفس السياق، رخصت فتوى أحد قيادي حركة التوحيد والإصلاح لممثلي مرشحي العدالة والتنمية عدم القيام بصلة الجمعة والمكوث في مكاتب التصويت. وخلال مهرجان خطابي بدائرة مولاي يعقوب، اعتبر عبد الإله بن كيران أن حضوره (و هو رئيس للحكومة) لمساندة مرشح حزبه مجرد خطوة "لوجه الله". كما سبق له الاعتراف، في حديث أمام شبيبة حزبه، أنه كان مستعداً للتخلّي عن رئاسة الحزب، لو لا أن "الله أراد غير ذلك"، و كأنه جل جلاله صار طرفاً في حسم جزئيات حزبوية سياسوية !

أطاحت عدة تسجيلات هاتافية بمرشحين لدخول مجلس المستشارين، تم الاستماع من خلالها لسماسرة الانتخابات وهم يفاؤلون ناخبيين "كباراً" ، ينهون مكالماتهم بعبارات "الله يعاون، وتبارك الله عليك". كما سمعنا مرشحاً بلون مرجعية شيوعية ينعت يوم الاقتراع "بيوم عزيز عند الله" و ينادي بمحاربة مرشحي رؤوس اللوائح "من باب الجهاد الأكبر". كما كتبت العلم على طول أعمدتها أن "من رفض التصويت كمن كتم الشهادة...". دون نسيان ما كشفه عبد الرحمن اليوسفي حول القسم على القرآن الشريف أمام المرحوم

الحسن الثاني قبل انطلاق التناوب التوافقي.

الظلامية الفكرية ليست وليدة اليوم. حتى البلدان الديمقراطية الغربية الحالية عانت طويلاً من غوغائية حشر بابا روما في شؤون الملوكات الأوروبية. في ما يخصنا، حتى في أوج الفتوحات الإسلامية، ظل حرق الكتب تقليداً كارثياً عربياً، بلغ مكتبات بأكملها (الإسكندرية في الأندلس، المكتبة الفاطمية، مكتبة المنصور في قرطبة)، وقضى على كتب ابن رشد، أبو حيان التوحيدي، الرازي، المعري... لكن الأمور ما انتهت عند هذا الحد. بشهادة من أهلهم السابقين، يقول عبد الوهاب رفيقي (أبو حفص): "كانت المراجعة عملية نقد ذاتي للأفكار التي نشأت فيها وتربيت عليها والتي كان يؤطرها في ذلك الوقت الفكر السلفي الوهابي. وقد كنت ضحية أندالك، مع جيل معن، لسياسات عمومية اختارت تشجيع المد السلفي والوهابي من أجل محاربة تيارات وتوجهات أخرى". مضيفاً "و جوب الاعتراف أن الكثير مما يوجد في تراثنا الفقهي يشجع و ينتج الإرهاب".

حين يخبرنا الكثير من أعيان الاستثمار الانتخابي أن ما يصرفونه من أجل "انتخابهم" يفوق ما سيتقاضونه خلال كل المدة النيابية. بل منهم من يدعى أن اهتمامهم بشؤون نيابة الأمة و الرئاسة الجماعية يضر بمصالحهم المهنية. لو كان الأمر كذلك لا يستحقون، بعد مغادرة وسخ الدنيا نحو دار البقاء، دفعهم بأضرحة ساداتية باعتبارهم أولياء المغرب الحديث؟. حسب وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، يوجد في المغرب 51000 مسجد، 1496 زاوية و 5038 ضريح. ما المانع من فتح أضرحة إضافية لنواب أمة يربحون الآخرة و يخسرن من أجلنا و سخ الدنيا؟

## VIII ز عامة نقابية لانتربالية

هناك هنا يشتغل في "معامل" تقل مساحتها عن فضاء فيلات باطروناتهم. ما يتبع التساؤل حول مصير أرباح وحدات إنتاجية تعتمد في تناصفيتها المزعومة على أيادي عاملة تعذر بجهلها قوانين تحجبها أمية نصف العمال وثلثي الفلاحين. هناك نوعان من رعاة الشعوب: من يهتم بأكل الكتف، ومن يهتم بقص الصوف. لا أحد يهتم بالخرفان، إلا بتشغيلهم بأبخس الأجور أو لشراء أرخص الأصوات. بينما يتم تسخير أبقار القطاع العام لمؤسسات عمومية يتم تقديمها كأبناك للتنمية أو كمكاتب خدماتية أو إنتاجية أو كصناديق ضمانات اجتماعية...، أرضعت أرصدة مسيريها قبل تجفيفها ثم عرضها على الخوصصة !

### 33- الحيط القصير

تعرف مدونة الشغل السميكي SMIG الصناعي والسماك SMAG الفلاحي بـ"القيمة المالية المستحقة للأجور التي تضمن لمن يتلقاها قدرة شرائية مناسبة لمسايرة تطوّر الأسعار ومساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتطوير المقاولة". كل هاذ الخير بشهريّة 3000 درهم في القطاع الصناعي و بمعدل سبعين درهماً للعمل اليومي في الأنشطة الفلاحية ذات المليون عامل وعاملة، لا يشمل الضمان الاجتماعي سوى 6% من المصحّ بهم.

انتظر المغرب أكثر من نصف قرن قبل تقريب أجور المقدمين والشيوخ من الحد الأدنى، مع التساؤل حول مصدر المداخيل التكميلية، أحياناً كمالية. في زمن الحديث عن "مبثاق العلماء" الموضوع من طرف الوزارة المعنية، نفس المعاملة تطال أئمة المساجد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية (1100 درهم، تضاف إليها 400 درهم للمؤذن و600 درهم للخطيب).

رغم ذلك، لا زال صندوق النقد الدولي يطالب كل الحكومات المغاربية بتقليل كتلة الأجور العمومية. كحل أساسى، في نظر "خبرائه"، لضمان توازن الميزانية العامة بين "نفقات استثمارية" و "نفقات تسييرية" منفوحة في نظرهم بأجور من يعتبرونهم ذوي أجور غير منتجة، حين يضعون ما يصرف على التعليم ضمن "النفقات الاجتماعية". أو عندما يدعى والتي بنك المغرب أن "الاتفاق الاجتماعي سيزيد من عجز الميزانية" معتماً على

مقاربة مالية، تتعدى التكير لما للزيادة في الأجور من قدرات شرائية تتفع النسيج الإنتاجي وترفع من مردوده الضريبي.

ما الجدوى من تقليص الأجور المؤدي إلى تقليص تشغيل أطباء ومرضى المستشفيات و المراكز الصحية، والمغرب مازال يعرف 4 ولادات من بين 10 خارج أي تأطير طبى؟ و ما زال يتم إحصاء أكثر من 30 ألف حالة إصابة بداء السل خلال سنة واحدة؟. و ما زالت نسبة وفيات الأطفال عند الولادة في مستوى الصومال؟ لا يتتوفر المغرب إلا على ست أطباء لكل 10 ألف شخص، مقابل الضعف في تونس التي أقل من قدرات إنمائية؟ و كيف يكون الاهتمام بالشباب و الرياضة و عدد أطربه تقلص من 12 ألفا بداية الثمانينات إلى ثلاثة آلاف إطار في سنة 2019؟ بعدهما توصل المشاركون في المناظرة الوطنية حول الرياضة بر رسالة ملكية تحدثت عن سوء التدبير و عن التبذير و عن الذين جعلوا من الرياضة مطيّة أغراضهم الشخصية، ليس غريبا أن نضطر إلى اللجوء للاعبين جيل مغاربة المهاجر لتكوين فريق "وطني" متعدد الجنسيات استفاد من تكوين خارجي!

يتهمون كتلة أجور "تلتهم" سنويا 11 في المائة من الناتج الداخلي و ثلث نفقات الميزانية العامة. لكنهم يتذمرون أن نصف الموظفين "المتهمين" لا تتجاوز أجورهم 6000 درهم! يدفع المهنيون غير الأجراء فقط 5% من مجموع الضريبة على الدخل، في حين يؤدي الأجراء و الموظفون 95% منها. إعادة النظر في المقاربة التنموية تمر عبر تغيير منظومة ضريبية غير عادلة و غير منصفة تستهدف متوسطي و صغار المؤدين، بل تتبعهم في عقر معاشهم. الذين ينتظرون على "إصلاحهم" الضريبي بنمذجة محاسباتي إنمائي ضيق الأفق التنموية، لا يرون الفوائد المجتمعية وراء مراجعة نسبة الضريبة على الدخل المطبق على المحالين على المعاش. فتلك الفئة فيها من يعمرون أطول، يصررون على أحفاد بل أبناء قلت قدرات أجورهم المعيشية أو انعدمت حظوظهم في التشغيل، و على بنات طالن نعوستهن أو أصحابهن تکاثر أبغض الحال، ليبقين أو يعدن إلى بيت الوالدين.

الإشكالية ليست في العدد الكمي للموظفين بل في نوعيتهم و نزاهتهم و كفاءتهم. يظل معدل 20 موظفا لكل ألف مغربي بعيدا عن المستوى التركي (34) أو التونسي (44) أو المصري (50) أو الفرنسي (80)... نسبة منوية لكتلة تجمع شيء على شيء بين أعلى الأجور و أبخسها لا تعنى أي شيء!

بالمقابل، 85 ألف مقاولة تقدم حسابا خاتما سنويا لا يدفع أدنى سنتيم لخزانة الدولة. بدل إدعاء ضرورة تقليص نسبة كتلة الأجور بالنسبة لحجم الناتج الوطني، أليس الأجر التفكير في حكامة عمومية و مواطنة مقاولاتية، يمكن أن الزيادة في حجم الناتج لتقليل الكتلة المتهمة؟ و كم سيخففون من حجم هذه الكتلة لو انقطع أداء أجور آلاف الأشباح ! من سيتيح ذلك؟ إذا عمت الظاهرة الشبحية حتى مفتشين عاملين لوزارات تفتش على مفتشيها المتغيبيين !

لماذا لا يطلب نفس تزوير السلطة من باقي المصاري夫 التسييرية التي تعاني يومياً من سوء التدبير و النهب و التبذير؟ توصل الديوان الملكي بتقرير أسود حول قطاع الصحة أظهر اختلالات في صرف 800 مليار منحتها دول الخليج و ضياع 20 في المائة من الأدوية. لأن الكثير من الأمراء بالصرف يخلطون المسيرة العمومية بالتسميسرة الخصوصية.

إذا كان "خبراء" تصحيح التوازنات الماكرو اقتصادية منزعجين من ارتفاع نسبة كتلة أجور الموظفين في الناتج الداخلي الوطني، لماذا لا يفكرون في تقدم الثاني، بدل الوقوف عند ادعاء سوء تطور الأول؟ حتى لا تبقى السياسة المالية العمومية شبيهة بذلك المحاسب الذي يعرف كل شيء ولا يعرف قيمة أي شيء!

### 34- الرصيد العمالي

لماذا تصر الدولة على عدم زيادة كريمة في الأجور، رغم أن رفع المستوى المعيشي يمكن فنات شعبية واسعة من لوج أنشطة خدمانية وسكنية وترفيهية تزداد معها الفرص التشغيلية. إلا إذا كان اللوبي الاستثماري، مع سكوت الرضي النقابي، يفرض الضغط على مستوى الأجور، كمبرر أساسي لتنافسية المنتوجات و صانعيها في احترام كامل لتفسيم دولي للعمل و العمال. رغم ذلك، لم يعد في صالح الفنادق العمالية اللجوء إلى تنظيمات نقابية من أجل التعبير عن غضبها والمطالبة بتغيير أحوالها. بل صارت تواجه بالعزوف متأهلاً للتاريخ النقابي الذي فاق 30 مركبة متنافرة. بل لم تعد النقابات المدعية "أكثر تمثيلية" قادرة على "الإضراب العام" الذي كانت تشن به كل حركة إنتاجية في ربوع المملكة. أحداث يونيو 1981 و جنبر 1990 بدأت إضرابية وانتهت دائمة، أدت إلى ضياع العديد من الأرواح و إلى سجن قادة من نقابتي الاتحاد الاشتراكي وحزب الاستقلال. قبل أن تتحول تدريجياً إضرابات وطنية إلى مقاومة سياسوية عبّدت الطريق نحو التوافق و التراضي مع الطرف "البصري".

ظلت الحركة النقابية العمالية خلال سنين طويلة امتداداً لحركة وطنية كان هاجسها توظيف كل الغضبات الشعبية لمواجهة الحقبة الاستعمارية. قبل أن يتتحول التداخل "النضالي" الحزبي- النقابي إلى "رصيد تاريخي" يطالب، بعد المرحلة الاستعمارية، بالإشراف في توزيع الأدوار الحكومية. كان النضال من أجل الاستقلال و رجوع السلطان صار مجرد كريمة ديار الكيران.

بشهادة من أهل بداية المنظمة العمالية ، كتب حسن البزوبي في مؤلفه "الاتحاد المغربي للشغل: الحلم والواقع" أن "دعاة التطرف الراديكالي حطموا كل ما كان بإمكاننا بناؤه، لا نقدر اليوم على إحياء كل ما هدموه، كل ما أخوه من خسائر مادية ومعنوية في البنيات و العقليات، كما لا يمكننا تقييم كل

ما فعله هؤلاء الذئاب بآلاف شباب الستينيات والسبعينيات نحو الراندكالية العميماء، قبل ضياعهم و التخلّي عنهم في السجن أو الاغتيال، مقابل ربح ريعي ...". رغم مرور السنوات، يوم فاتح ماي 2019، صعد المنصة أحد نقابي إقليم كلميم ليقول إن "المغرب ما فيه نقابات، فيه مرتزقة، كل نقابة قبضتها عصابة!"

قبلت عدة مركزيات تخلّط لعراجم الانتخابية الحزبية - النقابوية. فقد قدم الاتحاد المغربي للشغل مرشحين باسم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم باسم الاتحاد الدستوري، ثم لدعم حزب الأصالة والمعاصرة. كما مكن الجمع بين حزب الاستقلال و نقابته الاتحاد العام للشغالين حميد شباط من قبعتي الرئاسة النقابية والحزبية، قبل تنازله عن الأولى و إنزاله من الثانية.

كيف يمكن الحديث عن المركزيات النقابية "الأكثر تمثيلية"؟! بعدما كشفت مذكرة المندوبية السامية للتخطيط حول المميزات الأساسية للسكان خلال سنة 2018، أن عدد المنخرطين في النقابات لا يتعدى 4,3 في المائة من النشطين المشغليين. و كيف لا يتراجع عددهم عندما يخاطبهم يوم فاتح مايو من يبكي على أوضاع الكادحين ثم يركب الكاط كاط للرجوع إلى فيلا نصف مليار؟. خلال الانتخابات المهنية الثانية، إضافة إلى عزوف تاريخي للهيئة الناخبة، تقدم 65% من المرشحين بدون أي انتماء نقابي. بعدما قدمت 35 مركبة نقابية مرشحها، لم تبلغ سوى أربع مركزيات الحد الأدنى من الناخبين (الاتحاد المغربي للشغل، الكونفدرالية الديمقراطية للشغل، الاتحاد العام للشغالين والاتحاد الوطني للشغل).

و من العمال إلى أصحاب رأس المال، يضمن الدستور للكونفدرالية العامة للمقاولات المغربية تمثيلية في غرفة المستشارين، رغم أنها لا تمثل سوى 1% من النسيج المقاولاتي الوطني، المكون من آلاف الشركات الصغرى، الصناعية، الفلاحية، التجارية والخدماتية، بالإضافة القطاع غير المهيكل، نقابيا غير ممثل، لكنه يعتبر أول مشغل بالمغرب!.

### 35-زعيم قبل القانون

ظل المحجوب بن الصديق حتى موته على رأس الاتحاد المغربي للشغل منذ نشأته في مارس 1955. و تثبت نوبيير الأموي بكرسي الزعامة إلى أن فاق عمره الثمانين عاما. واستمر عبد الرزاق أفيلا خال 8 ولايات متالية على رأس الاتحاد العام للشغالين منذ سنة 1962. يوجد بجانب الزعماء قيادات لانتربتية يفترض فيها تمثيلية "الطبقة الشغيلة"، تصير بدورها وارثة. بعدما ظل الأموي 40 عاما على رأس نقابته، خلفه لانتربتى تمانيني! أحمد خليلي الإسماعيلي، نائب الأمين العام للاتحاد المغربي للشغل، يترأس جمعية المشاريع الاجتماعية لعمال وكالات و شركات توزيع الماء و الكهرباء و

**التطهير السائل بالمغرب.** ظل تلاثين سنة على رأس الجمعية، عشرون سنة منها منقادا !

بشهادة من أهلها، في بلاغ صحفي عشية انعقاد مؤتمر 2019 للاتحاد المغربي للشغل، اتهم الأمين العام بالنيابة بعض الجهات النقابية بـ«لعب أدوار وصفها بـ"القذرة"»، معتبرا أن المجلس الوطني صار تجماً «فلا كلوريا يصدر بيانات تافهة و مكررة». و اعترف فاروق شهير أن مؤتمرات الاتحادات المحلية و الجهوية «المتحكم فيها لفرز الأتباع و الانهازيين»، من أجل فرض ولادة ثلاثة لموخاريق خارق للضوابط القانونية الأساسية للمركزية النقابية. ضوابط سرعان ما تم تجاوزها بفضل موضة رائجة بين أحزاب و نقابات «الدفاع على دولة الحق و القانون». إذ كلما منع القانون عهدة إضافية، يغير المؤتمرون القانون قبل المرور لتصويت لا يتغير معه الزعيم ! كأنهم ذلك الدغماني المتزمع الذي، كلما نبهه معارضوه إلى تعارض نظريته مع الواقع، يجيبهم بأن الواقع هو الخاطئ !

خلال سنين طويلة، و ضاعت النقابات محالين على المعاش على رأس لوائح الدخول الآمن لغرفة المستشارين، ليستمروا فيها غائبين أو حاضرين مزيزين، زامتين الترقية الداخلية، متشبعين بجبر و قراطية Gérontocratie تكره التشبيب و التداولية، بفضل مؤتمرات مخدومة، محسومة نتائجها قبل دخول المؤتمرين الهاتفين المصفقين. حتى تحول في بعض المدن ممثلو نقابات إلى باطرونس محسوبين على فئة الأعيان المقربين من السلطات. منهم من امتلكوا شركات النظافة أو الحراسة، أو صاروا منعشين عقاريين، أو المتاجرة في طلبات الانتقال والترقية والسمسرة في الصفقات المشبوهة و الملفات المطلبية، مع تخصيص الوقت الكافي للدسائس الداخلية الضامنة لاستمرار صبيب المنابع الريعية.

اعترف حسن الكافوني، النقابي السابق لقطاع الفوسفاط، أن أيام كريم لعماني كانت تعرف سخاء فوسفاطيا مكّن ممثلين نقابيين من سيارات فارهة وأسفار إلى الخارج بفضل «أعمال اجتماعية» قادرة على سد الأفواه و تجفيف الأقلام! أنظروا ما يقع في جمعية الأعمال الاجتماعية الليبية و تأكروا أن تلقيمة دار لقمان لا زالت على حلاوة ريعها !

قريبا منا، عرفت التعاaside العامة لموظفي الإدارات العمومية صفقات مشبوهة و إخفاء وثائق محاسبانية و تبديد الملايين على محامين بدون عقود. هذا الوضع لا يختلف عن الوضع الذي عاشته في عهد رئيسها السابق محمد الفراع الذي تابعه القضاء بتبديد حوالي 117 مليار سنتيم و حكمت عليه المحكمة بخمس سنوات سجنا، قبل أن يصدر قرار عن محكمة النقض بإعادة محكمته بعدما برأته محكمة جرائم الأموال. كما راسل معارضون من الاتحاد المغربي للشغل مجلس الحسابات حول خروقات تخص تراكمات امتيازات استثمارية و مناصب تشغيلية أبطالها ذوي قربى عائلية. تحت حماية بعض

اللوبيات الحزبية والنقابية، تحولت بعض جمعيات الأعمال الاجتماعية والتعاضديات إلى ضيغات خاصة تصرف فيها الملايير بدون مراقبة، بميزانيات تفوق أحياناً ميزانية بعض الوزارات.

وضع خبراء المنتدى الاقتصادي الدولي مستوى التنافسية الدولية المغربية في الصنف 86، بنسبة 59% من التكنولوجيا الضعيفة ضمن البنية الإنتاجية للصادرات الصناعية الخفيفة. ليبقى الميزان التجاري في عجز مستمر، رغم آلاف السيارات المصدرة، نظراً لقلة الشركات التنافسية المغربية المهيكلة بشرياً وتكنولوجياً وتدبيرياً.

من غريب المفارقات أن خمس مداخيل خزينة الدولة يأتي من استخلاصات الضريبة على القيمة المضافة TVA و الضريبة الداخلية الاستهلاكية TIC المطبقين على واردات المغرب، أغلبها مواد استهلاكية تقدم فرص تشغيلنا لغيرنا. على هذا النحو أي مقاول سيقاوم تصاعد التنافسية الدولية باستثمار في التصدير المعولم ليحقق في آخر المطاف 10% من الربح الخالص، إذا كان الإنعاش العقاري تفوق أرباحه 30%؟

مئات المقاولات تتفادى عناء التأثير التكنولوجي وتحسين التدبير البشري والمالي من أجل تنافسية معولمة معتمدة على أجور متدنية معززة باسطاجات مجانية. كشفت دراسة أجرتها بوابة التشغيل RECRUTE أن نصف خريجي الجامعات و مدارس التجارة يشتغلون بأجور تناهز 4000 درهم. القطاع الصناعي لا يشغل سوى 6 في المائة من الساكنة النشيطة، مع انتقاء خيرة الأطر المكون جلها بأموال دافعي الضرائب لإهدانها إلى الخارج. إذ أعلنت شركة و سلطة تنظم المباريات في المغرب أن هجرة الأدمغة مكنت أزيد من 1000 مهندساً من الرحيل إلى فرنسا خلال ستة أشهر.

و هكذا يتميز النسيج الإنتاجي المغربي بتصاعد أعداد وأنواع المهن غير المنظمة مع شغيلة مهيكلة لكنها ضعيفة المشاركة النقابية. في انتظار قانون النقابات، المؤسسة الوحيدة في المغرب التي لا يحكمها قانون، باستثناء قانون 1957 الذي يتحدث عن التأسيس فقط. قانون غير مدرج في المخطط التشريعي الحكومي، على خلاف القانون التنظيمي للإضراب الذي صادقت عليه الحكومة وعرضته على مجلس النواب. هل هو تزيير الإضراب العمالي مقابل استمرار طليق اللعب النقابي؟

## IX ريروات تحت التغطية

شكل "المرور من الامتيازات إلى المنافسة" عنواناً معبراً لأحد تقارير البنك الدولي حول سوء أحوال "التنمية في الشرق الأوسط وإفريقيا الشمالية". تشخيص تفسره، في ما يخص المغرب، "الهطة الريعية لسنوات ما بعد الحركة الوطنية، الممتدة من اللقاء بين من جاؤوا من السياسة إلى عالم المال والأعمال مع من أخذوا الاتجاه المعاكس. الكل بمبادرة مفهوم قديم لسلطات إدارية - ليست فقط "داخلية" - أفادت و استفادت من هؤلاء و أولئك، بعدهما دب السلام مع السابقين و أمكن التدخل في كاستين اللاحقين.

### 36- بين الأقوال والأفعال

تقلصت شيئاً فشيئاً الصفات "النضالية" في التركيبة البشرية الحزبية و النقابية. ليهيمن على الصفات البرلمانية، الجماعية و الجهوية المدعية "التمثيلية" أصحاب كبريات الاستغلاليات الفلاحية و المقاولون والمعنعشون المنتعشون العقاريون و كبار تجار الرمال. حتى صارت المكاتب السياسية الحزبية و المجالس الوطنية النقابية شبيهة بمجالس إدارية، يتزعمها رؤساء - مدحرون عامون. و صارت لبارونات المركزيات العمالية انشغالات باطرونية لترويج محصول "الدافع على الطبقة الشغيلة"!

خلافاً للدستور السابقة، عمل دستور 2011، من خلال فصلين مختلفين، على توضيح الفرق بين مهام أحزاب سياسية "تعمل على التأطير والتكونين السياسي للمواطنات والمواطنين" و مهام "المشاركة الغرف المهنية في الدفاع عن الحقوق والمصالح الاجتماعية والاقتصادية للفئات التي تمثلها". غرف ظلت منحصرة في التقرب من لوبيات السلطات الإدارية و الاقتصادية و المالية و من فتح الطرق لباروناتها نحو الغرف البرلمانية. لتظل العديد من الغرف مفتوحة على سوء الحكومة، عن حالات الفساد المالي أو التحويلي النفعي لطلبات عروض أو الجري وراء استثناءات إدارية أو ضريبية، أو وراء فيزات أوربية و "مجاملة" سعودية.

التمويل العمومي لحملاتها الانتخابية لم يستفد منه النسيج الإنتاجي الوطني و الجهوي. كما أن الغرف المهنية نادراً ما تم فتحها لتشجيع استثماري وتنظيمي الحرفي، ومساهمة في العمل التشريعي الاقتصادي، من خلال مناقشة مفيدة لقانون المالية والمخططات الإستراتيجية، لبلورة اقتراحات عملية تغنى

نموذج اقتصاديا أكثر نجاعة تنافسية وأقل انتهازية احتكارية.

أين نحناليوم من مضمون خطاب الحسن الثاني (20 غشت 1996) وما كان يتواهه من فتح غرفة برلمانية ثانية، من خلال تواجد مستشارين ذوي تجارب اقتصادية واجتماعية ميدانية؟. كان الملك الراحل آنذاك متفانلا من تجاوب ميداني مع بطاله حاملي الشهادات، عند استفادتها من ظروف التشاور والتعاون بين الحكومة وممثلي الجماعات الترابية والنقابات العمالية والمقاولاتية والغرف المهنية. رحل الحسن الثاني ولم يرحل المحترمون عن غرفة ثانية لا زالت عاجزة على تنفيذ السيناريو الملكي. ليسمر مرور مرسوميات مستشارين أميين أمام متظاهرين ببلومين !.

### 37- "الوطن غفور رحيم"

اتجهت الدولة إلى تطبيق نظام جبائي تفضيلي عبر كل التراب الصحراوي المسترجع، من خلال الإعفاء عن أداء الضريبة على القيمة المضافة، عن الجبايات الداخلية للاستهلاك بالنسبة للموارد الأولية و عن الضريبة على الشركات والضريبة على الدخل بالنسبة للمقاولات المستمرة في المنطقة. كما عملت على تحفيز مادي للوظيفية العمومية في أقاليمنا الصحراوية. لكن حسن النبات العمومية غالبا ما تحولت إلى خوصصة الاستفاذات، بعدما لجأت العديد من المقاولات إلى عنوان ضريبي في تلك الأقاليم و الاشتغال خارجها. حيث استشرت البنية الإنتاجية في هيمنة القطاع الفلاحي والصيد البحري، بينما قدم القطاع الإنتاجي الخصوصي مناصب تقل كثيرا على وظائف إدارية مدرومة بتوزيع الكارتية الضامنة للدخل الشهري لآلاف المستفيدين.

كما تحولت الأسفار الخارجية من الدافع عن المواقف السياسية الموالية للقضية الوطنية إلى مجرد جولات سياحية على حساب دافعي الضرائب العمومية. يحكى محمد البريني، مؤسس يومية الأحداث المغربية: "في بداية الثمانينيات سافر وقد برلماني مغربي إلى مدينة "براك" Pragues حيث الجمعية البرلمانية (Inter parlementaire) وضع قضاية الصحراء ضمن جدول أعمالها. بعد وصولنا، لاحظت أن أي عضو منبعثة المغربية لم يحضر أشغال المؤتمر، مفضلين التجوال في العاصمة التشيكية"!

تعددت وتتنوعت نماذج الفساد المالي، أكبرها تم تشخيصه في القرض العقاري والسياحي والقرض الفلاحي والبنك الوطني للإنماء الاقتصادي والصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، المكتب الوطني للمطارات، المطاعم المدرسية، مكتب التسويق والتصدير...

عبر محكمتين، أبان القرض العقاري والسياحي على تسخير بأسوا تدبير، بعد أن قدم عدة ملابير هدية لبعض زبناء غلاظ يدفع عنهم صغار المفترضين المهددين بالسيزي. تحدث الرئيس الأسبق مولاي الزين الذهبي، انطلاقا من

منفاه الذهبي الإسباني، عن عدة قضايا نموذجية في باب السيبة الافتراضية. منها الشركة المدنية العقارية في ملكية زعيم حزب سياسي تمكّن من بيع كل العمارة بدون تسديد أي سنتيم ، أو شركة KSA المحصلة على قرض تكميلي لمشروع مارتيل رغم استحالة تسديد افتراض سابق، لأن كل أعضاء لجنة القروض (بينهم صندوق الإيداع والتدبير، بنك المغرب، وممثلي وزاري السياحة والسكنى) قبلوا بدون أدنى تحفظ استمرار القرض العقاري في تغريق لكريدي و لو بدون أمل في استرجاعه...

حول الوضعية المالية المزرية التي كان يعيشها القرض العقاري و السياحي خلال فترات سابقة، يحكى مولاي الزين الزاهدي : "...قبل إغفال الحساب الختامي لسنة 1995 أخبرت المدير العام ل "CDG" ووالى بنك المغرب حول نيتها عدم توزيع الأرباح على المساهمين. لكنني طلبت بتوزيعها بعد تصريح المصالح الضرائب تم إخضاعه للمكياح المحاسباتي"

خلال المحاكمة الثانية لمسؤولي القرض العقاري و السياحي، أظهرت التحريات القضائية تغييباً كلياً لصلاحيات مجلسه الإداري، لا حول له ولا قوة على مواجهة قرارات فردية لرئيس- مدير عام يقوم بتسخير اتفاعي لفنادق مسترجعة، مع تقديم أتعاب غير متابعة لمحامين مقربين ومكاتب دراسات أقل قيمة من المكاسب المحصل عليها. ارتفعت دعوات "اللهم ارحمني" عاد ارحم سياس، حين استفاد خالد عليوة (الوزير و القيادي السابق في حزب القوات الشعبية) من اقتناص شققين في أرقى الأحياء المغربية بابخس سومة عقارية، على مسمع ومرأى من مجلس إداري يحضر من أجل الاتفاق على محضر هو غائب عن تحمل تبعاته.

عند محاكمة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، رغم أن القرارات الإستراتيجية تعود لأعضاء مجلس إداري نصفه يمثل الجهاز الحكومي والنصف الثاني يمثل النقابات العمالية والمقاولاتية، نزلت الإدانة فقط على الكاتب العام الأسبق. و هو ما يطرح بحدة مدى المسؤولية الحقيقة للمجالس الإدارية في حكامة المؤسسات العمومية !

رغم تنوع المراقبات و تكاثر المراقبين، لم تتمكن الدولة من إرغام المفسدين على إرجاع ما تمت سرقته من المال العام. في تغييب تام لاتفاقية الأمم المتحدة ضد الرشوة التي وضعت المطالبة بإرجاع المسروقات بين أولى مبادرتها. مكنت شكايات قدمتها الجمعية المغربية لحماية المال العام من تدخل القضاء، بل كانت أحياناً وراء أحكام نهائية، لكن بدون "حماية" فعلية لمال عام ما لم يتم إرجاعه.

### 38 - هبطوه لاكب

اقتناء مسكن، تجهيزه، تأثيثه، شراء سيارة أو كيش الأضحية، أداء

المصاريف المدرسية أو تمويل عطلة صيفية... تشكل كلها فرصا سانحة لمنظومة بنكية لها "فوائد" صغار قوم مصائب المديونية الاستهلاكية. كلما حاولوا الصعود من السفلي المعيشى، يتكلف اللوبي البنكي بإذالهم نحو لاكاب اقراضي، بأعلى نسب الفائدة لأطول مدة قرض ممكنة.

في فرنسا، حيث يبتعد كل البعد مستوى الدخل الفردي عن معدل الأجر المغربي، تقدم CETELEM قروضا على مدى 12 شهرا بفائدة لا تفوق 1%， كما تقدم COFIDIS قروضا على مدى 48 شهرا بفائدة 3.6% ، و يمكن TEG تمويلا استهلاكيا فرديا بنسبة شبه رمزية لا تتعدي 0.5% . من أجل افتتاح السيارات، تقدم Autosphère قروضا تبلغ مدتها 60 شهرا بنسبة 1,9% ... كما يوجد عندم قرض عقاري بنسبة 5,1 في المائة مع تسديد تبلغ مدتها عشرون سنة!

أما في المغرب فالظاهر انه يباح للقطاع البنكي تفادي كل تنافسية بين مكوناته، بفضل تفاهم داخلي في إطار (GPBM) أوليكوبولية، على غرار قطاعات التأمين والاتصالات والإسمنت...

مع ذلك، يرى والي بنك المغرب أن استمرار الصعوبات التي يعانيها المغرب تعود إلى بطء وثيرة التنمية. لماذا لم يعمل على تخفيف نسب فوائد القروض البنكية لمكين فئات أوسع من الولوج لعقارات، لخدمات، لتجهيزات و لسفريات ترفع من مستوياتهم المعيشية و تساهم مباشرة في الحركة الإنتاجية و التشغيلية؟

بعض الوكالات البنكية بالمناطق الشمالية تستقبل أحجاما من كومات الأوراق المالية تفوق ما يتم إيداعه في بعض الوكالات البيضاوية. عدة أرصدة مشبوهة أدخلت أصحابها غرفتي البرلمان، تمكنا من تبييض فائضها في مشاريع تجارية، ترفيهية أو عقارية وفي... "تمثيلية" الأمة بكمالها!

لا عجب إذن أن تتمكن الأبناك من تحقيق أحسن النتائج المرحبة في عز الأزمة المالية الدولية وفي عز الإشكاليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المغربية. لكنها أرباح مالية إنمائية ضعيفة الآثار التنموية على الهيكلة الاستثمارية والاستهلاكية.

85% من النسيج المقاولاتي بين متوسطي وصغر الشركات يحصل على ربع القروض المقدمة. بينما لا تفوق حصة القطاع الفلاحي (المسامح بأكثر من 14% من الناتج الداخلي) 6,1% من التمويل البنكي الوطني. بالمقابل، لاحظ خبراء "فيتش رايتنينغ" تمركز القروض لدى قلة من زبناء البنوك، لأن 20 قرضا فقط تمثل 20 في المائة من إجمالي القروض المنوحة. ما يهدد الاستقرار المالي لهذه البنوك وبالتالي كل الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي المغربي.

## 39 - الفراشة الكبار

بعد "الكيف" نبتة محظورة قانونيا ومكرهه أخلاقيا، لكنها اقتصاديا وماليا ذات منافذ تسويقية داخلية وقدرات تصديرية خارجية. دخلت الأراضي المغربية الشمالية انطلاقا من منطقة كنامة على يد فاتحين عرب لم يحملوا معهم إلا الدعوة، جاؤوا منذ القرن السابع الميلادي بالعشبة من آسيا والشرق الأوسط. انتشرت أولى استعمالاتها في الزوايا ومواسم والأضرحة. دفع السلطان مولاي الحسن بالترخيص لانتاجها في أواسط القرن 19 من طرف خمسة قبائل ريفية في إطار مصالحتها مع السلطة المخزنية. ثم خلال الفترة الاستعمارية، مكن الاحتلال الإسباني والفرنسي، من خلال ترخيص زراعة الكيف، "شراء" خيانة بعض أعيان القبائل لاخماد فتنتها وتهديئة عدوانيتها.

قبل أن تحول العملية إلى ريع منظم منذ سنة 1919، بعدها ثم تحديد جغرافي لمناطق زرع الكيف بتراخيص مخزني، شريطة بيع المحاصيل لإدارة صكّة التبغ. إلى حين اختفاء التسويق الرسمي للكيف سنة 1958، بعدما تحولت شركة الكيف والتبغ إلى شركة التبغ. ليتمكن الفراغ القانوني من استمرار تلك الزراعة وتحويل الكيف لحشيش حول المغرب، بشهادة من مكتب الأمم المتحدة لمحاربة المخدرات والجريمة، إلى أول مصدر لتحشيش الأقطار الأوروبية.

أما في الأراضي الفلاحية العادية، فقد تحول كراء بعض مساحاتها المخزنية، انطلاقا من سنة 1915، إلى تملك في منطقتي فاس ومراكش. قبل تمكن معمرى المغرب الفلاحي من انتشار العملية الريعية عبر كل تراب المغرب النافع، انطلاقا من سنة 1935.

منذ سنة 1973، بمغربة الأراضي المسترجعة، تحولت 50 ألف هكتار من أراضي المعمرين إلى ملكية مغاربة شكلوا منذ بداية القرن العشرين النسيج السلطوي الاقتصادي. حده على بوحدو (في كتابه "الأسس التاريخية لتنظيم السلطة بالمغرب") في الشرفاء والعلماء والتجار. كما تم تفويت باقي الأملاك الفلاحية للدولة لشركتي صوجيتا وصوديبا. كان المفروض فيهما تقديم تدبير نموذجي لضياعات فلاحية وحيوانية، سرعان ما تحولت إلى متاهات تبديرية انتهت بتشتيت أملاكها. تفرق لعدة اشطر أكدت العلاقة الحميمية بين سلطات مشرفة وأعيان حزبية منتمية للمكاتب السياسية للاستقلال، التجمع الوطني للأحرار، الاتحاد الدستوري، رابطة الحريات...

الأمثلة متعددة في كل ربوع المغرب، على طول شواطئه وشوارعه وساحاته، حيث تعددت فرص الربيع الترابي، على شكل خوصصات مجانية حولت ممرات شاطئية عمومية إلى فضاءات لا يدخلها إلا الملاكون أو المؤدون. و بينما يتسع فضاء "الفراشة الكبار"، لا زال القايد و القايدة يطاردان الفراشة الصغار !

# X المال الصاعد إلى "الجنة"

هناك من عَرَفَ الاشتراكية بكونها إرْغام من يملك بقرتين على إعطاء واحدة لجاره، وعَرَفَ الشيوعية بتمكن الدولة من نزع ملكية البقرتين مقابل إجبار صاحبها على انتظار دوره للحصول على الحليب. أما البيروقراطية فقتل إحدى البقرتين لضمان التوازن بين العرض والطلب. و تمكن الرأسمالية من بيع إحدى البقرتين لشراء ثور ولاد. قبل أن تتدخل الضرائب لتأخذ حصتها من زبدة الأرباح، باستثناء العارفين كيف يخلط الحليب بما التملص الضريبي و تهريب الأموال ! قبل حضور الإسلامية لتخلط السياسي الدنيوي بالتأويل الديني.

## 40- أعرقل، إِنَّ أَنَا مُوجُودٌ !

تمكنت مفاهيم اقتصادية مدعية الليبرالية أشباه المقاولين من تحويل مبادرات تنافسية إلى فرص انتهازية، تسايرها أجهزة إدارية من تراخيصها مستفيدة، تغذيها أرباح مسلوبة من أجور معيشية تفقرية. لا يفهمون من الليبرالية سوى طرق النفوذ إلى التخفيضات والإعفاءات الضريبية السخية. لا يعيهم ما يحوم حولهم من فساد مالي، ما دام كل ما يدفعه الراشي يرضي المرتشي، ما دام المستهلك تحمل في آخر المطاف "مصالحه" دهين السير ! حضر مشروع قانون بمثابة ميثاق المرافق العمومية، المنصوص عليه في الدستور، بعد 8 سنوات من إدراجه ضمن المخطط التشريعي لحكومتين. و كان الحكومة غير متسرعة لإصلاح ما تراه على خير ما يرام، بعد أن نشرت دراسة حكومية حول أداء الموظفين بمعدل تنقيط بلغ 18 و نصف على 20 !

الإدارات مُسكونة بموظفيين أشباح، أكثرهم تستحيل معاقبتهم، لارتباطهم بزبونية حزبية أو نقابية أو عائلية، أو حميمية. باستثناء ذوي النزاهة والكفاءة والاستقامة، يجتهد الحاضرون في تحريف قاعدة ديكارت، إلى "أعرقل، إِنَّ أَنَا مُوجُود". ليبقى المغاربة منقسمين إلى فريقين : من يسمع "سير تسنا حتى يجي" ومن يسمع "سير عنو راه كيتسناك" !

و بين قطاعي الخاص و العام، يحول الفساد معاملات يومية غالبا ما ارتأحت لها ذهنياتنا المجتمعية، رغم معارضات شفوية في قراره نفسها متفهمة. عند محطات الأداء المتبادل، تتم بمفرطة الرشوة لتبأ ببعض دراهم

**الحلوة و الكاملة و الترقية، قبل الصعود نحو معاملات دسمة لإطعام أمهر الطباخين !**

بعد توالي وعود "الإصلاح" و "التحديث" و "تقرير الإدارة من المرتفقين"، لا زال الجهاز الإداري يتحرك لأجل التلاقي المصلحي بين الراشي و المرتشي، في إطار ما أصبح رياضة وطنية كثيرة المتعاطفين. تتخالها حركات يومية من أجل المحافظة على لياقتهم البدنية بدون جهد عضلي. كلما لجا إداريونا إلى تمارين بدون مغادرة كراسיהם، "يرمون" بملفات إلى أجل غير مسمى، أو "يدفعون" بالتي هي أحسن ما تيسر من الترخيصات السخية، أو "يفتحون" الطريق لمساطر معقدة عبر محطات "الأداء"، أو "يتسلقون" المناصب و "يجذرون" المرتفعات الأجرية... حسنا فعل شباك وحيد مت nuclei لخدمة مغاربة العالم، أحسن يفعل شباك وحيد مت nuclei بين المناطق النائية لخدمة مغاربة المخرب !

أكثر من مرة، نادى محمد السادس إلى "المفهوم جديد للسلطة" بكل أبعاده الضامنة لحماية الشأن العام والشؤون المحلية والحربيات الفردية والجماعية وتأمين الاستقرار والسلم الاجتماعي. لكن بعض السلطات الترابية، على رأسها عمال وولاة، قدمت أسوء الأمثلة في قضايا "حشيشية" أو عقارية، خاصة على عهد العمال الأمرين بالصرف، المتدخلين في شؤون الوكالات الحضرية، في توجيهه إعداد تصاميم التهيئة، في رئاسة لجن الاستثناءات العمرانية...

المفهوم القديم للسلطة ظل ساري المفعول في مجالس منتخبة متذكرة للمطالبة الدستورية بربط المسؤولية بالمحاسبة. ما دام رؤساء و من معهم يحولون اختصاصاتهم لتقسيم انتفاعي يستحوذ فيه سعادة الرئيس على ترخيصات المجمعات العقارية، اللوتسات وطلبات العروض السمينة ... ليترك لباقي الأعضاء ما يأكلون من صغار الرخص التجارية أو رخص البناء أو السكن الفردي أو من ترخيصات دائمة لاستغلال الملك العمومي... أراض فلاجية أصبحت تأوي آلاف السكان.. بل تورط منتخبين و برلمانيين في تشييد مستودعات و مصانع عشوائية يستغلونها في أنشطة دون التصريح بعشرات العمال و العاملات، يتم استعمالهم في الحملات الانتخابية.

#### **41- "صنع في المغرب"**

عدة مقاولين لا تهمهم الابتكارات الوطنية ما دام كل ما يحمل "صنع بالمغرب" يقل بكثير عن الذي يدخل من خارجه، عبر تحايلات جمركية أو تهريبية سموها "معيشية" لتirrir طوابير الحمارات على الحدود الشمالية. ليظل البحث التنموي recherche-développement في المجال المقاولاتي المغربي من بين الأضعف في العالم.

تبليغ في اليابان مساهمة القطاع الخاص في البحث العلمي الجامعي 64% من الحاجيات التأطيرية والتجهيزية. لا عجب إذن أن يصير من بين القوى الاقتصادية الحالية، بعد دمار نووي خلال الحرب العالمية الثانية وافتقار تام لثروة بترولية أو غازية. ولدت الجماهيرية "العظمى" ببترولها ميتة، و لا زالت فلسطين في انتظار دعم "العروبة" لاسترجاع أراضيها من دولة تصرف على البحث العلمي ما يفوق إنفاق البلاد العربية كلها؟

يحتل المغرب الصنف 88 حسب مقاييس المنظمة الدولية للمملكة الفكرية، مستوى يبعد الصناعة الداخلية عن شروط التنافسية المعمولمة وبهدد بالبقاء بين المعتمدين على ضعاف الأجور لتبرير قدرات تصديرية وهمية. مررت سنون عديدة على الخطاب الملكي بالجرف الأصفر أمام رؤساء الغرف المهنية ومسيري المكاتب والمؤسسات العمومية وممثلي الفعاليات المقاولاتية، عندما أشار الملك محمد السادس إلى "تناقض بين سلطات عمومية غير قادرة على حسن توجيه التشجيعات الاستثمارية المجدية وقطاع خصوصي لا زال رهين ميولات ريعية وانتظارية متنافية لعقلية المبادرة الحرة الفاعلة والفعالة". مع ذلك، بعد مرور زهاء عشرين سنة، يعود خطاب العرش للحديث عن "الخوف و التردد الذي يسيطر على عقلية بعض المسؤولين" في إدارة لم يغير دستور 2011 عقلياتها، كما يدل على ذلك ما يصيب المشاريع والأوراش الكبرى حتى التي الزمتهم باتفاقيات متعددة الأطراف في حضرة رئيس الدولة.

بعد غيابنا عن مواعيد الثورة الصناعية ثم العلميةـ التقنية ثم الرقمية، لم يبق لنا سوى مسيرة العولمة الكاسحة، بدءاً بأقرار ضرورة التعددية اللغوية، من أجل الانفتاح العلمي والأدبي والتكنولوجي. لكن، لا زال لمغرب اليوم أصحاب زمن سياسي يعيش من و على ماضي "الرصيد التاريخي" واحتكار الخطاب الوعظي الإرشادي. عندما كان الملك يخطب أمام البابا باللغات العربية، الفرنسية، الأنجلزية والإسبانية، اختزلت الحكومة كل النقاش حول القانون الإطار للتربية والتعليم في لغة تدرس مواد معينة، مهتمة بالانتخابات المقبلة بدل الأجيال المقبلة!

حين نعث نزار بركة فرنسة المواد العلمية بـ "الإجرام"، تناسى الرعيم الاستقلالي أننا سمعنا رئيساً لفديرالية الطاقة التابعة لنقابة الباطورنا يعبر عن "كامل ارتياحه" عند حضور اجتماع مع الوزير(نفس نزار بركة)، كل أطراف حديثه تجاذبت "الفرنسية تسهل تمرير خطاب التفهم المؤدي إلى التفاهم" ! ألم يستفيد الطالب بنكريان من أيام الازدواجية الغنية حين درس الفيزياء بفرنسية أفادته في لقاءاته الحكومية الدولية؟ أبناءه درسوا بثانوية ديكارط، كما هو حال أبناء الإدريسي الأزمي الذي انسحب من دراسة قانون يعيد الأمور إلى فوائدتها اللغوية، وهو الذي درس الكيمياء بفرنسا. اختار "الإسلامي" حامي الدين دراسة أبناءه بمدرسة كاثوليكية رباطية و اللاحنة

طويلة!

بشهادة من عدمة مراكش الأسبق، تم تحرير الميثاق الجماعي باللغة الفرنسية، انطلاقاً من مقترنات الخيراء الفرنسيين، قبل ترجمته إلى اللغة العربية. فـأين نحن من أمازيغية شامة نوبية "الرسمية"، بعد عربية ماشي دائمًا رسمية؟ أصدرت الحكومة العثمانية مذكرة تحت القطاعات العمومية على استعمال اللغة العربية والأمازيغية. في نفس الأسبوع، انعقدت الجلسة الافتتاحية للمنتدى الثاني للتعليم العالي بين الصينيين والجامعات الإفريقية. تحدث خلالها كل المتتدخلين المغاربة باللغة الفرنسية، قبل أن تتدخل ممثلة سفير الصين... باللغة العربية !.

المشكلة الحقيقة ليست في لغة التحصيل بل في الحصول على فرصة التشغيل. 47% من العاطلين بشهادات جامعية، منهم مئات المهندسين في بلد يدعى مخططه الأخضر الفلاحي وإقلاعه الصناعي حاجتهم إلى ألف المهندسين. لتبرير تعثر الحركة الاقتصادية التشغيلية، نسمع برلمانيين، أغلبهم رجال أعمال، يتهمون الجامعة بـ"صناعة البطالة". يطالبون "سوق العمل" باللجوء إلى المرونة الآمنة (flexisécurité) التي تعني، في نفس الزمن الديماغوجي، تسهيل التسريح من أجل تأمين الشغل(!).

الحقيقة أن بطالة المتخرجين تخدم مصالح الضغط على أجور طالبي العمل، تساهم في تخفيض الدبلومات لجعلها في خدمة مراكز النداء والسطاجات المجانية. عندما تدعى الحكومة أن الأوفشورين خلقوا 70 ألف منصب شغل بالمغرب في أربع سنوات، لا ندرى هل يجب اعتبار ذلك "إنجازاً" أو ترقيناً! إما دام هناك شاب مغربي من بين ثلاثة لا شغل له ولا هو في طور تعليم أو تكوين.

## 42- الجهاد التنموي

تستفيد التحايلات الانتهازية من بنية التخلف بدل العمل على تكسيرها. لا يستثمر الريعيون من أجل تقوية التنمية، بل في إضعاف مهمتها، كأنني بهم قائلون: "عاش التخلف"! تخلف معيشي و تخلف الوعي المواطن. ما جدوى أن يضمن الدستور حرية التصويت، ما دامت "الحرية تبدأ أين ينتهي الجهل"! (فيكتور هيوك).

فعندما يلجأآلاف المغاربة إلى "الخبز وتاجي"، هناك من يضمن إطعام أرباحه بتهريب الدقيق المدعم. وهناك أطباء ومصحات ترتفع من قلة الصحة العمومية لمغرب المرض النافع. مصانع مدرسة المخزن عند قوم السوسيع ومدارس الفلوس فوائد. يصير المرشح سعادة الرئيس والبرلماني "محترماً" بفضل أصوات براريكية تشكل رأسماح التمثيلية المشربية! بينما تتهاطل تقارير دولية تحذر من أزمة العطش التي صارت تهدد المغرب ، رؤساء

جماعات قروية يستغلون دواوير العطش لتحويل مصاريف حفر آبار من طرف محسنين إلى سندات طلب تسمى جيوبهم!...  
إلى حد اعتبار البعض تبادل البقشيش وسيلة عادلة لتحسين الدخل الفردي وإنعاش التبادل الاقتصادي: من يدفع لكي لا يدفع واجب مخالفته القانون، أو ليمرر مواد مهربة، أو لينال حظه من النجاح في مبارأة مفبركة، أو ليحصل على علاج خاص في مستشفى عمومي، أو ليؤدي على ترخيص السكن أو للبناء أو للتجزئة، أو ليتحول إلى قبول رأي كان رافضاً، أو ليحتل فضاءً عمومياً، أو ليلح إلى شغل أو ليحصل على قرض أسرع وبشروط أتفع، أو من أجل تعين وظيفي في مدن المغرب النافع، أو من أجل مراجعة سخية ضريبية أو جمركية... .

يحتاج الجهاد الحقيقى ضد التخلف السياسي، الاقتصادي والاجتماعي إلى جهاز قضائى ناجع، نافع غير منتفع، يضمن شروط المنافسة التمثلية الانتخابية و الإنtagوية المقاولاتية. من أجل إبعاد المتخاصمين عن صراط الارتشاء والتماطل والتحايل على قوانين تعذر بتجاوزها الأيدي الطويلة أو المليئة. أو يتعدى تطبيقها بعدمحاكمات تستمر إلى ما بعد رحيل محكومين دنباً و آخرة !

كثيراً ما قرأتنا أن قضية فساد مالي "ستسقط شخصيات نافذة"، ثم تمر الشهور و لا يسقط أحد، أو تتم المتابعات القضائية في حالة سراح رغم خطورة الأفعال المرتكبة. عند بداية سنة 2019، وصل ملف "казينو السعدي" (يتابع فيه برلمانيون و نقابيون و مقاولون، من بينهم عضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال) إلى 12 سنة، بعدما أمضى سبع سنوات لدى الفرقا الوطنية وأربع سنوات بين التحقيق و المحاكمة و تغيب أو تغير القاضي عدة مرات.

عندما يعترف وزير سابق للعدل بأن 90% من رجال ونساء القضاء لا يعرفون قراءة حساب ختامي لشركة متخصصة، أين نحن من مطالبة رئاسة النيابة العامة المسئول القضائي "بأن يكون في نفس الآن فقيها قانونياً و مهندساً للعدالة، يستشرف المشاكل والإشكالات ويستبقها بحلول ناجعة؟"؟ مع العلم أن منظومة العدل لا تتوقف عند القاضي و القاضية، بل هي كذلك قضية كتاب الضبط و مفوضين قضائيين و خبراء و شهود و ضابطة قضائية أمنية أو دركية، و قضية محامين بعضهم لا يتهاون في "أكل" حقوق متخاصمين.

اعتبرت دراسات "تراسبرانسي" الجهاز القضائي أكثر ارتشاء في المغرب، قبل الأمن والأحزاب والمؤسسات الصحية العمومية. و اعتبر تقرير صادر عن الخارجية الأمريكية حول حقوق الإنسان بمفهومها الواسع الجهاز القضائي قليل الفعالية، تشويه مظاهر مرتبطة، ضعيف الاستقلالية، لا يحترمها حتى وزير الدولة في حقوق الإنسان، حين تهجم علانية على قرارات قضائية تخص إعادة فتح ملف متعلق بأحد قيادي حزبه .

يضمن الدستور أن "القانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة والجميع /أشخاص ذاتيين أو اعتباريين بما فيهم السلطات العمومية متساوون أمامه وملزمون بالامتثال إليه". لكنه قانون يجوز في تطبيقه الوجهان: واحد لعامة القوم و آخر لعليه. كما حدث مع مدير سابق للقرض العقاري والسياحي، غادر السجن لدفن أمه كي لا يعود إليه. قانون يتبع ويدين تلميذا بسرقة الطباشير من الأقسام ويجد مبررا طيبا لابنة وزير سابق اعتبرت مريضة بحوزتها الكوكايين. قانون يخرج من قاعة المحكمة إبنة زعيم نقابي دهست عمالها بسيارتها و هي في حالة مرفوعة. قانون يمنح "ملكة جمال المغرب" السراح المؤقت غير المشروط بعد متابعتها بـ"السياقة في حالة سكر و التسبب في قتل شخصين". قانون يسمح ، بعد مداهمة أوكرار الدعاارة، بأن تخلي السلطات سبيل الموقوفين الخليجين و تبقى المغربيات رهن الاعتقال. قانون يشعر المغاربة أن بينهم علية قوم فوق القانون، حين صدمت إبنة رئيس جهة مراكش عمودا كهربائيا بدون رخصة سيارة لسيارة تابعة للجهة...

#### 43- مهر العروس

منذ القرن 19 إلى العهد الحالي، ابتعد المغرب عن "مخزن" بدأ حصنا عسكريا يراقب مخزون المحاصيل المقطعة من حصاد القبائل. فصار يعني مجالا سياسيا، انقسم جغرافيا بين بلاد المخزن تحت السلطة السلطانية، وبلاد **السيبة** الخارجة عن الطاعة. لبلوغ مخزن يعني اليوم السلطات الإدارية الأمنية أو حتى بعض الخدمات العمومية (سيبيطار المخزن، مدرسة المخزن...).

في مؤلفه حول "التاريخ السياسي للمغرب العربي" يحكى عبد الكريم الفيلالي كيف تلقى عمر بن عبد الجليل عند تأسيس حزب الاستقلال مساعدة مالية من محمد الغزاوي الذي سيتحول من مالك لحافلات النقل بين المدن إلى المسؤول الأول على جهاز الأمن الوطني. نفس الكتاب يتحدث عن ظروف تأسيس عمر بن عبد الجليل أول أمين مال لحزب الاستقلال لأول مؤسسة بنكية على أساس المساهمة التعاونية لأصحاب الودائع البنكية "الشعبية".

ذلك أمثلة على زواج المتعة بين المال و العمل السياسي الاقتصادي، كانت بداية ما سمي بـ"مخزن اقتصادي"، تداخلت فيه السلطات الإدارية وكانت حزبية مستفيدة من مغربة تبعتها خوصصة كان أكبر منفذها وزيرا للمالية و ... الخوخصة جاء من قيادة القوات الشعبية. الإنقاذ شركة "كوماناف" من الإفلاس أشار وزير النقل التجاري البحري إلى استحالة خوصصتها وهي في وضع عجز مالي. فعملت السلطات العمومية على رسلتها recapitalisation، لتقديم عروس جاهزة لزواج الخوخصة، بمهر يقدمه دافعو الضرائب، صغيرهم وكبيرهم!

33 في المائة فقط من الشركات المصرحة تعترف بتسجيل أرباح.

ثمانون بالمائة من مداخيل الضريبة على الشركات تدفعها واحد بالمائة من المقاولات. شركات الهولدين الملكي وحدها دفعت لإدارة الضرائب قرابة 67 مليون درهم خلال سنة 2018. بينما يساهم أصحاب المهن الحرة (الأطباء، المهندسون المعماريون، الصيادلة و المحامون) ب 2 بالمائة من الإيرادات الضريبية، يضمن الموظفون ثلاثة أرباع الضريبة على الأجور. ما الفائدة من مراجعة إعفاءات ضريبية لمقاولات لا تفعل شيئاً من أجل التشغيل؟. بالمقابل، لماذا لا تقدم تسهيلات ضريبية (كما هو الحال في فرنسا) لأرباب عائلات تخلق مناصب شغل كالحارس والسانق والمساعدة المنزلي؟.

تحصل الفنانات المحتاجة على درهم واحد من بين عشرة يدفعها صندوق المقاصة للطبقات والمقاولات الميسورة، من بينها الإمدادات العمومية لإنتاج بسكوي و موائد محتوية على الأطنان من السكر المدعوم، تتجه إلى ضريبة غير مباشرة على القيمة المضافة، لا لون لها ولا طعم، تصيب بدون تمييز صغار المستهلكين وكبارهم.

النموذج التنموي، كي يمر من النظري إلى العملي، مهما كانت إرادته، يحتاج إلى وسائل تمويلية، محتاجة بدورها إلى عدالة ضريبية و مواجهة صارمة للهاربين أو المعفيين بدون حق أو المزورين بلا حبيب أو قريب، أو لمهربي أموال خيرنا لغيرنا نحو الجنات الضريبية paradis fiscaux حسب الحركة المالية لمواجهة تبييض رؤوس الأموال GAFI ، هناك 17 بلداً لا تحترم جزئياً أو كلياً المعايير الدولية. و إن كان خارج اللائحة السوداء، يوجد المغرب ضمن لائحة رمادية تضم بلدان " بها قصور واضح لكنها تعمل على تجاوزه" ، بأكثر صعوبة حسب Financial Global Integrity

#### 44 - الطابق السفلي

منذ أن صار للحكومة "سياسة المدينة" بدت أكثر عجزاً على مواجهة "مدن بدون صفيح". بل انتشرت في مدن بدون عمران أحياها لا تقل تخلفاً تجهيزياً خدماتها عن الدواوير البراريكية داخل المدارات الحضرية. أحياها تمكن كراء بعض أرقة سلا أو الدار البيضاء لتصوير مشاهد أفلام غربية تدور أحداثها في عراق داعش أو أفغانستان طالبان المدمرة البنيان...

أوضاع لن تققاومها وحدها المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، مهما حسنت نياتها وتعددت وسائلها. لو استمر تسلط جمعيات مقربة من رؤساء جماعات يحولون ريعها إلى أصوات انتخابوية، أحياناً بسكت، إذا لم يكن برضى، بعض السلطات الإدارية الترابية.

نبه جون ستيفوارت ميل منذ أواسط القرن 19 في كتابه الشهير: "المبادئ الاقتصادية السياسي"، إلى أن "محاولة تحسين الظروف المعيشية بصفة دائمة

لمجتمع معين لا تمكن الوسائل الصغيرة من إنتاج حتى ردود الفعل الصغيرة، بل لن تنتج بناها أي مفعول في آخر المطاف". المغرب الموحد سياسياً والمتنوع جغرافياً ليس متساوياً بشرياً. هناك مغاربة الفوقي الذين يعيشون كما يريدون، و هناك مغاربة الطابق الوسطي الذين يعيشون كما يقدرون، وهناك مغاربة السفلي الذين يعيشون ليأكلون !.

بعدما كانت سبباً في عزوف الكفاءات بدل إبرازها، تلّجا الأحزاب إلى استقطاب تقنوقراطي عند كل ميركاتو استوزاري. لم يكن دائماً ناجعاً، بعدما اتضح رسوبي جل مهندسي القنطر في بناء بديل تنموي للنهج الريعي. إذ بقي المغرب رهن الاقتضاء برؤى تقنوقراطية ذات النظرة الإنمائية الضيق، بعيداً عن النظرة التنموية الموسعة. رغم تشخيص ملكي للبرامج الاجتماعية، يؤكّد أنه "ليس من المنطق أن نجد أكثر من مائة برنامج للدعم والحماية الاجتماعية من مختلف الأحجام و ترصّد لها عشرات المليارات من الدرّاهم مشتّتة بين العديد من القطاعات الوزارية والمتدخلين العموميين...".

طلب أو بإفشاء من طرف مكاتب محاماة متخصصة، يصيّر "الحريك" الضريبي مجرد "تحسين جبائي" optimisation fiscale على حساب الاستثمار الداخلي. فضلاً عن أكثر من 37 مليار درهم بسبب تهريب أموال التلاعب في الفواتير و غسلها. خير دليل على ضعف "رؤية 2020" لاستقطاب سواح الخارج و رسوبي إنعاش السياحة الداخلية يقدمه عدد المغاربة الذين يزورون إسبانياً يفوق عدد الإسبان الذين يزورون المغرب. السياح ليسوا وحدهم يفضلون ترك المغرب و رأيهم بعبور مضيق طارق بن زياد، فحسب تقرير لجمعية "أوكني" إلى حدود يناير 2019، احتلت مدن الجنوب الإسباني الرتبة الأولى في استقطاب رؤوس الأموال المهرّبة من المغرب !.

رغم أن الدستور يطالب "الجميع بتحمل التكاليف العمومية، كل على قدر استطاعته"، يعتبر المنشعون و الفلاحون من أكبر المستفيدين من نعيم الإعفاءات الضريبية المتحولة أحياناً إلى هبات ريعية. في غياب تام لكل إنصاف جبائي، تتحمّل فئات معينة من الملزمين العبء الأكبر. إعفاء قطاعات من الضريبة بدأت بالقطاع الفلاحي منذ تمانينات القرن الماضي، إضافة إلى بعض الأنشطة التصديرية بالمناطق الحرة أو المرتبطة بالمخططات القطاعية. لم تأخذ الحكومات المتواالية بعين الاعتبار مساهمتها الحقيقة.

# XI

## لعبة الأدوار

يعتبر الدستور تأسيس جمعيات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية سبيلاً "للتشاور قصد إشراك مختلف الفاعلين الاجتماعيين في إعداد السياسات العمومية وتقعيلها وتنفيذها وتقييمها". كما يتيح للمواطنين والمواطنات الحق في تقديم اقتراحات في مجال التشريع وتقديم عرائض إلى السلطات العمومية. إنها أهداف تحتاج إلى نسج جماعي يرقى إلى سلطة معنوية - (contre pouvoir) تقوى برأي عام متور بفضل إعلام حر متتحرر. إلا إذا ظل جزء واسع من الفضاء الجماعي ضعيف العطاء، في غياب حكامة تنظيمية وتدبيرية، بحضور عقلية انتهازية و باطرونية تستمر في تغيب المجال الإقتصادي، أمام فراغ تأطيري تركته كائنات حزبية لا تخرجها من سباتها إلا مواعيد توزيع التزكيات و مفاضلات الكاستين الاستوزارية.

### 45- الربيع الجماعي

في قديم زمان الجمعيات الرياضية، كانت " مقابلات" البطولة الكروية المغربية تنظم في المكاتب بدل الملاعب. حين كان لاتحاد القاسمي جنرال إسمه أحمد الدليمي وللوداد الرياضي الوزير الطاهري الجوطي وللدفاع الجديدي النقابي ثم الوزير أرسلان الجديدي وللمولودية الوجدية أحمد عصمان وللوداد الفاسي مولاي احمد العلوى وللفتح الرباطي الأمير مولاي عبد الله ولشباب المسيرة ولد الرشيد ولاتحاد الخميسات محمود عرشان ...

في باب تخلط لعراجم السياسية-الجماعوية، اتضح منذ البداية تداخل قوي بين الكروي السلطوي والحزبي و النقابي. عندما حصل الرجاء البيضاوي على أول لقب لكأس العرش أهداه للمحجوب بن الصديق الأمين العام للاتحاد المغربي للشغل، نظراً لاشغال العديد من المسيرين في الجامعة العمالية لكرة القدم. فضلاً عن استقطاب الخضر لمسيرين ذوي انتتماءات حزبية، كالأمين العام لحزب الشورى والاستقلال عبد الواحد معاش و عدة منشقين عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، على رأسهم المعطي بو عبيد مؤسس حزب الاتحاد الدستوري بمعية العلوى المحمدي و عبد اللطيف السملالي و عبد العزيز المسيوي ...

من جهته، تأسس فريق الوداد الرياضي على يد أقطاب حزب الشورى والاستقلال الذي كان محمد بن جلون من أبرز قياديه بالدار البيضاء، قبل

تناوب الاستقلاليين على تسيير الوداد. بينما فضل عبد الرزاق مكوار البقاء بدون انتماء، اختار الطيب الجوطي المرور من حزب التجمع الوطني للأحرار إلى الحزب الوطني الديمقراطي. الودادي نصر الدين الدبلاني ترأس جماعة أنفا، قبل دخول سعيد الناصري النائب البرلماني "البامي" رئاسة النادي الودادي !.

بصفة عامة، ينقسم المجال الجمعوي المغربي إلى جمعيات ذات المنفعة العامة وجمعيات ذات المنفعة الخاصة. بين المتزلتين، تمكن "المخزن الجمعوي" بمفهومه القديم من انتشار مسؤولين أمنيين على رأس الجامعات الرياضية. على غرار الكوميسير بوبكر جضاهيم (الوداد البيضاوي)، حسن الصغيري، رئيس اللجنة الأولمبية، ادريس البصري (النهضة السطاتية)، عبد اللطيف المسيوي (رجاء بنى ملال)، محمود عرشان (الاتحاد الزموري للخمسات)، مصطفى طارق (حسنية أكادير)، محمد المديوري (الكوكب المراكشي). الجنرال حسني بن سليمان (اللجنة الأولمبية خلال 24 سنة) ...

بالإضافة إلى جمعيات ثقافية جهوية، كانت أو لا تزال على رأسها شخصيات معروفة محليا و نافذة مركزا: كالجمعية الثقافية والإجتماعية لل Shawia (محمد فرات) جمعية المحافظة لإنعاش التنمية بالصويرية (أندري أزولي)، جمعية إيف (عبد الرحمن بوفناس)، جمعية تاونات (محمد طريشة)، الجمعية الإسماعيلية (عمر بن شمشي)، جمعية رباط الفتح (عبد الفتاح فرج)، جمعية الأطلس الكبير (محمد الكنيدري)، جمعية أنكاد (أحمد عصمان)، جمعية أبي رقراق (محمد عواد)، جمعية فاس سايس (محمد القباج)، جمعية أحمد الحنصالي لبني ملال (صلاح الحمزاوي)، الجمعية الثقافية الاجتماعية للبحر المتوسط (المنصوري بن علي)، جمعية المحيط لأصيلا (محمد بن عيسى)، جمعية حوض أسفى (عزيز حسان ثم ادريس بنهمة)، جمعية الدار البيضاء الكبرى (بليوط بوشنوف)، مؤسسة ورزازات الكبرى للتنمية المستدامة (رشدي الشرابي) ...

خلال أيام المعارضة البرلمانية الاتحدية-التعادلية المشتركة، كانت تلك الجمعيات تنتع بـ"جمعيات السهول والأنهار والجبال" لرى النور وفي فمهما ملقة من ذهب"... قبل أن تصير جبيرة بكل احترام وتقدير منذ أن ركبوا قطار "التناوب التوافقي" و أخذوا دورهم في كل حلقات "المسلسل الديمقراطي" !.

#### 46 - تجاذبات لوجيات !

صادفت سنة الاستحقاقات 2015 حصول أكثر من 30 ألف جمعية على 6,4 زهاء 140 مليون درهم يحق التشكك في صرفها الانتخابي. وتتلقى 350 جمعية

بعض المدافعين عن حقوق الإنسان، بحرارة مفرطة صارت أحياناً تقربهم من "برنس حقوق". لا نسمع، إن سمعنا، عن "أنشطتهم" إلا خطباً إنسانية في قاعات مكيفة لفنادق مصنفة، أشكال بيّن فوزها أكثر من تنوع وجوه "الخبراء" و المناضلين القدماء !

و هناك جمعيات مهنية لازالت تعاني من فقر دمقرطتها الداخلية كبعض هيئات أطباء ومحامين أو جمعيات ثقافية، فصاحت أو رُطابت كتابتهم الصحفية ومؤلفاتهم الأدبية كلما ابتعدت أو اقتربت "نوبة" أصدقائهم عن الكراسي الوزارية. على شاكلة اتحاد كتاب المغرب، حين لجا المرشح الوحيد إلى التصويت بلائحة "مخومه"، فارنها أحد الكتاب الناخبين بحالة سكان الصفيح الناخبين بالطرق المعلومة! هذه المنظمة الثقافية ظلت تقدم نفسها بكونها تجتمعاً لكتاب المغاربة يسعى إلى النهوض بالشئون الثقافية في البلاد، تحولت إلى حلبة سياسوية لصراعات حول السلطة الرمزية والمادية بين الاتحاد الاشتراكي و حزب الاستقلال، قبل دخول حزب التقدم والاشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي على خط المنافع.

دائماً بعيداً عن الهاجس التنموي، قريباً من تداخل سياسي بين الحزبي و الجمعوي، ذكر اسماعيل العلوى بأن جمعية "بدائل" المنتهية فعليتها رأت النور في أحضان "مركز عزيز بلال للدراسات والأبحاث" CERAB رئيسها آلت في أولى سنوات عزها إلى عبد العالى بن عمور، بعد مغادرته الديار الاتحادية وقبل حصوله على رئاسة مجلس المنافسة.

دائماً في باب التداخل بين السياسي و الجمعوي، دخلت لطيفة اجبادي "اتحاد الحرية النسوية"، قادمة من "23 مارس" نحو الاتحاد الاشتراكي عبر الحزب الاشتراكي الديمقراطي. كما ترأست خديجة الريادي "الجمعية المغربية لحقوق الإنسان" وهي على "النهج الديمقراطي". و ترأس الاتحاديون يوسف مجاهد، حسن نجمي وأحمد الزايدى النقابة الوطنية للصحافة المغربية، اتحاد كتاب المغرب ونادي الصحافة. كما جمعت "المنظمة المغربية لحقوق الإنسان" بين من قدموها من أحزاب الكتلة، من جاؤوا من التجمع الوطني للأحرار (محمد أوجار، مصطفى إزناسني..) ومن حضروا من المجتمع المدني (عمر عزيزان، المهدى المنجرة...).

كما يعود إنشاء "العصبة المغربية لحقوق الإنسان" لأطر من حزب الاستقلال. و دخل حاملو "المصباح" المجال الحقوقى عبر " منتدى الكرامة" الذي عهد تسييره للبيجيدى عبد العالى حامي الدين، بمعية نيابة الرئاسة لكل من مصطفى الرميد (العدالة والتنمية) وأمين ركالة (البديل الحضاري). مع العلم أن المشاركة الحكومية للعدالة والتنمية لم تمنع لا رئاسة الحكومة ولا الصفة الوزارية ولا العضوية البرلمانية البيجيدية من السير على خطى الحركة الدعوية للتوحيد والإصلاح. 80 في المائة من أعضاء الفريق البرلماني للعدالة و التنمية ينتمون للحركة ، في تنافي صارخ مع الفصل

الدستوري الواضح الذي يمنع "أن تؤسس الأحزاب السياسية على أساس نبئي أو لغوي أو عرقي أو جهوي". و عن الجمع بين النشاط الجماعي الإحساني و الفعل السياسي الانتخابي، تحدث عبد الرحمن اليوسفى، رئيسا للحكومة، لصحفي Le monde diplomatique حول "سبب توجه الناس في الأحياء الشعبية نحو الإسلاميين". كان جوابه : "تبر جوزنا ( nous nous ) sommes embourgeoisés) و قطعنا ارتباطنا بالشعب، فتمكن الإسلاميون من احتلال الأحياء الشعبية ووعدوا سكانها بالجنة دنبا وأخرة". تشخيص لا زالت أغراضه واضحة بتنظيم جمعية العون والإغاثة المقربة من حزب العدالة و التنمية و ذراعه الدعوية حركة التوحيد والإصلاح حملات موسمية تحت شعار "مشروع كرامتي" لفائدة الأسر و الأرامل، تتلقى دعما ماليا من مؤسسات خيرية قطرية و من هيآت "إسلامية" عبر العالم.

#### 47- كوني ناخبه واصمتني!

مر قرن بكماله بين حق تصويت الرجل الفرنسي (سنة 1848) وحق تصويت المرأة الفرنسية (سنة 1944). بينما سارع المغرب إلى توزيع بطاقات الناخبات منذ سنة 1959. ليس بأحسن النيات، لأن 1% فقط يلجن عضوية حزبية، و العديد منهن يشاركن في عمليات انتخابية مشرية. فلا يبقى لغالبية المغلوبات على أمرهن الاقتصادي و على وعيهن السياسي سوى مد اليد لمشتري أصوات من لا صوت لهن.

كأننا نعيش عصر المفكر الفرنسي جان-جان روسو، حين كتب "من الصعب جداً أن تفكك بطريقة نبيلة حينما يكون كل ما تفكك فيه هو لقمة عيشك"، لازالت المرأة المغربية تحتفظ بأعلى نسب الأممية و الهشاشة الاجتماعية المهيأة لأوراق تصويت منعدمة الفناء و المناعة.

مفارات تبلغ الذهنيات، حين قالت إحدى المستمعات أنها لن تشجع المنتخب المغربي في كأس إفريقيا. أجابها منشط راديو مارس: "يا بنت الحاج سيري طيبى و بعدى من المنتخب و ديه فشغالك سيري تفرجي فشوميشة و بعدى من الكورة !" أو حين تخبرنا دراسة ميدانية للمندوبية السامية للتخطيط أن 47% من المستجوبين مقتنعون بأن التشغيل والتعليم ليسا بالضرورة حقين أساسين للمرأة المغربية. بل يرى 77% أن دورها ينحصر في الاهتمام بشؤون البيت والأطفال. ما يعزز تموضع المغرب، حسب تصنيف Global Gender Gap، في الصف 122 بجانب اليمن على سلم المساواة بين الجنسين ! ..

حتى عندما تكون المغربية منتخبة، نادرًا ما تلجم مهام رئاسية. خلال جماعيات 2015، حصلت 12 امرأة فقط على رئاسة مجالس محلية، 10 منها في العالم القروي. و حتى لو بلغت المنتخبة عضوية المكاتب المسيرة، تظل

منحصرة في الشؤون الاجتماعية والثقافية، تاركة التحكم عن قرب فلamarشيات الغالض و في ترخيص اللوتسات و صرف الميزانيات لسعادة الرئيس و رجاله.

لتمكن المرأة من ولوج عشر أعضاء مجلس النواب، لجأ المشرع المغربي إلى وضع قانون على المقاس، من خلال لائحة وطنية تضاف إليها فرص تمرير من يقل أعمارهن عن 40 سنة. لكن غالبا ما تحول هذا الكوطا إلى وراثة عائلية ريعية أقفلت أبواب الترقية الداخلية للأطر الحزبية، برجالها و نسائها، بعد الاكتفاء بممثل العائلة عوض ممثل الأمة ! بين الفينة والأخرى يلاهينوا بالمطالبة بـ"ملكية برلمانية"، كي يخفوا عنا "المملوكية برلمانية" !

نعم، التشبيب سنة الحياة السياسية المحترمة لقواعد التداول و التناوب، لكنه ليس دائماً مجدياً. فالشبيب لا يعني دائماً الشيباني المرغوم على قضاء وقته بين المسجد و الضامنة. ولا الشباب يعني دائماً الحركية الإبداعية الخلاقة. فكم من شايب يشع عقله بالحداثة واستمرار العطاء الفكري، و كم من شاب ظلامي دينياً و دنيوياً. بينما جنرالات، قضاة و فنانون و جامعيون في عطائهم مستمرون. بالمقابل، يحق التساؤل عن دور شباب و شبات الغرف البرلمانية، لا نسمع عنهم شيئاً فعلاً ضد معاناة دور الشباب، زواج القاصرات، تشغيل الأطفال، تغيب الرياضيات المدرسية و الطلبية، بطالة حاملي الدبلومات، ظروف التمدرس في الناطق الهاشمية، الرفقية المدعية "الشرعية" الفوضوية خارج القوانين، إلا إذا كان استيراد عقلية و هابية أقوى من تمثيلية برلمانية و طنية...!

#### 48- لغاتك يا وطني !

يؤكد الدستور أن "العربية تظل اللغة الرسمية للدولة". قبل أن يضيف أن الأمازيغية تعد "أيضاً لغة رسمية للدولة باعتبارها رصيداً مشتركاً لجميع المغاربة". تعبير لا يخلو من ضبابية، لأن من يقول "الوليد عزيز على ووالدة حتى هي، ليس كمن يقول بابا و ماما عزاز على" !

ليبقى الأصعب عند مواجهة الاصطدام بتراثكم أساليب التبليغ، بين عربية لم تعد وحدها رسمية، فرنسيّة ذات هيمنة مستمرة و أمازيغية يراد لها أن تكون "وطنية" رغم تعدد و تنوع لهجاتها الجهوية، بين تشاحنات بسوس و التمازيرغت بالأطلس المتوسط و التريفت بالريف. حيث لا زالت قناة "تمازيرغت" تبث برامجها بالروافد الثلاثة للأمازيغية. في انتظار توحيد اللهجات الذي سيجعل التلميذ المغربي الوحيد في العالم المطالب بتلقي تعليمه بأحرف تيفيناغ أمازيغ، بأبجديات اللغة العربية وبالفونيـalphabet اللغة الفرنسية. هذا إذا لم يعملا بنصيحة لحسن الداودي: "من لا أنجلزية له فليحفر قبره". نصيحة يتبعها أبناء قادة العدالة و التنمية المشكلين جل الطلبة المغاربة المتابعين دراستهم

بتركيا، التي تعتمد جل جامعاتها و معاهدها التدريس باللغة الانجليزية ! و لزيذ الأمور تعقيداً، طالب نور الدين عيوش بدراسة الدارجة العامية، فزكته مقررات تعليمية فتحت صفحاتها لـ "غسيل لعضيمات" ... لنمر بالمنظومة التعليمية من الأزدواجية إلى التعرّيب و من التعرّيب إلى التبغّير ! .

اليوم صار هذا النقاش متجاوزاً أمام أمر واقع، فرض على اللغة العربية معايشة تنافسي لغوية هجينة. ليس فقط باستمرار "العرنسي" (عربية وفرنسية) أو "الأمزارجة" (الأمازيغية المختلطة بالدارجة) ، بل بانتشار "دارنسية" (دارجة مغربية) بلغة تالثة تائهة تحدثنا: " تكونيكتا ، تيري لفلوس بالتيليفون " أو " تابوناو معانا و بارتاجيو " ! عن أية لغة رسمية يتحدثون ، عندما تعرض الصحف الوطنية إشهاراً بأغلظ حروفها يقول : " وضرت لكارطه نيلوكبيها . لقيتها ندييلوكبيها " ؟ .

كالغراب الذي أراد تعلم مشية الحمام، فلا هو أحسن تقليدها ولا هو رجع إلى مشيته، دخل حاملاً البكالوريا المعرفية كليات دراستها بالفرنسية. في مغرب الجامعة غير النافعة المجانية مقابل جامعة تجارية لأصحابها نافعة، تحول التعليم العالي إلى تعليم هابط، و كثر الحديث عن جامعة استباحت فيها التحرشات أو بيع الماستيرات. فاحتل بلد أول جامعة في العالم مؤخرة الترتيب الدولي !

تحولت العديد من الدبلومات إلى استغلال حامليها بمراكز الخدمات الهاتفية وفي السطاجات اللامنتهية. مع محاولات الغش السنوية عند امتحان كل التعليم فيه يهان. تظل الكليات بلا حدود مفتوحة لطلبة كثير منهم "ترانزيت" في دور حضانة الكبار. أزيد من مليار درهم تصرف على طلبة ينقطعون عن الدراسة في كليات الاستقطاب المفتوح، مع استمرار كبان الرملة على إصلاح حالي لإصلاح سابق، في انتظار الإصلاح اللاحق !

عن أية لغة رسمية يتحدثون، بعد دخول "إتش وان إكن وان" قنوات "الطاندونس" tendance لم يبلغه كل كتاب الرأي في ربوع المغرب، بعربيتهم و فرنسيتهم. حتى صار "مول البندير" و "الملاط الطعرية" أكثر إشعاعاً و اعتباراً من مول الدكتوراة، حامل شهادات صار يحمل العماريات. في محيط مجتمعي يفضل من وصلوا بدون اعتبار كيف وصلوا، يفضل فيه المحسول المادي على كل تحصيل علمي، اختارت فيه بعض "النخب" أن تكون أكثر غنى على أن تكون أكثر علماً! يؤكدون فناعة عبد الله العروي بأن "المنفعة تحرّك المجتمع أكثر من الحق".

لو كان لنا محيط ثقافي أكثر شغفاً وتدوقاً و قدرات شرائية أكثر تكريماً و دهنيات مواطنية أكثر كرامة، لتمكن المبدعون من مداخل مشرفة لبيع كتبهم أو من الاستماع لموسيقاهم أو من قراءة مقالاتهم أو من مشاهدة عروضهم أو من التمتع بمباراتهم. ليلي السليماني، الفرنسيّة - المغربية، الحاصلة على جائزة Goncourt الفرنسيّة، تمكنت من بيع آلاف نسخ كتابها. كم كانت

ستتبع هنا لو كانت مغربية - مغربية؟. صرخ المغني العالمي الشهير مونطانا: "كون بقيت فالمغرب كون نبيع لكبال".

كل ما تكتنه مفاهيم إدارية مختلفة من احتقار للفنون التشكيلية يمكن تلخيصه في تحويل لوحة فنية إلى ولوحية تدوسها كراسى المرضى المتحركة بمستشفى الأطفال بحي السوسيي الرياطي. كثيراً ما نسمع عن المطالبة بتجنب تلوث مناخ المال والأعمال من أجل انتعاش الحركية الاستثمارية. لكن قليلاً ما نعرف أنه في إمكان حال المناج السياسي والاقتصادي والمجتمعي الداخلي التأثير سلباً على مستوى أي إبداع فردي في مختلف المجالات، مهما كانت اللغات!.

#### 49- الغلبة بأهلها

الإشكاليات المطروحة ليست فقط لغوية! مهما تنوعت المواقف الديماغوجية، السياسية أو الإسلامية، أو كانت لها أحياناً نبرات انفصالية، لفتنا تخضع لميزان القوى بين اللغات. قدّينا، اعتبر بن خلدون أن "غلبة اللغة بغلة أهلها و إن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم". في كل مناسبة التعبير على فرح الفوز الكروي يرفع الجزائريون شعار "وان تو ثري فيفا لأجيري"، يجمع ثلات لغات ما فيها لا العربية ولا الأمازيغية !

لا يمكن اختزال منظومة التربية والتقوين في إشكالية لغة التدريس. كما أن كل من يكتب بلغة القرآن ليس بالضرورة عربياً. بعد الخلافة الراشدة، أكثر حملة العلم و الفقه أغلبهم أمازيغ (ابن بطوطة، طارق بن زياد...)، أكراد (صلاح الدين الأيوبي...)، من بلاد فارس (الرازي، ابن ماجة، الإمام مسلم)، من أذربيجان (الترمدي، ابن سينا، البخاري) أو تركستان (الفرابي)... لا يكفي إخراج مشروع القانون التنظيمي المتعلق بـ"تحديد مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية و كيفية إدماجها في مجال التعليم و في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية"، إذا كانت كل الإشكالية اللغوية الرسمية متعلقة بأسباب و مسببات بنوية، جهوية وطنية و دولية، تفوق بكثير مجرد إجراءات تنظيمية !

التحدي الحقيقي أمام "رسمية" لا العربية و لا الأمازيغية يوجد في مواجهة هيمنة التفرنس الإداري و طغيان التحدث و الكتابة بلغة مولبير من طرف جل الفاعلين الاقتصاديين و كبار الإداريين. كما يمكن التحدى الحقيقي في ربح معركة المرور من تواصل رقمي 2.0 إلى تواصل اجتماعي 3.0، بل التهيئة لما بلغته البلدان المصنعة من تكنولوجيا 4.0 تمكّن عندهم تلاقي الثورة الصناعية بالثورة الرقمية. إن هذه اللغات الجديدة هي التي تحدد وزتنا الحالي و تموّقنا المستقبلي في ميزان العولمة الاقتصادية و العلمية و الإعلامية و الثقافية . مع التداخلات الاقتصادية-المالية المعمولمة، في إطار

المنظومة الرقمية المهيمنة، صار Algorythme مجرد أرقام و علامات هزمت كل اللغات!

لو كان الفايسبوك دولة لكان البلد الثالث الأكثر سكانا في العالم، ولو كانت "ويكيبديا" كتابا لاحتاجت قراءته 120 عاما. التحدي اليوم هو مدى استعدادنا لكل التحولات المفروضة علينا مهما كانت مواقفنا السياسية الداخلية. أظهرت دراسة حول الفايسبوكين أن مفراداتهم المستعملة لا تتجاوز 600 كلمة وهو ما يعادل ما يحصل عليه طفل بين الرابعة والخامسة من عمره. ادخلوا موقع "يوتوب" و لاحظوا "الطاندونس" المغربي. ستقدون آخر آمالك في قراءة الكتب و الصحافة في بلد يعرف أعلى نسب الأمية و أقل نسب القراءة.

تكاثرت مواقع التواصل، جلها مساندة يومية لانحطاط الفكرى، الثرثرة و النميمة الرقمية و تمييع الوعي المواطنى، بنشر مواضيع بنية الشكل، يائسة العمق، تمييعية حرية التعبير. بل حولت السعاية الإلكترونية موقع التواصل الاجتماعى إلى وسيلة للاستجادة. بدءا بتفادي تحويل تواصل اجتماعى إلى تشهير و تشكي و تغليط و نكایة و تكليخ... هوائف يسمونها "ذكية" توزع ملايين SMS تخرق يوميا قوانين الإملاء و النحو.

كتب أمبرطو إيكو أن "موقع التواصل الاجتماعى تمنح حق الكلام لفياق من الحمقى، ومن كانوا يتكلمون في المقاهي، دون أن يتسبوا في أي ضرر للمجتمع، وكان يتم إسكاتهم فوراً أما الآن فلهم الحق بالكلام مثلهم مثل من يحمل جائزة نوبل. إنه غزو البلهاء".

رغم كل ذلك، تكشف بعض مواقع التواصل الاجتماعى بعض أوجه الفساد، تعرى بعض سلوكيات التعنيف و السمية بدون محاسبة. إذ أثبتت الأحداث أن الرأى العام الافتراضي بات يلعب دورا محوريا في مختلف المجالات. فصناعة الرأى أو على الأقل التأثير عليه لم تعد حكرا على الصحافة أو التلفزة، بل منح الفايسبوك و اليوتوب حرية التعبير و التعليق و كشف مكامن الخل. من خلال التعبير عن مواقف و آراء و انتقادات و اقتراحات تمكن الفاعلية المواطنية من منافسة وساطة أحزاب غير قادرة على الاستجابة لمطالبة دستورية بتأطير المواطنين و تكوينهم السياسي و تعزيز انحرافاتهم في الحياة الوطنية..."!

على أمل أن تتحول التواصلية التشاركية/اليوتوبية إلى شكل جديد من بناء ديمقراطي تعذر عن الفعل الحزبوي الحالى، و عسى أن تصير الفيديوغرافية *vidéocratie* البرطاجية أوسع و أنجع من وعود شعبوية لم تخرج عن ديماغوجية شعبوية فارغة، أو لا تزال متشبتة بهروب من أمام إشكاليات ساطعة لا يمكن الاكتفاء لحجبها عن المكوينين بها بغربال الحديث السطحي عن "العدميين" أو عن "التيئيس". أمام هول تقارير مؤسسات رسمية، وطنية و أجنبية، أين يبدأ النقد البناء و دق ناقوس الخطر؟ و أين تنتهي تبريرات الانتظارية و التلاؤ و المظلومية؟

## XII **التواصل ما واصلش !**

أكـ العالم الاقتصادي الهنـدي، الحائز عـى جائـزة نـوبل، "أنـ بلـدا يـنظم انتـخـابـات دـوريـة، لـه مـعـارـضـة فـعـالـة و صـحـافـة حـرـة مـتـبـعـة لـكـلـ الـخـيـارات الـحـكـومـيـة، لاـ يـمـكـن أنـ تـصـلـه الـمـجـاعـة". كـما لـن تـجـوـع أـدـمـغـة تـتـغـذـى مـن تـمـرـير الـمـعـلـومـات بـيـنـ كـلـ الـفـاعـلـينـ، نـحـوـ كـلـ الـمـوـاـطـنـينـ، بـدـونـ جـفـافـ الـحـوـارـاتـ وـ لـاـ عـطـشـ التـحـلـيلـاتـ. فـالـعـلـمـ السـيـاسـيـ، لـيـمـرـ إـلـىـ خـيـرـ الـمـجـالـ الـاـقـتـصـادـيـ وـ حـسـنـ الـمـالـ الـاجـتمـاعـيـ، لـاـ يـعـنيـ قـطـ مـهـارـةـ الفـعـلـ savoir-faireـ بـلـ قـدـرـةـ الـفـاعـلـ faire-savoirـ !ـ علىـ التـوـاـصـلـ حـولـ مـفـعـولـهـ

### **50 - مـوـلـ الشـكـارـةـ**

"لاـ تـمـدـحـواـ أـنـسـكـمـ، اـبـحـثـواـ عـنـ الـذـيـ يـفـعـلـهـ لـحـسـابـكـمـ" !ـ هـكـذاـ يـنـصـحـ مـارـسـيلـ أـشـارـ Marcel Achardـ منـ يـتـسـترـواـ عـنـ فـسـادـ اـجـتمـاعـيـ، أـخـلـاقـيـ، سـيـاسـيـ، مـالـيـ أوـ إـدـارـيـ وـرـاءـ تـلـمـيعـ صـورـتـهـمـ الـفـاسـدـةـ. كـلـمـاـ لـجـزـواـ، وـرـاءـ أـقـلـامـ مـسـخـرـةـ، لـإـخـفـاءـ حـكـامـةـ مـخـدوـعـةـ أوـ مـعـارـضـةـ مـغـلوـظـةـ، أوـ مـقاـوـلـةـ مـتـحـاـيـلـةـ عـلـىـ مـنـافـسـةـ تـتـغـذـىـ أـرـبـاحـهاـ مـنـ هـشـاشـةـ أـجـرـيـةـ.

صـرـحـ الرـئـيـسـ الـأـمـرـيـكـيـ جـيـفـرـسـونـ :ـ "لـوـ خـيـرـتـ بـيـنـ حـكـومـةـ بـدـونـ صـحـافـةـ أـوـ صـحـافـةـ بـدـونـ حـكـومـةـ لـاـخـرـتـ الـحلـ الثـانـيـ"ـ. ضـمـانـ حـرـيةـ الرـأـيـ يـؤـمـنـ مـمارـسـةـ باـقـيـ الـحـرـيـاتـ، شـرـيـطـةـ اـحـتـرـامـ الصـحـافـةـ لـقـوـانـينـ الـلـعـبـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ التـنـوـيـرـيـةـ، بـعـيـداـ عـنـ مـاـلـيـنـ الشـكـارـةـ الـمـشـغـلـيـنـ بـبـعـيـعـ أـوـسـعـ فـضـاءـاتـ إـشـهـارـيـةـ، بـتـغـيـيـبـ أـعـدـةـ التـعـبـيرـ عـنـ شـرـوـطـ التـغـيـيرـ.

فيـ المـاـضـيـ، حـاـوـلـ عـبـدـ الـكـرـيـمـ غـلـابـ (ـمـديـراـ آـنـذاـكـ لـلـيـوـمـيـةـ الـاستـقلـالـيـةـ "ـالـعـلـمـ")ـ تـقـسـيمـ مـخـفـقـ الـمـنـابـرـ الـمـكـتـوـبـةـ إـلـىـ "ـصـحـافـةـ الـمـقاـوـلـةـ الـخـاصـةـ"ـ وـ "ـصـحـافـةـ الرـأـيـ"ـ. تـقـسـيمـ فـيـهـ كـثـيـرـ مـنـ التـغـلـيطـ، يـدـعـىـ عـدـمـ تـمـكـنـ الـأـولـىـ مـنـ سـدـادـ الرـأـيـ الـمـقـتـصـرـ عـلـىـ الـإـنـتـمـاءـ الـحـزـبـيـ، وـ يـعـفـيـ تـدـبـirـ الـثـانـيـةـ مـنـ الـجـدـيـةـ الـمـحـاسـبـاتـيـةـ. إـذـ اـعـرـفـ عـابـدـ الـجـابـريـ فـيـ مـذـكـرـاتـهـ (ـحـولـ مـسـؤـلـيـاتـهـ السـابـقـةـ عـنـ الصـحـافـةـ الـحـزـبـيـةـ الـاـتـحـادـيـةـ)ـ بـعـدـ عـلـمـهـ بـالـمـسـاـمـهـ الـمـالـيـةـ لـصـحـافـةـ الـحـزـبـ فـيـ شـرـكـةـ التـوزـيعـ، كـمـاـ عـبـرـ عـنـ اـنـدـهـاشـهـ لـمـسـؤـلـيـنـ حـزـبـيـنـ يـحـصـلـونـ بـاـنـتـظـامـ عـلـىـ أـمـوـالـ مـدـفـوعـةـ مـنـ حـسـابـ الـجـرـانـدـ الـاشـتـراكـيـةـ.

بـلـ قـدـ تـشـارـكـ الصـحـافـةـ الـحـزـبـيـةـ فـيـ إـخـفـاءـ مـعـالـمـ جـرـيـمةـ عـدـمـ اـسـتـقلـالـيـةـ مـنـ جـلـوـهـاـ لـسـانـ حـزـبـهـ. فـيـ مـذـكـرـاتـهـ الـنـقـابـيـةـ وـ الـحـزـبـيـةـ (ـنـشـرـتـهـ صـحـيفـةـ

وطنية)، يحكى الطيب منشيد عن اعتراف ادريس بنهمة، وزير الداخلية، في منزله أمام بعض قياديي الاتحاد الاشتراكي: "إن من غرائب ما يجري بهذا البلد أن بعض زعماء الأحزاب خلال الانتخابات كانوا يقصدون بيته ليلا لإبداء الرغبة في فوز بعض مرشحיהם، لتندد صحفهم في اليوم التالي بتدخل الداخلية في الانتخابات". لماذا لم نقرأ عند كتاب المذكرات نفدا ذاتيا عن زمن رئاسة زعيمائهم لصحف لسان حال أحزابهم "التقدمية"، حول قبولهم دخول حكومة بين أعضاءها وزير دولة جمع بين الداخلية والإعلام، صارت معه القوات السمعية البصرية بصرية إسما على مسمى؟

كما استحال توضيح الخط التحريري الفارق بين المالك و المنتوج الصنفي. حين كان المفهوم القديم "للمخزن الاقتصادي" سباقا إلى مراقبة المجال الإعلامي منذ أربعينيات القرن الماضي، وضع الباشا الكلاوي رجالا في السلطة ورجالا في الأنشطة الاقتصادية والإعلامية من خلال مراقبة مالية لأربعة جرائد يومية : La Vigie marocaine ; Le Petit marocain ; le Courier du Maroc ; Les Echos du Maroc.

كشف تحقيق أجزته المنظمة الدولية مراسلون بلا حدود حول "من يمسك وسائل الإعلام في المغرب؟" أن 5 من أصل 9 إصدارات بالفرنسية تضم بين مسيريها رجال أعمال، منهم وزير و زعيم حزب. و تشير الدراسة إلى أن 16 مقاولة من أصل 40 لا تكشف رقم معاملاتها والمساهمين فيها ونسبة المشاركة في رأس مالها! يؤثر "زعيم" حزبي في تطورات الساحة السياسية الحكومية، و في السياسة التوزيعية الطاقية (عبر أفريقياغاز) والهاتفية (عبر ميديتل) والصحفية عبر مجموعة Caractères التي تنشر أسبوعية اقتصادية. هذا لا يعني أن الصحافة غير الحزبية ضامنة ل الكامل الاستقلالية. حين تكون واضحة التعاطف مع حاملي قبعتي الحزبية - الباطرونية، لا تفرق أعمدتها بين المقال الإخباري و الريبورتاج الإشهاري (publi-reportage). و إذ يصيّب عدم استقلالية الصحيفة صحافيها، يحكى ياسين الزيري عن مهرجان نظم بإحدى المدن المغربية انتهى بتوزيع 60 غلافا ماليا على المكلفين بالتغطية الإعلامية. أربعة منهم فقط رفضوا الاحتفاظ به، الباقيون فضلو تزكية من قال : "عند استحالة شراء صحيفة، يمكن شراء صحفيها". قبل مغادرة وزارة الاتصال، أهدى مصطفى الخلي شيكا سميّا تم توزيعه عبر النقابة على الصحفيين. ما دفع محللا إلى التساؤل عن "تقدير هذه الهبة مع اقتراب نهاية ولايته الحكومية، إلا إذا كان يبحث عن شراء رضى المهنيين أو نفاقهم في أفضل الحالات".

تحدث صحف كثيرة عن تقشّي الفساد السياسي والأخلاقي والمالي، لكنها لا تخبر قراءها أن ترانسبرانسي تضع بعض وسائل الإعلام بين القطاعات الأكثر افتتاحا على الرشوة، إلى جانب الإدارة والقضاء والصحة والأحزاب السياسية والأجهزة الأمنية... في بعض الحالات يؤدي التدخل

المصلحي بين مؤسسات صحفية و مجموعات تجارية إلى زواج متعة إعلامية - سياسوية ريعية. عندما تساعد بعض الأقلام تبرير سلاسة مرور المال نحو السلطة، وسلامة المرور من السلطة إلى المال!

استحواذ 9 صحفية على نصف الموارد الإشهارية لا يعود دائماً إلى معيار التوزيع و الانتشار، بل هناك يوميات و أسبوعيات حرمت من الإشهار لأنها "تجرأت" على مستشهرين لم يرقهم الإخبار حول ما لا يرام. ليدفع الخوف من الأحكام القضائية و انقطاع الدعم و الإعلانات إلى رقابة ذاتية ليست أقل تقصيضاً من مقص رقابة مباشرة. ما دفع إحدى الجرائد اليومية، ربما لتفادي الإفلاس تحت نيران ضربات الأحكام القضائية، إلى إفراط في الحذر، تحول إلى إفراط في نقد يومي لحزب معين و ذكر وزير- زعيم حزب معين فقط بمناسبة أنشطته الدائمة الإيجابية!

تحت المحل الصحفي سليمان الريسيوني عن "الشuttle في استعمال شباط"، مذكراً تسلقه الهيمني على الحزب و نقابته، اتهم خلاله مسؤولين في الدولة و الأحزاب بالاتجار في المخدرات و آخرين باللواء و وصف قضاة المجلس الأعلى للحسابات بالإرهابيين و نعت قاضية بالانحلال الأخلاقي و رئيس نادي القضاة بالكذب و رئيس حكومة بالداعشي و العميل للموساد... لكن لا أحد حرك ساكناً قضائياً و لا طلب ملابسين أو درهماً رمزاً. تخيلوا ماذا كانت ردة فعلهم لو صدر مثل هذا الكلام عن منابر صحافية!

تستفيد عدة صحف مغربية من إمدادات عمومية سنوية. لكن التراجع المستمر للمشاركة الانتخابية، وهجرة القراء نحو المنابر و القنوات الإلكترونية ، حولاً إنقاذ الصحافة الحزبية من موت محقق و مستحق إلى إنفاق من المال العام منعدم الآثار على الرأي العام ! ليصير المستشر لهم من القاريء، و تعيش عدة عناوين يومية أو أسبوعية على المساعدات العمومية لتبرير ضعف أجور صحفييها.

## 51- الغفلة ما بين البابع و الشاري

التخلف المعيشي، المرافق لفراغ الوعي السياسي، يتبع شراء أقل من عشر نسخ صحيفة يومية لكل ألف ساكن. جل المسؤولين الحزبيين يصدرون جرائد مرجوئاتها أكثر من مبيعاتها، يعلمون أن "أحسن" الناخبين هم أفقهم و أبعدهم عن التوعية و القراءة، في إطار الغفلة ما بين البابع و الشاري.

تمكنـت "الحركة" (سان الحركة الوطنية الشعبية) من الصدور أسبوعياً بطاقم لا يتعدى أربعة صحفيين. كما لجأت، قبل زوالها، يومية التجمع الوطني للأحرار إلى كتاب السطر (pigiste) بدل كتاب الرأي. ولم يغفر الاتحاديون المدافعون عن حرية الرأي ليونس مجاهد تجرؤه على انتقاد بعض أوجه

"إصلاح" قانون الصحافة من طرف حكومة عبد الرحمن اليوسفي، فعمدت إدارة اليومية الاتحادية إلى قطع "شهرية" التعويض على مقالاته. في نفس سوء السياق، أوقف مدير رسالة الأمة مقالاتي لأن أكبر البارونات الحزبية اعتبر مسؤوليتي كمنسق إقليمي لم تحميه من رسوبه في كل الاستحقاقات المتواترة! في إطار تعاوني مع أسبوعية LE REPORTER كتبت عن رئيس مدیر عام أسبق للفرض العقاري و السياحي. طلب رأسي فكان له ما أراد. ما يقدمه من إشهار جعل طلبه فوق كل اعتبار!

شهد العالم كيف تمكّن صحفيان أمريكيان من إنقاذ محكومين بالإعدام. كما دفع آخرون رئيس الولايات المتحدة إلى تقديم استقالته بعد فضيحة (Watergate). وأدى ما نشرته الأسبوعية le canard enchainé إلى منع فرنسوا فيون من المشاركة في الانتخابات الرئاسية الفرنسية.

في المغرب، عدة مقالات تتباينا عناوينها البارزة باقتراب سقوط مسؤولين كبار. لكن سرعان ما كيصغار لخبر ليطويه النسيان ويبقى الكبار في مناصبهم كبارا. عندما تخصص صحف أو مجلات مغربية مواضيع استقصائية معقّدة، قليلاً ما نسمع بعد نشرها عن تكذيب أو متابعة. لأن يتم إخبار المغاربة بثروة آل شباط بحجج تسجيلها بالمحافظة العقارية ثم يطويها النسيان، بدون تعليق من طرف حزب رفع شعار "من أين لك هذا؟". يتساءل عبد المجيد الفاسي، نجل عباس الفاسي وأخ زوجة الأمين العام: "كيف نريد أن نستقطب الشباب وأن نفتح المجال للطاقات الشابة بينما بعض الأحزاب تقدم الحماية الكاملة للمفسدين داخلها". لم يقل لنا هل يضع حزب الأرب و الصهر بين هذا "البعض" !

## 52 - بوکو کلام

الضبابية تخدم مصالح كل رافض للشفافية، ليبقى بعيداً عن الأعين، لا يعنيه ابتعادهم عن القلوب. ما دام لا يهمه من لا يصوت له بل من يهيم في حلوة وعوده و محتوى جيوبه! شعبوية! تقول ما نريده كي يفعلوا بنا ما يريدون. الشعبوية يمكن أن تكون يمينية أو يسارية أو تعيش على أنقاض كل منها . فهي، على غرار الديماغوجية، ليست إيديولوجية. الاثنان فقط وسيلة لتلوين غلاف العرض الخطابي، لعدم الكشف عن الفراغ الإصلاحي! كل ما يحتويه سوء التواصل من تحريف للحقائق، نجده في نصيحة لينين (Lenine): "قولوا لهم ما يريدون سمعاه!". و كل ما يبقى من الوعود الانتخابية يؤكّد مقوله بسمارك: "يكثر الكذب قبل الانتخابات، خلال الحرب وبعد الصيد" !

نصح عبد الإله بنكريان كل عاجز على شراء الياغورت بصنع الرايب المنزلي. كما نصح المغاربة بان يتركوا سياراتهم لاستعمال حافلات النقل

العمومي ، إذا تضاعفوا من ارتفاع أسعار المحروقات. و أعلن لحسن الداودي أن الحل لرفع الدعم عن السكر للمساكين يكمن في استهلاك القالب ! الوزير الاستقلالي الأسبق، في "التربية الوطنية" يا حسراة، نصح تلميذة في السلك الابتدائي بالزواج، "تشجيعاً" منه للهدر المدرسي . كما ضرب محمد يتيم رقمًا قياسيًا في السفريات البرلمانية وتفوّاج الخطيبة في مدينة الأنوار الفرنسية، بعدها كان يدعى من عجزوا عن الذهاب للعطلة بـ"القيام بأسفار في نواхِلهم!"

تحول التصريح الحكومي الداعي إلى "الحرص على التواصل مع الرأي العام" إلى صنع "الملوى" المنزلي بمن يطالب بحماية مستوى المعيش... كما سمعنا عن "التماسيخ" و"العفاريت" كلما حاولت رئاسة الحكومة تبرير تعثرها وتباطؤها وتلاؤها و انعدام تناصفها بعوائق تراها وحدها في "المغرب عميق" يبلغ عمقه مسافة هروبهم إلى الأمام، مع بوكو كلام.

أما قدرات الحكومة على التواصل مع الشباب، فهي شبه منعدمة. حين تعلّلت أصوات جماهير فريق الرجاء البيضاوي لتردد "فيلا دي ظلموني" ، لمن نحّي حالي؟ الشكوى للرب العالى، غير هو اللي داري، فهاد البلد عايشين فغمامة، طالبين السلامه ... ، كان جواب الناطق الرسمي الحكومي: "هذا أمر مرفوض!" أو من بعد؟

يظهر OPEN BUDGET INDEX أن قانون المالية لا يقدم إلا 17% من المعلومات الدقيقة. بل 70% بين "ممثلى الأمة" يعترفون بصعوبة ولو جهّم للوثائق والمعطيات الضرورية لمراقبة كل الأنشطة المالية الحكومية ! كيف الوصول إلى المعلومة عندما تغيب حتى على نواب الأمة؟ مع العلم أن الحصول على المعلومة قد يغير مجرى التاريخ! يوم 18 يونيو 1855 ، انتقل من بلجيكا إلى لندن خبر هزيمة نابليون في معركة واترلو. قبل بلوغ الخبر الرسمي للديوان الملكي البريطاني، نمكّن البنكي روتشلد من تحقيق أرباح خيالية في سوق البورصة بسبب استغلاله للخبر العاجل قبل منافسيه !

عندنا، بينما يصيب ضعف أو غياب التواصل عامة المواطنين، تصل الفتنة القليلة من أصحاب الوقت إلى المعلومة المربيحة. كثير من المنتخبين يتذنبون عناء التواصل، أغلبهم يعلمون أن صوت لصالحهم لا ينتظرون كلامهم، بل يتمنى لهم المزيد من الفوائد الربيعية عسى أن يقاتوا من فتاتها. حتى بلغ دس كرامتهم دس بعضهم البعض من أجل قفة رمضانية لا يتعذر محتواها ضمان "الخبر و تاي " لبضعة أيام. بعد "شهداء الكوميره" (كما سماهم إدريس البصري) لازال بيننا "شهداء المعاونة" !

## 53- لم تدفوا الماضي !

اعترف أحد موظفي الغرفتين أنه "عادة ما نحرر سؤالاً شفهياً قبل أن

نبحث بين الفرق عن الذين يريدون تقديمها باسمائهم". أما التواصل خارج القبة فغالباً ما ينحصر عند "الزعماء" في ذكر ماضي ما دفنه، يحركه، رغم مرور أكثر من نصف قرن على انتهاء صلاحيته التاريخية، كلما تحرك ربع "حركة وطنية" محتركة "بن يوسف إلى عرشه"، متذكرة لما ضحى به الشعب بأكمله.

بعد رحيل الحسن الثاني، تكاثرت إصدارات المذكرات، اقتصرت "منهجية" بعضها على ما يرضي تبرير الوضع الحالي، بعد مرور الكرام على أحداث يخونها عن الأجيال الصاعدة. صدرت مذكرات محمد الفقيه البصري، تلتها تصريحات محمد بنقدور حول حقائب الدولارات التي ادعى تقديمها للفقيه عند بداية ستينيات القرن الماضي، ثم مذكرات بعض سجناء تزمامارت وقلعة مكونة ودرب مولاي الشريف ودار المقربي وجنان البركة ودار الريسيوني ... وصولاً إلى مذكرات عبد الرحيم بوغبيد، عبد الرحمن اليوسفي، عبد الواحد الراضي، محمد اليازغي... في كل مذكراتهم، لا اليازغي ولا الراضي ولا اليوسفي أشاروا إلى حقائق أكدتها كتب المرحوم زكي مبارك، حول "الركوب" على المقاومة والتذكر لجيش التحرير.

ينصح الزعيم البريطاني وينستون تشرشل "بلداً يريد استكشاف مستقبله بالرجوع إلى ماضيه". شريطة تفادى انتقاء ما يخدمهم في حاضرهم ومستقبل ذويهم! يرى كاتب الرأي يونس جنوح أن "مذكرات أيت يدر على قدر كبير من الشجاعة، و هو يسرد مضامين الاجتماعات المغلقة لحزب الاستقلال خلال سنوات الخمسينيات، وكيف كان الملك محمد الخامس يحضر إلى منزل الوزير الأول بلا فريح و يتحدث بعفوية رفقة ولی العهد مع قيادي حزب الاستقلال، و كيف كان أصحاب الحسنات ينقلون إليه ما يعبر عنه المهدى بن بركة و علال الفاسي من آراء تكشف كيف أن قيادة الاستقلال كانت تلعب على حبلين و تقول شفهياً ما لا تكتبه. و ربما تكون المرة الأولى التي يكتب فيها أحد من قيادات جيش التحرير و قدماء الذين نسقوا مع حزب الاستقلال، قبل الانشقاق التاريخي عن المواقف المعاشرة للملكية، و التي كان يتبناها قادة حزب الاستقلال، بل و يفاوضون بها القصر على تشكيل الحكومات وتوزيع الحقائب الوزارية".

في كتابه "أبطال بدون مجده" (Héros sans gloire)، تحدث المهدى بنونة عن عصابات المكونة من بضع مسلحين موزعين بين مدن القنيطرة و كلميم و فكيك و تينغير. بعدهما حاولوا تجييش سكان قرويين لقلب النظام سنة 1973، تم القضاء عليهم بسهولة قاتلة خلال أسبوعين معدودة. دون أن يذكرهم أصحاب "اليسار"، بعدما دخلوا الديار البصرية أمنين، سالمين غانمين بمناصب حكومية أو دبلوماسية أو رئاسية لمؤسسات عمومية. تغييبهم في كل مذكراتهم لكل نقد ذاتي أو هم الأجيال الصاعدة أن مغرب أولى سنوات الاستقلال انقسم بين الخير والشر: شر مخزن الحسن الثاني الذي له سنوات

الرصاص و خير كل من يحشر ماضيه عي "حركة وطنية" لا تزيد ولا تخطط للمغاربة إلا الديمocratique و التنمية! لم يكن أبدا كل الخطأ في ضفة كل الصواب في ضفة أخرى!

لا أحد يمكنه إن يمسح من الذاكرة المغربية أحداث الريف (أكتوبر 1958) ومقاطعة المجلس الاستشاري (أبريل 1959) وحل الحزب الشيوعي (فبراير 1960) وإلقاء القبض على قيادي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية عبد الرحمن اليوسفي ومحمد الفقيه البصري (فبراير 1960) وعلى مسيري حزب الاستقلال (يونيو 1963)، والحكم الغيابي بالإعدام على المهدى بنبركة وحميد برادة رئيس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (نوفمبر 1963) وإعلان حالة الاستثناء (يونيو 1965) ...

لكن ليس لأحد الحق في الاستحواذ الريعي، الحزبي، العشائري أو العائلي، على "رصيد تاريخي" صنعه كل المغاربة. كما لا يحق ربط كل "سنوات الرصاص" بحكم الحسن الثاني. لأن تلك السنوات ارتبطت كذلك بماسي دار بريشة التي عانى فيها، من سنة 1956 إلى سنة 1960، مقاومون سابقون منتمون إلى حزب الشورى والاستقلال، على يد محسوبين على حزب الاستقلال. كما كانت معارضة مسلحة سرية اتحادية حملت اسم "التنظيم"، أدخلت عناصر انطلاقا من التراب الليبي من أجل صنع أسلحة حرب أهلية.

بمناسبة الذكرى الخمسينية لاختفاء المهدى بن بركة، فرأى عبد الرحمن اليوسفي رسالة ملكية موجهة بالمناسبة، تذكر بأن "البلدان تبني كل تاريخها بخيره وشره" وأن "المهدى بن بركة دخل التاريخ الذي يشكل ذاكرة كل المغاربة". ما يعني أن المساهمة في الحركة الوطنية أو الانتماء كوجه سياسي من تاريخ ما بعد الاستقلال لم يعد ريعا يحسب للبعض على حساب البعض الآخر. تاريخ المغرب كتبه و يكتبه كل المغاربة، عسى أن يستفيد كل المغاربة من عطاء حسناته و من تجارب سيناته. حان الوقت لطي صفحات قراءة مسخرة لفنات معينة !

#### 54- الغرق المحتوم

قرأت في بداية السبعينيات اليومية الاتحادية Maghreb Informations كانت تطبع في "أمريجيم" التابعة لاتحاد المغربي للشغل. جاء على كل عرضها عنوان بارز بأغلظ الحروف السوداء: "Le Maroc chavire" ، في تشبيه سوداوي للمغرب بباقية تائهه يهددها الغرق المحتوم! دارت الأيام و لا زال المغرب فوق الماء. فهمت، بعدما عشت و عايشت، عاينت و عانيت، درست و درست، فهمت أن المغرب ما بعد الاستقلال لم يكن "سفينة تائهه على و شك الغرق". تأكيدا لهذه القناعة، تعود بي اليومن الذاكرة إلى مرحلة ما بين الستينيات و السبعينيات. كان أبي عاملا ضمن من هاجروا

من طنجة، مسقط رأسهم، إلى الدار البيضاء مع رحيل شركة التبغ من مدينة البوغاز إلى العاصمة الاقتصادية. اكترى مسكنًا بدرّب ليهودي، ثم استطاع بناء منزل صغير بحي بحر الـ "القراء". وحيث لم يكن المغرب يعرف تعليماً طبيقياً تجاريّاً، مكتنّتني أجرة والدي من ولوج المدرسة الخصوصية محمد بن يوسف بدرّب السلطان. وفي خضم "أحداث 65" استطاع أن يرحل بعائلتي إلى فيلا صغيرة بحي بولو. بل مكتنّتني أجرته من عدم بيع المنزل الذي بناه خلال فترة الاستعمار، وضعه رهن الكراء.

فعل أبي كل هذا خلال "سنوات الرصاص" التي لم تكن لها في الواقع أسباب اقتصادية واجتماعية بقدر ما كانت سياسوية تدور رحى حروبها حول اقتناص الفرص السلطوية في مواجهة حزبويّة مع المؤسسة السلطانية. بعيداً عن بلورة مناهج تنموية إصلاحية مندمجة تهم كل الفئات و الجماعات المغاربيّة. فهل اليوم، بعد تداول التعادلية والاشتراكية والشيوعية واللبرالية والإسلاموية على حكومات و برلمانات متواالية، مع أحزاب و نقابات تفريخية، هل هناك مستخدم بمعلم يمكن إبنه من الدراسة الابتدائية في مدرسة خصوصية و يبني فيلا دون أن يضطر طلي بيع منزله القديم؟

خلال السبعينيات، في المغرب قدموه "على وشك الغرق"، تمكنت من الحصول على البكالوريا في ثانوية الخوارزمي، بمعية زملاء أكثرهم صاروا أطباء، مهندسين، صيدليّين، أساتذة جامعيّين... كانوا مسجلين في كل ما يريدون خلافاً للمحالين اليوم على "الكونكورات أو الدخول للكليات" "روض الكبار" في انتظار سوق تشغيل يتراجع كل نهار. حتى معدل 18 على 20 ماقبات فيه بركة الولوج إلى مؤسسات الولوج المحدود!

و عند بداية السبعينيات، في أوج الانقلابات، خلال دراستي لنيل الإجازة في العلوم الاقتصادية، كان تأجيل كل الامتحانات لدورات شتتير بسبب توالي الإضرابات. لم تكن لها أية علاقة بمحتوى التكوين أو مستوى التحصيل. لأنني لمأشعر بضعف تعليمي المغربي بعد رحيلي إلى جامعة إكس-مارسيليا للحصول على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد التطبيقي.

و عندما كان المغرب "يغرق" فقط في افتتاحيات العلم و "تحرير" الاتحاد الاشتراكي و "بيان" الحزب الشيوعي، تمكنت من الحصول على العمل في بعض أسابيع. اخترت الفرض العقاري و السياحي، من بين عدة عروض، و صرت فيه رئيساً لمصلحة الدراسات و التوثيق بعد أقل من سنة. كاتبت الرئيس المدير العام لتمكيني من متابعة الدراسة في الخارج فأعطي موافقته لكي أحصل على كل راتبي في فرنسا. هل يمكن اليوم الحصول على مثل هذه الفرص، و نحن لسنا في سنوات "الجمّر و الرصاص"؟ بل في سنوات "انتقالهم الديمقراطي" نحو التبلاص البرلماني و التوظيفي العائلي و الحزبوي و النقابي؟

على مداخل كحولية سخية، و نجح "الاشتراكي" فرانسوا هولندي في الرئاسية الفرنسية بخطاب إعلان عداوته للوبي المالي"، ثم عين وزيرًا للمالية قادم من بنك روتشيلد ليصبح رئيساً بعده للدولة الفرنسية. ليتضح في آخر المطاف أن قرنيين من الإيديولوجيات الغوغائية انتهت بالاعتراف بأن لكل مجتمع تناقضاته وله واسع النظر في استغلال خصوصياته، شريطة تفادى توجيه خيراتها لأقلية متذكرة لكل الفئات الشعبية و كل المناطق الترابية، قد يزلازل تهورها الانهاري كيان التوازن الاجتماعي.

يحكى الفيلسوف الفرنسي Jean-François Revel: " هناك من يعتقد أن رجلاً مشى يوماً فوق الماء، حاول فعل ذلك ستغرق لا محالة! لكن غرقك لن يقنع الدغمانى اليماغوجى، بل سيحاول إقناعك أن غرقك مسألة "صابو طاج" خارجي، ليستمر في اعتقاده أنه بالإمكان المشي فوق الماء". و يبقى سجين قناعته بأن الواقع، حتى لو كتبه، دائمًا هو الخاطيء.

خاض المغرب تجربة الدولة المقاولة، المالكة للوسائل الإنتاجية الاستراتيجية. تبعتها "مغربة" السبعينيات، ثم "خوصصة" الثمانينيات والتسعينيات. قبل أن يأخذ الاقتصاد المغربي، دستوريًا، سبيل "المنافسة والملكية الخاصة"، من الخطاب السياسي المعارض من يسارية متطرفة، ماركسية - لينية، ماوية، بل تروتسكية، إلى اشتراكية وعدت باصلاح أوضاع القوات الشعبية، فتعادلية استقلالية، خطاب شعبي، إسلاموي، صار أكثر ليبرالية من الليبرالية تجاه المعاش و المقاصة و التوظيف و كثرة الأجر و تحرير المواد البترولية ...

ادعى دعاة "التعادلية الاستقلالية" توزيع ثروات قبل إنتاجها، بشعارات تضمن "الأرض لمن يحرثها". بجانب من أحالوا تدبير الصناعة على "الطبقة البروليتارية"، في مغرب الأممية، لم يكن قد خرج من منظومة اقتصادية اجتماعية قبلية، شبه فيودالية. وصولاً إلى "حكومة التغيير" التوافقية، تذكرت للأطر المعطلة، بعدما علمواهم خلال سنوات المعارضة انتظار التشغيل من سياسة اقتصادية اشتراكية، مالكة لمؤسسات عمومية و خدمانية تشغيلية، تحولوا إلى أكبر مخُوصصيها.

## 57- بين القرآن والفريكو

خرج الرأسمال رابحاً من كل الثورات الاجتماعية، منتبراً على كل المحاولات المنظومة البديلة، بعدها تفوق طلب المال على عرض العمال. لأن الهدف الأساسي لذوي الرأس المال هو خلق الأرباح لا خلق فرص الشغل الممكن تقليلها عند كل أزمة مالية أو استجابة لعولمة كاسحة. فصارت المنظومة الرأسمالية، ميكرواقتصادياً، مهتمة أولاً بتوازنات الأسواق المالية و لو على حساب التوازنات الأجريبية، و مايكرواقتصادياً، مهتمة أولاً بتوازنات المعرفية

العامة ولو على حساب التوازنات الاجتماعية وال المجالية.

النمو الاقتصادي يعبر عن الزيادة في نوعية الموارد، في قيمة السلع وخدمات التي تنتجهما القطاعات المختلفة، في كميتها أو كفيتها التكنولوجية. أما التنمية فهي تزيد في مستويات المعيشة وتحسين احتياجات احترام الذات والتحرر من التهميش الاجتماعي والمجالي، وتقاس من خلال معدلات القراءة والكتابة وشفافية المنافسة الاقتصادية والسياسية وتقديم النظالات الحقوقية. لن يكتفى إذن النموذج التنموي ببعده الاقتصادي و لو قدم مردودية مادية واضحة. ما دام هناك لكل أنواع الفساد أثار عميق قد تعيق فرص التنمية بدون أن تفوت عنها فرص النماء. فتبنيض أموال الارشاد و السوق السوداء والاتجار في البشر يمكن استثمارها في مشاريع إنتاجية تخلق فرص عمل معيشية بفضل نماء سطحي و فنوي قد يسعى بتنمية موسعة و عميقة طبقياً و ترابياً.

لا يمكن لأي تقسيم للثورة المادية حسب معدل فردي سنوي أن يعبر عن حقيقة المستوى التنموي البشري والسكاني والعلمي والعرقاني والثقافي والتكنولوجي. إذ يمكن لبلدان مختلفة الوسائل والنتائج التنموية الحصول على نفس المعدل الإحصائي الفردي لتوزيع الدخل الوطني. بل يمكن لبلد ذي تنمية أكثر توازناً مجالياً وأحسن توزيعاً اجتماعياً تحقيق معدل دخل فردي يقل عن بلد آخر ذي مظاهر الغنى المادي لكنه منعدم العدالة الاجتماعية. بأمية مرتفعة، يقدم المغرب مستوى إنمائي يقارب دولة أوكرانيا التي لا تعرف الأممية.

حتى النمو فيه وفيه. ارتفاع الاستثمارات لا يعني الزيادة في خلق فرص الشغل. هناك اقتصاديات تحقق نسب نمو أقل من المغرب لكنها أكثر نجاعة تشغيلية. فقد يطمئن مؤشر "دوين بيزنس" ساكنى عالم المال والأعمال، لكن الهاجس الإنمائي لن يرفع من معنويات منتظري المفعول التنموي الشمولي المطالب بالربط المنظومي بين السياسي والاقتصادي الاجتماعي والثقافي.

فلا جدوى في الرفع من معدل نمو سنوي للناتج الداخلي إذا كان البلد لا يضمن تكرييم العجزة و المتخلّى عنهم واليتامى وتشجيع الإبداع الثقافي وانتعاش البحث العلمي وانتشار التكافل الاجتماعي و التسامح المجتمعي الديني والدفاع عن حرية التعبير وحماية الشفافية الانتخابية وفرض الحكومة الإدارية و المقاولاتية الجيدة.

فقد تكون الإحصائيات مفيدة لكنها لا تملأ دائماً فراغ كلام الأرقام. عندما تحدثنا الجمعية المغربية لمحاربة الإجهاض السري عن 800 حالة يومية، يحق أن نتساءل كيف الوصول إلى كل هذه الدقة الإحصائية حول ما يحدث كل يوم في مدن وأحياء ومصحات وغرف منزلية، لا يعلم حتى أقرب المقربين؟ أو كيف الإدعاء أن 153 طفلاً وطفلة يولدون في أنحاء المغرب جراء علاقة غير زوجية مفروض فيها أن تكون سرية؟ أفادت وزارة الصحة أن من بين حوالي 20 ألف مصاب بالسيدا، 30 في المائة يجهلون إصابتهم.

كيف أحصيتموه إذا هم أنفسهم لا علم لهم بمرضهم؟ و كيف الادعاء أن 26.5 % من المغاربة البالغين 15 سنة فما فوق، يعانون من اضطرابات نفسية، مع العلم أن تلك الأمراض لا يبوح بجلها حتى حاملوها، أو يلجنون إلى النساء و الرأقي المدعى الشرعية التي تحول شفاء المس إلى لمسات جنسية؟. و عندما يحل المغرب في الرتبة 73 من أصل 180 في التصنيف الدولي للارتشاء حسب منظمة الشفافية الدولية، يبقى التصنيف متعلقاً فقط بمؤشر مدركات الارتشاء و ليس تقريباً لعمليات تتم في خفاء ما خفي منه كان أعظم!.

الديكتاتورية الإحصائية أحياناً ترغم العقل على قبول "حقيقة" ليست بالضرورة حقيقة. هناك مكاتب دراسات قادرة، مقابل المال، على تبرير المشي على الماء. يجب الحذر من أرقام تبدو حقيقة وراء ماكياج العيوب المخفية. فقد سبق لونسطن تشرشل أن قال مستهزءاً: "لا / عترف بإحصائيات إلا إذا زورتها بنفسي". كما يجب الحذر من الذين يغطون الفوارق الاقتصادية و الاجتماعية وراء معدلات تخفي التباعد بين من يزدادون فقراً و من يزدادون غنى. كأن نضع كائناً حياً في فرن عالي الدرجات و نضع رجليه في فريكو مرتفع البرودة. حين يعاني من العذاب الأليم، يدعي المعدل الإحصائي، بين أجواء الفران و الفريكو، أن من يقاوم التعذيب يوجد إحصائياً على درجة حرارية منعشة!.

# XIII

## ملکیة فاعلة

### وأحزاب منتهية الصلاحية

في "ذاكرة ملك"، يرى المرحوم الحسن الثاني أن "الدستور يعطي للأحزاب حق تأطير المواطنين من أجل التكوين أو التتوير، لكن الأحزاب لم تكن أبداً بالنسبة لي شرط المزور لمخاطبة الشعب". كما أشار نفس الكتابـ الحوار إلى صحافي فرنسي اعتبر أن "التقارب بين الملك وعبد الرحيم بو عبيد قيمة تاريخية، لأنها لا يمكن أن يتحقق شيء بالمغرب بدون اتفاق مع الذي يمثل الشباب وله القدرة على المعارضة". فكان جواب الحسن الثاني: "إن ما تقدموه لعبد الرحيم بو عبيد من قدرات تاريخية، عليه أن يتقاسمها مع كل الأحزاب السياسية، لأنه لا يوجد في المغرب حزب ممتاز (super parti) يضمن استمرارية الملكية الدستورية".

على امتداد سنين طويلة، كان هذا رأي الكثير من الذين حاولوا تحويل "الحركة الوطنية" إلى تعطيل الحركة المؤسساتية الملكية، بدعوى عدم تقمصها صفة "البرلمانية" على الشاكلة البريطانية. قبل أن تصير الملكية عندنا دستورية رئاسية مواطنة فاعلة وتبعد الأحزاب عن مسؤولياتها التأطيرية و قدراتها الوسيطية، فتصير منتهية الصلاحية !

#### 58- "أهمية ثانوية"

بعد إنشاء جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية (FDIC) في نهاية شهر مارس 1963 من طرف مستشار الحسن الثاني أحمد رضا كدير، نشرت أسبوعية Jeune Afrique (عدد 8 أبريل 1963) استجواباً مطولاً للمهدي بنبركة وعبد الرحيم بو عبيد. صرخ فيه القياديون الاتحاديون: "لا يمكن أننسى أننا في الحقيقة نحن الذين أعدنا الاعتبار للملكية في هذا البلد... فمنذ سنة 1943، أعادت الحركة الوطنية للملكية الشرعية المفقودة. كانت شروط واضحة في ذهن الجميع: أن نخلق ملكية دستورية تضمن للملك مكانة رمزية لاستمرارية المؤسسات ونترك الحكومة مسؤولة ممارسة الحكم".

وبعد السؤال : "هل لازلت مدافعين عن الملكية؟"، كان جواب بنبركة وبو عبيد: "بالنسبة لنا ليس الأهم الآن هو شكل المؤسسات بل محتواها. السؤال ليس هو معرفة ما إذا كان رئيس الدولة ملكاً أو رئيساً، قد يكون لذلك أهمية ثانوية". أي ملك بعد هذا الحكم شبه النهائي سيبقى متفرجاً بدل الدفاع

## 61 - "المغرب لنا، لا لغيرنا"

استمعت هيئة الإنصاف والمصالحة لضحايا وذوي مفقودي أو معذبي أو مسجوني أحداث 23 مارس 1965، 20 يونيو 1981 و 14 ديسمبر 1990. كما عادت الهيئة للتذكير بأماكن سينة الذكر، كتزمامارت وأكدرز ودار بريشة ورب مولاي الشريف ودار المقربي. لم تكن كلها "مخزنية قمعية" كما تحلو تسميتها من طرف أصحاب معاقل سرية لتصفية حسابات حزبية أو نقابية، باسم "المغرب لنا، لا لغيرنا" !

يحكى المحل الصحفي يونس جنوحى: "القصة وما فيها أن بعض الأصوات أبَت أن تصمت طيلة سنين. مات من مات وبقي من بقى. ليطالب نوي الحقوق للأمانة العامة لحزب الاستقلال بتحديد موقفها من الاتهامات التي طالت قياديَّين في حزب الاستقلال سنة 1956 في منطقة الشمال، والتي تتمثل في ضلوع الاستقلاليَّين في اختطافات واعتقالات طالت قياديَّين في حزب الشورى الذي أنشأه الوزانى والذي كان الحزب الوحيد المنافس لحزب الاستقلال بقيادة علال الفاسى. لا يتعلُّق الأمر هنا باهتمام سياسى هدفه النيل من صورة حزب الاستقلال بل نحن أمام معطيات تاريخية وأرشيف كامل يؤكِّد ضلوع استقلاليَّين في خط المهدى بن بركة قبل انفصاله عن حزب الاستقلال. اغتيالات واحتطافات وعمليات تعذيب طالت شوريين بعضهم نجوا ليكونوا عن صراط دار بريشة، إنما الأغلبية ماتوا إما رميا بالرصاص داخل دار بريشة أو تحت التعذيب داخلها أو في الطريق نحو طنجة. فوق شهادات مؤثقة دونها الحاج المعنونى أحد مؤسسى حزب الشورى تتهم مباشرة استقلاليَّين بالأسماء بتفيذ الاغتيالات والإشراف على عمليات التعذيب".

و من مصدر آخر، وصف صحافيَّان من اليومية الفرنسيَّة Le monde محمد الفقيه البصري بكونه "الحرك العنف التخريبي باتفاق مع رفاقه ...". استمر توزيع الأدوار حتى منتصف السبعينيات بين ديمقراطي النهار ومتمردى الليل". أكد محمد البازغى في مذكراته، متحدثاً عن علاقة الفقيه البصري بجبهة البوليساريو و عن كونه تولى تقديم قادتها المؤسسين إلى كل من الراحلين معمر القذافي و هواري بومدين. مؤكداً أن "تقديم الشبان له من طرف البصري كان مناسبة للقذافي لإزعاج المغرب عبر تمويلهم و تسليمهم وتوفير حتى التداريب العسكرية لبعضهم".

حول مخلفات نفس الحقبة، ضمن سلسلة استجوابات صحفيَّة، يقول الفيلسوف محمد سبيلا بشأن محاولة انقلاب الصخيرات: "لقد كان الجو متوتراً سياسياً وأمنياً وكان مشوباً بكثير من الاعتقالات والإقصاء والمؤامرات ولذلك يمكن أن أقول أن المسألة كانت واضحة بالنسبة لبعض النخب وعلى رأسها بعض النخب السياسيَّة اليسارية التي ربما كان لديها موقف تقبل لهذا الانقلاب".

ضمن سلسلة مقالات "فسحة الصيف"، يحكى أحمد امشكح: "في 1999 و في خضم حكومة التناوب التي قادها عبد الرحمن اليوسفي، ستنشر أسبوعية لوجورمال رسالة نسبت للفقيه البصري ملخصها بالختصر المفيد أن عددا من زعماء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية و في مقدمتهم عبد الرحيم بو عبيد كانوا منخرطين في جملة من المحاولات الانقلابية التي تعرض لها عرش الحسن الثاني. لقد اعتبر نشر الرسالة وقتها تشويشا على تجربة التناوب التي كان يقودها الاتحاد الاشتراكي. لكن في 2016 سيخرج واحد من قادة الاتحاد، و من الذين اعتبروا أقرب إلى المطبخ الداخلي، و هو محمد الحبابي، ليكشف عن معطيات جديدة تقول إن ذلك التقارب بين الاتحاكيين و الجنرال الدموي أو فقير لقلب نظام الحسن الثاني كان حقيقة و ليس مجرد حلم بل أن الترتيبات التي وضعت انخرط فيها واحد من أقرب المقربين للحسن الثاني و هو مستشاره إدريس السلاوي الذي رشح لكي يكون رئيسا للدولة بعد تحي الحسن الثاني".

حين استقبل الحسن الثاني عبد الرحمن اليوسفي في القصر الملكي، قال للحاضرين : "أقدم لكم أكبر تاجر سلاح، الرجل الذي كان يسعى إلى اغتيالي لأعينه وزيرا أول" ! عدة سنوات بعد رصاص و جمر لم يكن يدوي ويحرق إلا من جانب واحد، سيعترف حميد برادة خلال استجواب نشرته جريدة الشرق الأوسط أن "المهدي بنبركة كان معارضيا سياسيا و مناضلا محاربا". كما اعترف عبد القادر الشاوي أنه كان "يخطط مع مرافقيه القدامى من أجل حرب عصابات شعبية (*guerilla populaire*) تستهدف قلب النظام، قبل أن يكتشفوا بعد ثلاثين سنة أن "الماوية، الناصرية، البولبوبية (*polpotisme*) لا علاقة لها بالديمقراطية". بعد ما قضى عبد العزيز طريق إحدى عشر سنة من عمره وراء القضبان سيعترف خلال حديث صحفي أن "الحرب الذي شنته منظمة إلى الأمام كان مصيرها الفشل النريع ، ورغم ذلك ظلت هذه المنظمة في خطها الإسلامي التصاعدي حتى عندما أدى ذلك بالمناضلين إلى إلقاء القبض عليهم".

## 62- "لا انضم لاي حزب"

عند نهاية النصف الأول من سنة 2019، مرت ثلاثة سنوات من تأخر عشر اتفاقيات وقعت أمام الملك في 2014. فوجب التساؤل حول جدوى أعلى الأجور و أفحى السيارات و أوسع المكاتب المسخرة لمسؤولين ينتظرون التعليمات و يختبئون وراء الشكایات و النداءات الموجهة للمؤسسة الملكية. امتيازاتهم أكثر من حكامتهم، يعيشون فوق مستوياتنا ! على غرار مدير سابق للمكتب الوطني للسياحة كان يكتري منزله براتب جنرال دى كور دارمي في القوات المسلحة الملكية !

لتفادي كل تأويل خاطئ لأدوار المؤسسة الملكية، أشار محمد السادس أنه "لا يمكنه القيام بالعمل المنوط بالوزير والحكومة أو رئيس مجلس جماعة ترابية". حيث اعتبر "الصاعد للجوء الشعبي للملك إنما حل وارتحل، مطالبين بحل مشاكلهم المستعصية مع السلطات المحلية أو المركزية أو الإدارية المعينة أو المنتخبة. كما أشار في خطابه الموجه إلى أعضاء الغرفتين أن كل" هذا السبيل من الشكاوى والتظلمات ما كانت تؤول مباشرة إلى الملك لولا أنها تصطدم بخلل في الحكومة العمومية تجاه حاجيات المرتفقين وانتظارات جموع المواطنين".

يشير خطاب العرش (29 يوليوز 2017): "فعدما يكون النتائج إيجابية تتساق الأحزاب والطبقة السياسية والمسؤولون إلى الواجهة للاستفادة سياسيا وإعلاميا من المكاسب المحققة ، أما عندما لا تسير الأمور كما ينبغي يتم الاختباء وراء القصر الملكي وإرجاع كل الأمور إليه، وهو يجعل المواطنين يشكون لملك البلد من الإدارات والمسؤولين الذين يماطلون في الرد على مطالبهم ، ومعالجة ملفاتهم ويلتمسون منهم التدخل لقضاء أغراضهم...".

تلك الإشكالية الإنكارية ليست فقط إدارية، بل تعود إلى كون العديد من المسؤولين الحزبيين يتسبّبون بعقليات العلاقات مع قصر الزمن الماضي. عقليات بدت واضحة في تأويل مصطفى عاكاشة (عندما كان رئيساً تجمعاً لمجلس المستشارين)، معتبراً بأن "البرنامج الحزبي ينحصر في الخطاب التوجيهي الملكي". ما دفع الصحفى إلى التساؤل "هل انتم إذن جزء من حزب يسمى الملك؟". فكان جواب القيادي التجمعي: "بالتأكيد نحن جزء من حزب الملك".

فإذ كان لكل زمان سياسي أحواله ورجاله، يبدو أن القيادات الحزبية لم تستسغ وجوب التفاعل مع عهد ملكي حالي مغاير لمفاهيم العلاقات التنافرية أو التكاملية الماضية بين المؤسسة الملكية والأحزاب السياسية. لقد أوضح محمد السادس في خطاب العرش سنة 2016 : "لا أشارك في أي انتخاب ولا انضم لأي حزب. لأنني ملك كل المغاربة، مرشحون، ناخبون أو حتى الذين لا ينتخبن. كما أنني ملك كل التنظيمات السياسية..."

و كلما نطرق الملك لسيرة الأحزاب و اعتبرها غير قادرة على مسيرة حقبة جديدة محتاجة إلى تأطير و تفعيل نموذج تنموي، وقف "الزعماء" أمام الكاميرات، يعلنون استبعادهم الخطاب الملكي، ثم يميلون إلى الاستمرار في عدم تغيير فريق في نظرهم رابح، ولو خسر كل المغاربة!

بعض الملاحظين أو الصحفيين ينثرون العدالة والتنمية بالحزب الأغلبي، ناسين أو متناسين أن هذا الحزب يقود أغلبية متعددة الرؤوس، ولم يبلغ رئاسة الحكومة "لأن الشعب صوت علينا". بل لأن من صوت على العدالة والتنمية هم يفوقون المليون، لكن من أصل 15.7 مليون مغربي مسجل في اللوائح الانتخابية، لم يتوجه منهم لصناديق الاقتراع سوى 6.7 ملايين، بأضعف نسب

المشاركة في تاريخ الاستحقاقات الانتخابية المغربية.

أما نعث حزب رئاسة الحكومة بالحزب الحاكم فلا أساس له من الصحة الدستورية حين يتبع أسمى قانون للأحزاب "المشاركة في ممارسة السلطة"، بجانب مؤسسة ملكية يضمن لها نفس الدستور رئاسة الدولة. فقد رفع محمد السادس اللبس عن العلاقة بين الحكومة والمؤسسة الملكية، حين أجاب على سؤال لجريدة الشرق الأوسط تكون "الكل يقوم بالدور المنوط إليه ...نفس الشيء يتعلق بالمستشارين. أشتغل مع الكل بشكل جماعي تكاملي ... ليس هناك حكومة داخل القصر وحكومة خارج القصر ... تمر العملية التكاملية التنفيذية بين المؤسستين عبر مستشاري الملك ..."

لمن يرى أن "الحكومة لا تتمتع بآية استقلالية عن المؤسسة الملكية" و لمن ادعى، و هو رئيس حكومة، أنه "جا غير يعاون" نذكره بقدره القانونية على التعين في أكثر من 800 منصب سام، يدعمه حزب يدير جهتين و يقود أكثر من 300 جماعة ترابية تضم أكبر المدن المغربية.

لقد ولى الهاجس الأمني المدعى مواجهة انزلاقات دعاة "الميثاق مع القصر" الذي طالما أخرجته من جعبتها كائنات حزبية قادمة من حركة وطنية تحتاج اليوم إلى حركية اقتصادية و اجتماعية، بمواصفات تمثيلية و تدبيرية تؤسس لنموذج تنموي مجتمعي شمولي. من أجل إصلاحات تشغيلية و معيشية، تشجع الإبداعات الفكرية و حماية التوازنات الاجتماعية. و من أجل تمثيلية ديمقراطية لا يتم اختزالها في تسلسل حلقات انتخابية، توزع أدوار استوزارية و تعينات محسوبية و تمثيليات عائلية و راثية. في خدمة أحزاب منتهية الصلاحية، منحصرة المصلحية، بمعية من يحوم حولها من انتهازيي الفرص الريعية!

## XIV

# حاصل الكلام

في خليط واعد بالكل ممكн،  
أو حتى غير الممكн ممكн.  
انتهز أشباء يمين كل ما جادت به التطورات الداخلية،  
و استورد أشباء يسار ايديولوجيات خارجية متلاشية.  
من يريد التخلص من عقدة "اليمين الإداري"،  
يخفي "ماركته" الحزبية بعلامة الليبرالية.  
من خرج من باب معارضة سماها "لديمقراطية وطنية"  
دخل الحكومة من نافذة تناوبية توافقية،  
تحمل زهرة الاشتراكية دون نزع أشواكها المعيشية  
عن "قوات شعبية" ظلت منسية.  
و صار حزب "تقدم" قادم من شيوعية  
الفجل الأحمر بظاهره، الأبيض بداخله،  
صار مقربا من إسلاموية العدالة والتنمية،  
مكونا مكملا لوزارات حكومية.  
و من كان يعد بإحضار "تعاريفية" استقلالية،  
حولها إلى حضور كل الفهمزات الاستئذارية.  
وصولا إلى من يدعى منهجا إسلاموميا  
تراجم فيه المرجع الديني  
وراء هاجس "تبلاصي" دنيوي،  
بدل مواجهة دعاة التكفير عوض التفكير  
و دعاة الجهاد بدل الاجتهاد.

\*\*\*

لنا أحزاب أنجبت أحزابا معادية،  
لنا أحزاب أنجبت مركزيات نقابية،  
لنا أحزاب أنجبتها مركزيات نقابية،  
لنا أحزاب خرجت من تيارات جمعوية...  
لنا أحزاب أخرجت جمعيات موالية  
فلا فرق بين الحزب النقابي و النقابة الحزبية،  
و لا بين جمعية الحزب و حزب الجمعية !  
البلقنة ليست نتيجة مقارعة القناعات الفكرية،

بل حزازات أنانية بين الباطرونات والبارونات،  
لتقريب الاستفادات من محيط الزعامات.  
حتى صارت لبارونات نقابية انشغالات باطرونية  
لترويج ما حصلوا عليه من "الدافع عن الطبقة الشغيلة"!  
مع حضور يكوري لـ "منظمات" موازية  
للأطر، للمرأة أو لشبيبات شابيات،  
تؤثث مؤتمرات تكتب قبل افتتاحها بياناتها الخاتمية.

\*\*\*

بحبكه انتهازية بدون حنكة ديمقراطية داخلية،  
دفعت تداعيات تنافرية بالكثير نحو أرض الله الواسعة،  
فتحدت البعض عن تفرقة لتسود " ERA مخزنية".  
لكن الإخوة و الرفاق لا يحتاجون لأيدي خارجية  
لتفضيل حماية غنائمهم على أوضاع أحزابهم.  
نماذج "مولاناوية"  
رفضوا أي نموذج تنموي  
لا يضمن استمرار نفعهم الريعي.

\*\*\*

بعد معارضة من أجل المعارضه،  
حضرت "معارضة بمساندة نقدية".  
و معارضه تصوت لمرشح الأغلبية،  
و معارضه للحكومة من داخل الحكومة.  
دون نسيان من يغادرون مكاتبهم المكيفه ،  
يزيلون "الكرافطة" الحريرية،  
لوضع رجل ثانية في معارضه ويكانية،  
يطرحون خلالها ما لا يفكرون في حلوله خلال الأيام المتبقية.

\*\*\*

مع توالي الاستحقاقات الانتخابية،  
لا زال مفهوم قديم لسلطات ترابية  
حديثة التدخلات في كاستين الترشيحات و الرئاسات.  
حتى بعد إنهاء الحرب بين "الحزب السري" و "الحزب الانقلابي"،  
تحول بعض التدخل السلطوي إلى تقرب انتهازي  
من الذين دخلوا الساحة الانتخابية  
من أجل فتوحاتها الانتقاعية.  
فلم يتوقف العزوف و التصويت بالأوان محولة،  
بدون السماوي، إلى أوراق نقدية.  
تضاف الأصوات المشရية إلى الأوراق الملغية،

لإضعاف من يتوهمون "الأكثر تمثيلية".  
يؤدي انتقال دمقرطة بالتفقير إلى تفجير الدمقرطة،  
مع مزج زواج المتعة بين المال والسلطة،  
بزواج *اللهطة* بين الفقر والجهل.

\*\*\*

جاء الدستور بـ"ال وسيط" لترسيخ التخليق والشفافية،  
و ظل أقل نجاعة من الوسيطة و اليد الطويلة.  
بين مغاربة منقسمين إلى فريقين : من يسمع  
"السير تنسا حتى يجي" ومن يسمع "السير عندو راه كيتنساك" !  
حسنا فعل شبابك وحيد متنتقل لخدمة مغاربة العالم،  
أحسن يفعل بالمناطق النائية لخدمة مغاربة المغرب !  
إدارتنا مسكونة بموظفين أشباح تستحيل معاقبتهم،  
لارتباطهم بزبونية حزبية أو نقابية أو عائلية أو حميمية.  
باستثناء ذوي النزاهة و الكفاءة و الاستقامة،  
هناك الواقعون عند محطات أداء التلاقي  
بين الراشي و المرتشي.

\*\*\*

الأشباح ليسوا فقط بين الموظفين !  
إضافة إلى عنااء القرحال، كلما اقتضى الحال،  
مع قليب الفيسنة بين الغرفتين، بين حزبين أو فريقين،  
بجانب غياب عن الحضور، هناك حضور غائب ،  
للمتواجدين جسديا بدون روح المشاركة عند المسائلة.  
يجدون طريق العودة إلى القبة،  
بفضل ناخبي لا يريدون منهم العمل التشريعي الدؤوب،  
يكتفون بمد أيديهم لمنتخبهم *الحابل الحلوب* !  
و هناك ميركاتو الرحيل نحو *الجهة* *الغالبة* *الجماعية*،  
لا يهمهم البحث عن أنجع النماذج التنموية الترابية،  
مادامت الفرص سانحة لمن ليس لهم الشهادة الابتدائية،  
يعينون إداريين لا بأس أن يكونوا قليلي الكفاءات،  
ما داموا كثيري الانحناءات و مسخري الإمضاءات !  
رؤساء رصيدهم البنكي أكثر من رصيدهم المعرفي،  
يعرفون من أين ان وكل الكتف، أين توجد الخرافان  
و كيف يكون التعامل مع *الشناقة*،  
المقربين من تفويضات الرئاسة،  
بأفواه مملوءة بالخير المتاح  
تنفتح المساندة التصويرية بالكلام المباح

\*\*\*

منعوا الترقية الداخلية بالشهادة الجامعية  
و فتحوا التمثيلية البرلمانية بالحالة المدنية.  
لا أحد يمكنه التشكيك في أحقيته تداول مبني  
على كفاءة الإسم الشخصي بدل الإكتفاء بالاسم العائلي.  
شريطة تمكين كل كفاءة و نزاهة من ولوج الشأن العمومي.  
لما فراغ التأثير الداخلي،

يستوردون مستوررين بتلوين حربي  
يدخلوهم الفريق الحكومي قبل المكتب السياسي.

\*\*\*

بعدما كان الملك يخطب أمام البابا باللغات العربية،  
الفرنسية، الأنجلizية و الإسبانية،  
اختزلت الحكومة كل النقاش حول القانون الإطار للتربية  
في لغة تدرس مواد معينة.

اهتمامهم بالانتخابات المقبلة بدل الأجيال المقبلة  
يترك طلبة الأبواب المفتوحة تائهين في إصلاح ينتظر الإصلاح.  
بينما استحوذت مجموعة من مكاتب مكاتب الدراسات  
على صفقات و طلبات عروض مؤسسات و جماعات وزارات،  
حولت أحياناً منهاجية البحث العلمية إلى أكاذيب منهاجية  
توهم بقدرات و أهمية على إحداث مناصب تشغيل افتراضية.

\*\*\*

تحولت أراضي فلاحية إلى تجزئات سكنية  
تطول أزقتها مع حلول كل حملة انتخابية.  
ليصبح البزنس الانتخابي أول باني المغرب الحالي.  
 بينما ملات المطاعم و المقاهي الفضاء البحري و الغابوي  
 يتملك فوضوي لمراكز عمومي  
 لحساب سوبر مغاربة، يقتسمون كعكة لا يمسها إلا المقربون  
 خوصصات مجانية حولت ممرات شاطئية إلى فضاءات  
 لا يدخلها إلا الملوك أو المؤدون.  
 بينما يراد لها أن تكون "مدينة زكية"  
 تقدم الدار البيضاء أسوء أحوالها البيئية.  
 و بينما يتسع فضاء "الفراشة الكبار"،  
 تستمر مطاردة الفراشة الصغار.

\*\*\*

من بين أكثر رياضاتنا الوطنية انتشاراً،  
نجد القفز على القانون

الذى يعذر بجهله راشون و مرتشون متفاهمون  
على مخالفات و تحايلات فى أرباحها مشتركون.  
ما دام دهين السير يسير حسب حجم الأذية ،  
لا استثناء للون حزبى عند سوء التدبير و المحسوبية،  
بعدما جرت رياح الاشتراكية و التقدمية و التعادلية  
بما لا تستهيه الفنات السفلية،  
و مع حلول رئاسات إسلاموية  
قبلت بوسخ الدنيا الجماعية.

\*\*\*

تحولت أحزاب و نقابات إلى محميات ديناصوريه،  
يموت فيها الزعماء و هم في كامل قواهم التحكمية.  
و من زال حيا يرزق استوزارا مستمرا  
يتفادى عدم المرور عبر صناديق الاقتراع التشريعى،  
الزعماء الذين لا يترشحون لا هم تفتراطيون و لا هم سياسيون،  
هم دوليل بدون ،  
لا هم بخبرة علمية و تقنية تدبيرية ميدانية  
و لا هم بشرعية تمثيلية ديمقراطية .  
مقطتون بعدم جدو الاحتكام الانتخابي،  
يكفون بزعامة مؤتمرات تصفيقية  
لرئاسة أحزاب مفروض فيها التأطير و التنظيم السياسي .  
الذين لا قدر لهم أو لا مصلحة في المغادرة الحزبية الطوعية  
يشاهدون توزيع الكعكة و يكتفون بالتقاط الفرتيت .  
يقبلون تحويل مقوله " أنا أفكر فانا موجود"  
إلى "أنا لا أفكر فانا معكم و لكم موجود".  
دائما مستعدون لتحويل موقف ثابت إلى موقف متحوال.

\*\*\*

تعاني مشاريع التنمية البشرية  
من تسلط رؤسائے يحولون ريعها إلى أصوات انتخابوية،  
ليظل الفضاء الجماعي ضعيف عطاء النخب الواعدة.  
عجزا على ملأ فراغ تأطيري تركته كانتات حزبية  
لا تخرجها من سباتها إلا مواعيد التزكيات والاستوزارات.  
أحزاب لم تدفع إلى تجاوز المفهوم القديم للسلطة الترابية  
بتقديم خيرة القيمين على السلطة التمثيلية.  
تشكل المساكن الصفيحية رأسماح أصوات انتخابية،

تصنع نيابة برلمانية زرعة "محترمة"

أو رئاسة جماعة يا حسرة "حضرية".

مع اختزال النموذج الاقتصادي في نهج ريعي  
انقسم المغاربة بين أقلية المنتفعين وأغلبية المهمشين.  
فيتراجع تكافؤ الفرص أمام التلاقي المصلحى  
بين من دخلوا من السياسة إلى عالم المال  
ومن خلوا إلى السياسة من عالم الأعمال.  
بعد استفادة اللي جابولينا الاستقلال  
حضر اللي جابولينا الإسلام !

\*\*\*

يتتمكن أشباه المقاولين من تحويل مبادرات تنافسية  
إلى فرص انتهازية تتغذى أرباحها من أجور تغافرية.  
مع سوء تبرير تضخم كتلة الأجور العمومية،  
تبقى السياسة المالية العمومية شبيهة  
بذلك المحاسب الذي يعرف كل شيء  
ولا يعرف قيمة أي شيء!  
يقدم المغرب مجتمعا لاتعادليا،  
فيه المصعد الاجتماعي معطل أمام صاحب السفلة.  
بينهم شباب بشواهد يشاهدون  
كيف اغتنى المنتخب الأممي في ظرف قياسي.  
بينما تضطر أرملة سباق أولمبي  
إلى بيع كؤوس وميداليات البطل المنسي  
كيف السبيل إلى إبداع سنمائي داخلي؟  
تحت رحمة إنتاج أجنبي يختار أحيا مدتنا المزرية  
لتتصوّر مشاهد عن كندهار طالبان المدمرة البنيان...  
بينما ينتظر فنانون كاشيات مسلسلات رمضانية  
يتحكم فيها منتجون في خدمة المستثمرين قبل المشاهدين.  
حتى أصبحت الرداءة سلاح دمار شامل للدوق الرفيع،  
عبر التطبيع مع التفاهة والجهل الفظيع.

\*\*\*

يقولون للمغربيّة "كوني ناخبة واصمتني!"  
فلا يبقى للمغلوبات على أمرهن الاقتصادي ووعيهن السياسي  
سوى مد اليد لمشتري أصوات من لا صوت لهن،  
باوراق تصويب منعدمة الفناءة والمناعة.  
لتمكن المرأة من ولوح القبة البرلمانية،  
حضرت لانحة وطنية تحولت إلى وراثة ريعية  
أقفلت أبواب الترقية الداخلية

و حولت ممثل الأمة إلى ممثلة العائلة !

\*\*\*

يحتاج الجهاد الحقيقي ضد التخلف التنموي  
إلى جهاز قضائي ناجع، نافع غير منتفع،  
من أجل إبعاد المتقاضين عن صراط التجرجير  
والتحايل على قوانين تعذر بتجاوزها الأيدي الطويلة أو المليئة.  
في محيط مجتمعي يفضل الذين راكموا ما حصلوا عليه  
بدل التساؤل عن كيف وصلوا إليه.  
حامل شهادات صار يحمل العمارات.

بتفضيل المحصول المادي على فضل التحصيل العلمي،  
اختارت أشباه "النخب" أن تكون أكثر غنى على أن تكون أكثر علماً!  
النخبة المخيّبة للأمال،  
ما نخبة ما والرو !

إذا انعدمت أثارها الإصلاحية المجتمعية  
و استمرت خيبة الأحوال.

\*\*\*

ضمان حرية الرأي يؤمن بممارسة باقي الحريات.  
شريطة احترام الصحافة لقوانين اللعبة التنويرية،  
بعيداً عن ماليين الشكارة المنشغلين ببيع فضاءات إشهارية،  
غطت أعمدة التعبير عن شروط التغيير.  
يؤدي التداخل المصلحي، بين مؤسسات صحفية  
ومجموعات تجارية، إلى زواج متعة إعلامية – سياسوية  
حافل بسلامة مرور المال نحو السلطة، وسلامة مرور السلطة نحو المال !  
الكاكيات الحزبية

المدعومة من جيوب الضرائب المدفوعة  
تريد أقلاماً مسخرة للتستر على أغلبية مغلوبة ،  
أو على معارضه مغلولة تنتظر النوبة .

جل المسؤولين الحزبيين يعلمون أن أحسن الناخبين هم أقرهم  
و أبعدهم عن القراءة، في إطار الغفلة ما بين البابي و الشاري.

لأن الضبابية تخفي من لا يقبل الشفافية،  
يفضل الولوج إلى المعلومة الانفرادية الانتهازية.  
بعيدون عن الأعين، لا يعنיהם ابتعادهم عن القلوب.  
لا تهمهم قناعات من لا يصوت لصالحهم  
بل أصوات من يتذوقون حلاوة وعدهم و جيوبهم!

\*\*\*

بعد الخطاب الشعبي الوعظي الإرشادي،  
انحصر التواصل الحكومي في التجول في الشانزيليزي الباريزي  
و نصح المغاربة بالسفر في دواخلهم !  
و اكتفي بإحالة من يطالب بحماية مستوى المعيشى  
على صنع "الملوكي" و الرابط المنزلى !  
من أجل هروب إلى الأمام  
بحصيلة الحصلة مع بوكموكلام.

تكاثرت إصدارات مذكرات الإنقاذ من الماضي  
ما يرضي تبرير حسن وضعهم الحالى.  
سياسويونا، مهما استقالوا أو أقيلوا أو "زلزلوا"،  
لا يذهبون بعيداً عن منابع المنافع.  
يعتبرين أنهم كيتوخلصوا على ماضي سياسى  
هم غير مسؤولين على حاضره الاقتصادي والاجتماعي،  
غير مهتمين بنموذجه التنموي،  
خشية مرور تفعيله عبر إنهاء نجاحهم الريعي.  
\*\*\*

بديماغوجية شعبوية،  
سوقتها أحزاب ما عادت، إن هي كانت، لا يمينية ولا يسارية،  
همها فقط أن تكون حكومية،  
يتراجع المفهوم القديم للسلطة المخزنية  
بتقدم مخزنة أحزاب منتهية الصلاحية !  
بحضور ملكية دستورية رئيسية فاعلة ،  
لتحمل مسؤوليات متعددة ملحة،  
يحتاج مغرب اليوم إلى تحفيزات تأطيرية و طاقات تذبذبية  
و منابر تنويرية و مبادرات مدنية و إبداعات فكرية ...  
إذ لازال عندنا نوعان من العمل السياسي:  
الذين يقومون به و الذين يستفيدون منه.  
لابد من المرور من التشخيص إلى التنفيذ،  
حتى لا يكون لنا الطلب أكثر من التطبيق!  
أكثر من وضع نموذج تنموي،  
لا يكتفى بمحتواء الإنمائي السطحي،  
ينقصنا حسن تموضع الفاعل البشري.  
لن تكون معه الإصلاحات المنتظرة فقط اقتصادية إنمائية،  
و لا يمكن معها اختزال التمثيلية الديمقراطية  
في مجرد تسلسل حلقات انتخابية  
بدل بلورة و تفعيل نموذج تنموي اندماجي مجتمعي شامل !